تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين
(٣٢٤ - ٣٩٩هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة
محمد بن مصطفى الكنز

المجلد الأول

الفاتحة - النساء

الناشر
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : تفسير القرآن العزيز

تأليف : أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين

تحقيق : حسين بن عكاشه و محمد مصطفى الكنز

رقم الإيداع: ١٧٧٧٤/ ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5704-67-7

الطبعة : الأولى

سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر


تفسير
القرآن العزيز
لابن أبي زمنين



مقدمة الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه المحمود بكل لسان، المعروف بالجود والإحسان، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد

تتشرف مؤسسة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر أن تقدم للأمة الإسلامية هذا التفسير القيم استكمالاً لمسيرتها المباركة في خدمة كتاب اللَّه العزيز، والسنة المشرفة، على نفس نهجها القويم في إخراجهما بصورة قشيبة، وانتقاء الأعمال العلميـة التي تمس الحاجة إلى إخراجها وإسناد التحقيق إلى الباحثين الموثوق بهم دينًا وعلمًا، ثم إخراج العمل في أزهى صورة من التنضيد والطباعة.

ولا يخفى كم تعاني أمتنا الآن من عبث العابثين بالتراث والجرأة عليه؛ مما عمت به البلوى ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، فحري بكل دار تتصدر لإخراج هذا التراث الغالي أن تحرص على الاهتمام به لأنها ستسأل عليه، وإنه ليسعدنا ويشرفنا أن نقدم لأمتنا الإسلامية هذا الكتاب القيم «**تفسير القرآن العزيز**» للإمام القدوة ابن أبي زمنين (٣٢٤ - ٣٩٩هـ) وهو تفسير جليل، يطبع لأول مرة، وهو تفسير يمتاز بكونه مناسبًا لكل الطبقات حتى صار تبصرة للمبتدئ ولا يستغني عنه المنتهي، هذا مع تميزه في الجمع بين مدارس التفسير المختلفة من التفسير اللغوي، والتفسير المسند، وذكر القراءات، إلى

غير ذلك، مع تميزه في بابه، مما جعله من كتب التفسير التي لا يستغني عنها الباحث.

هذه الموسوعة العلمية الجديدة التي تأتي ضمن سلسلة إصداراتنا للموسوعات العلمية التي ترى النور لأول مرة بعد أن كانت حبيسة خزانات المخطوطات - ككتاب إكمال تهذيب الكمال، وكتاب التحقيق لابن الجوزي.

أو التي تخرج لأول مرة بصورة علمية دقيقة - بعد أن خرجت بصورة غير لائقة - كالموسوعة الفقهية الكبرى - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد الذي رتبناه على الأبواب الفقهية للموطأ وقمنا بضبطه على عدد من المخطوطات، وككتاب لسان الميزان للحافظ ابن حجر، الذي قمنا بضبطه على خمس نسخ خطية، والحمد لله رب العالمين.

وختامًا: نشكر القائمين على دار الكوثر للتأليف والتحقيق والترجمة والعاملين بها، لما بذلوه في تحقيق هذا السفر المبارك، سددهم الله ووفقهم وجزاهم الله خيرًا.

ونسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا وجميع المسلمين بهذا التفسير العظيم، وأن يجعله حجة لنا لا علينا.

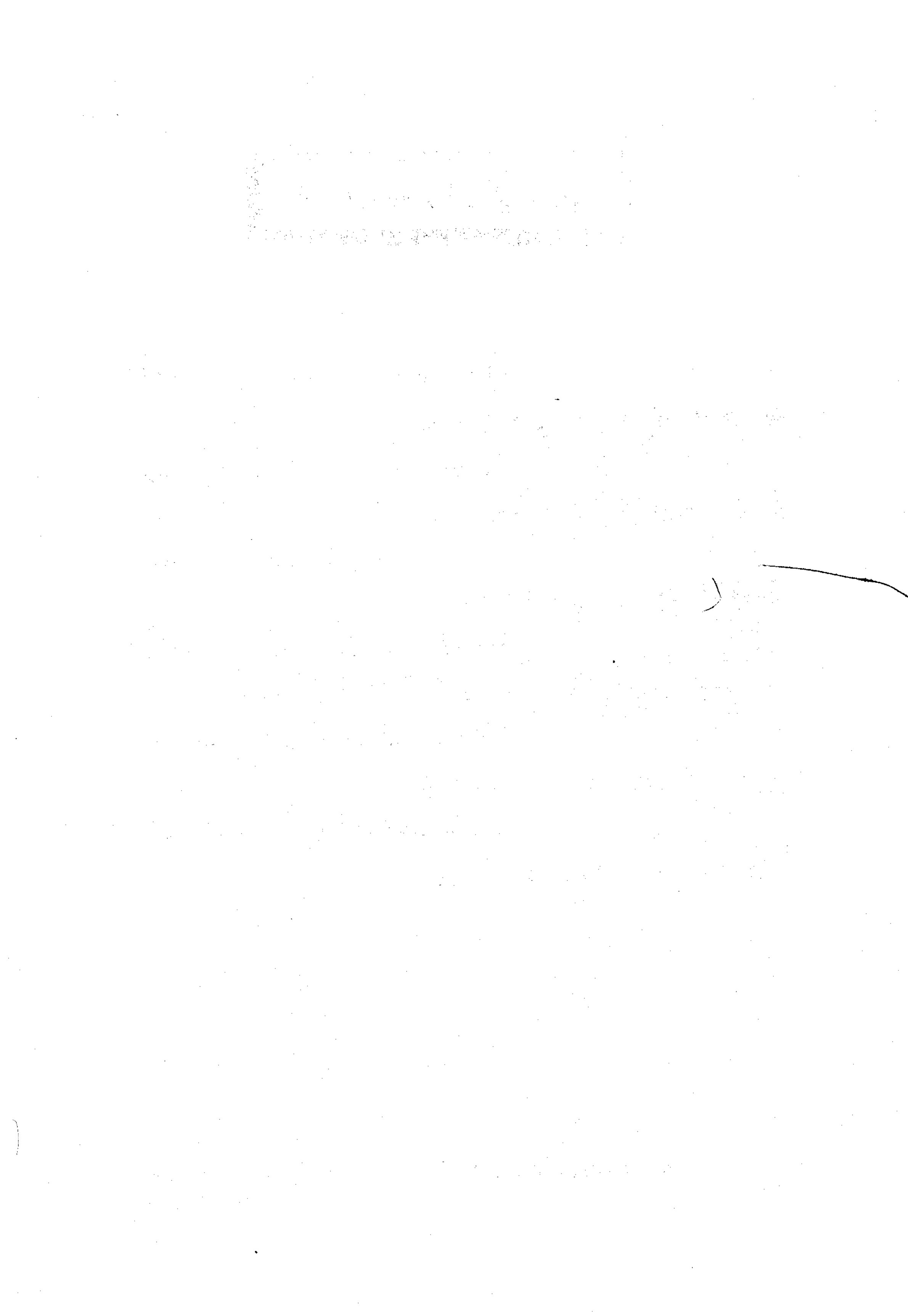
والحمد لله رب العالمين

الناشر

قالوا عن تفسير ابن أبي زمنين

كتابٌ من التفسير بالحقِّ ينطقُ
ويُخبرُ عن وحيِ الإلهِ فيصدقُ
وفيهِ علومٌ من فنونٍ كثيرةٍ
على كلٍّ من معانيه رونقُ
لغاتٌ وإعرابٌ وآثارُ صحةٍ
وموعظةٌ تُبكي العيونَ فتَصْدقُ
رواها ثقاتٌ عن ثقاتٍ تقدموا
وكلهمُ برٌّ تقيٌّ موفقُ
قراءتها حرزٌ لمن كان طائعًا
وأمنٌ لما منها يخافُ ويرفقُ
فردٌ جميلٌ في الحياةِ وزينةٌ
وروضةُ ذكرٍ زهرُ الدهرِ مونقُ[1]

(١) من قصيدة في مدح التفسير، كُتبت على غلاف نسخة المتحف البريطاني.



مقدمة المحقق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعةٍ، وكل بدعةٍ ضلالةٍ.

فإنه ليسعدنا أن نقدم لمشايخنا وعلمائنا وطلبة العلم في كل مكان كتاب

«تفسير القرآن العزيز»

للإمام القدوة الزاهد أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين - شيخ قرطبة (٣٢٤ - ٣٩٩هـ).

وهو تفسير يمتاز بالإيجاز، وسهولة العرض، وعدم الخوض في الخلافات الفرعية، مع عمق الفهم وأصالة الاستدلال، والسلامة من البدع؛ يفتح لقارئه

بدقائق إشاراته أبوابًا من العلم.

هذَّب فيه ابن أبي زَمَنِين تفسير الإمام العلامة: يحيى بن سلام - الذي قال عنه الإمام أبو عَمْرو الداني: ليس لأحد من المتقدمين مثله - وزاد فيه تفسير ما لم يفسره يحيى، وتكلم على القراءات وتوجيهها، وذكر اللغات والإعراب؛ فأحسن وأجاد؛ جمع بين التفسير المسند، وذكر القراءات والإعراب واللغات؛ فأصبح هذا الكتاب تبصرة للمبتدئ في علم التفسير، وتذكرة للمنتهي، مع فوائد حديثية جمة.

وقد حققناه تحقيقًا علميًا، ووثقنا القراءات واللغات والأشعار، وضبطنا الأسانيد، وخرجنا الأحاديث وتكلمنا على طرقها وعللها، ونقلنا كثيرًا من كلام أئمة الحديث عليها وقدمنا له مقدمة دراسية رائقة، وصنعنا له فهارس علمية دقيقة؛ فزدنا الكتاب - بحمد اللَّه تعالى - حسنًا إلى حسنه، وجمالًا إلى جماله.

والكتاب بهذه الصورة يناسب كل الطبقات، فسيجد فيه طالب التفسير كثيرًا من دقائق التفسير ولطائفه، وسيجد طالب الحديث كثيرًا من الفوائد في الأسانيد والمتون، وسيجد طالب علوم اللغة كثيرًا من دقائق الإشارات اللغوية والفوائد النحوية، كذلك ينهل منه - بحمد اللَّه - كل طلبة العلم والدعاة.

نسأل اللَّه أن ينفع به كل من عمل فيه، وساعد على طبعه ونشره، وسائر المسلمين، وأن يتقبله منا قبولًا حسنًا؛ إنه هو السميع العليم.

المحققان

أبو عبد اللَّه حسين بن عكاشة **محمد بن مصطفى الكنز**

منهج العمل في تحقيق الكتاب

بغية إخراج الكتاب في أحسن حلية، وتخليصه في شوائب التصحيف والتحريف والسقط، وتحقيقه تحقيقًا علميًا دقيقًا اتبعنا المنهج التالي:

قام الأخ/ محمد سلطان - جزاه اللَّه خيرًا - بنسخ الكتاب من نسخة الأصل، وهي نسخة كلية القرويين.

ثم قام الأخوان: محمد سلطان ومحمد مصطفى الكنز بمقابلة أغلب الكتاب على نسخة الأصل، بحيث كان محمد سلطان ممسكًا بالأصل، ومحمد الكنز يقرأ عليه المنسوخ منه، وأتم مقابلة الكتاب الأخوان: وليد بن أحمد وحسام بن عبد اللَّه.

ولما كان هذا الكتاب هو كتاب تفسير للقرآن الكريم - كلام ربنا المجيد - كان لابد لنا من الحرص التام على إخراجه في أحسن صورة من ضبط نصه وتوثيقه وتحقيقه والتعليق عليه بما يزيده حسنًا إلى حسنه، فقد راعينا التخصص الدقيق في العمل، فدفع الكتاب أولًا إلى الأخ/ محمد بن مصطفى الكنز - وهو معروف بتخصصه في علوم اللغة وإجادته فيها وسعة اطلاعه على كتب اللغة والأدب، نحسبه كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا، وقد شارك في تحقيق عددًا من كتب التفسير وغيرها قبل ذلك - فقام بما يلي:

قام بمقابلة الكتاب على نسخة المتحف البريطاني، وأثبت الفروق الجوهرية بين النسختين، وأثبت ما سقط من نسخة الأصل، ونبَّه على ذلك في الهوامش.

قام بعد ذلك بتخريج الشواهد الشعرية من دواوين الشعراء وكتب اللغة والأدب وكتب التفسير وغيرها، مع ذكر البحور الشعرية لها، وربما ذكر

اختلاف روايات الشاهد إن كان هناك اختلاف.

وقام بتوثيق الآراء النحوية من مصادرها، والنقول اللغوية من معاجم اللغة، ونبَّه على بعض المعاني الدقيقة والفروق اللطيفة في استخدام الكلمات.

وقام بتخريج القراءات التي ذكرها المؤلف ونسبها إلى من قرأ بها من القراء، وربما ذكر توجيهها.

وترجم لبعض أعلام الشعراء والنحاة واللغويين الواردة في الكتاب.

عزا بعض الآيات القرآني المستشهد بها في التفسير إلى مواضعها من المصحف الشريف، وذكر بعض مواطن إحالات المؤلف.

ثم دُفع الكتاب إلى الأخوين عبد اللَّه بن سليمان ومحمد بن جمعة لعزو أحاديثه عزوًا سريعًا دون توسع.

وحرصًا على السداد أو المقاربة منه دُفع الكتاب بعد هذا الجهد الكبير المبذول فيه إلى الأخ/ حسين بن عكاشة - أحد المشتغلين بعلم الحديث النبوي الشريف الذين لهم دربة جيدة في تحقيق المخطوطات، وصبر وجلد على قراءتها، واطلاع واسع على كتب الحديث وغيرها، نحسبه كذلك ولا نزكي علي اللَّه أحد، وقد شارك في تحقيق عددًا كبيرًا من كتب الحديث والتفسير وغيرهما، وقد لاقت تحقيقاته قبولًا حسنًا في الأوساط العلمية بحمد اللَّه تعالى - فقام بما يلي:

قابل الكتاب على نسختيه مرة ثانية من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الدخان مقابلة حرفية، بحيث كان ممسكًا بالأصل الخطي ويُقرأ عليه المنسوخ، ثم عهد إلى الأخوين وليد أحمد ومجدي السيد بمقابلة ما بقي من

التفسير مرة أخرى.

قابل المواطن المشكلة على النسختين الخطيتين مرات عديدة.

راجع الكتاب، وعلق على بعض المواطن التي تحتاج إلى تعليق: من ذكر لتفسير آخر أقوى من اختيار المؤلف، أو تجلية لمسألة تعرض لها المؤلف، أو نقد لرأي، أو بيان لبعض الإسرائيليات المنكرة، أو تعليق على مسألة الناسخ والمنسوخ، أو نحو ذلك، فنقل كلام أئمتنا الأعلام فيما يتعلق بهذه الأمور، ملتزمًا في ذلك كله الاختصار غير المخل، إن شاء اللَّه.

ضبط أسانيد الأحاديث ومتونها، ونبَّه على ما وقع فيها من سقط أو تحريف أو تصحيف، ونبَّه على ما تكرر منها في الكتاب.

خرج أحاديث الكتاب، وتوسع في ذكر طرقها وعللها وكلام العلماء عليها، وقد كان هذا التوسع مقصودًا؛ لسبب ذكره في ترجمة يحيى بن سلام.

استوفى عزو الآيات القرآنية المستشهد بها في التفسير إلى مواضعها من المصحف الشريف، واستوفى مواطن إحالات المؤلف.

راجع تخريج القراءات، واستوفى تخريج ما لم يخرج منها، خصوصًا لم ينبِّه المؤلف على اختلاف القراء فيه، إنما ذُكر مخالفًا في الرسم لقراءة حفص، حيث أن المؤلف يقرأ بقراءة نافع - كما سيأتي - وقد وضعنا أعلى التفسير المصحف الشريف على قراءة حفص عن عاصم، وإنما ذكرت هذه القراءات حتى لا يتوهم أحد أنها أخطاء مطبعية.

كتبنا دراسة علمية كمدخل للكتاب، قسمناها إلى تقدمة، ومنهجنا في التحقيق، وثلاثة أبواب:

الباب الأول: خصصناه لترجمة ابن أبي زمنين، في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مصادر ترجمة ابن أبي زمنين.

الفصل الثاني: ترجمة مختارة لابن أبي زمنين.

الفصل الثالث: ثناء العلماء على ابن أبي زمنين.

الباب الثاني: خصصناه لدراسة «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين، في ثمانية فصول:

الفصل الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

الفصل الثاني: منهج ابن أبي زمنين في تفسيره.

الفصل الثالث: الشواهد عند ابن أبي زمنين.

الفصل الرابع: القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين.

الفصل الخامس: القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين.

الفصل السادس: المؤاخذات على تفسير ابن أبي زمنين.

الفصل السابع: إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام.

الفصل الثامن: التوصيف العلمي للنسخ الخطية.

الباب الثالث: خصصناه للكلام على يحيى بن سلام وتفسيره، في خمسة فصول:

الفصل الأول: مصادر ترجمة يحيى بن سلام.

الفصل الثاني: ترجمة مختارة ليحيى بن سلام.

الفصل الثالث: يحيى بن سلام بين الجرح والتعديل.

الفصل الرابع: أوهام يحيى بن سلام وأفراده.

الفصل الخامس: تفسير يحيى بن سلام.

ثم وضعنا في آخر هذه الدراسة صورًا ضوئية لبعض لوحات النسخ الخطية.

وقد اقتسمنا العمل في هذه الدراسة، فكتب الأخ محمد بن مصطفى الكنز «منهج ابن أبي زمنين في تفسيره» و«الشواهد عند ابن أبي زمنين» و«القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين» و«القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين» وكتب مسودات بعض الموضوعات الأخرى، ثم علق الأخ حسين بن عكاشة على بعض نقاط هذه الموضوعات في الهوامش، وزاد بعد الزوائد بين قوسين، وتصرف في بعض المواطن تصرفات يسيرة، وكتب باقي موضوعات الدراسة.

ثم عهد الأخ حسين بن عكاشة إلى الأخوين ياسر بن كمال ومجدي بن السيد أمين بعمل الفهارس العلمية للكتاب كما حددها لهم، وهي:

١- فهرس الأحاديث والآثار على ترتيب حروف المعجم.

٢- أطراف الأحاديث على ترتيب مسانيد الصحابة.

٣- فهرس القراءات الواردة في الكتاب على ترتيب السور.

٤- فهرس الأشعار على ترتيب القوافي.

٥- فهرس المواد اللغوية التي شرحها المؤلف.

٦- معجم شيوخ يحيى بن سلام.

وقد خوَّلنا مراجعة تجارب الكتاب إلى مجموعة من الإخوة العاملين بدار الكوثر - جزاهم الله خيرًا - قد كان لهم الفضل في التنبيه على كثير من

المواضع المشكلة التي تحتاج إلى مراجعة أو تعليق، وكذلك في ضبط بعض الكلمات التي ندَّت عن المحققِين، جزاهم اللَّه خيرًا جميعًا، ونخص منهم بالذكر الأخ الفاضل: أبا إسلام عبد العال بن مسعد، الذي كان له الجهد الأكبر في مقابلة تجارب الكتاب، ووضع كثيرًا من علامات الترقيم أيضًا.

ونتقدم بجزيل الشكر إلى أخينا الأكبر/ غنيم بن عباس بن غنيم صاحب دار الكوثر، الذي صوَّر لنا النسختين الخطيتين للكتاب، وعهد إلينا بتحقيق الكتاب، جزاه اللَّه خيرًا.

ونخص بالشكر كذلك الأخ/ محمود بن عطية الفقي الذي قام بالجمع التصويري للكتاب.

هذه الخطوط العامة لعملنا في الكتاب، نسأل اللَّه أن يُسدد خطانا في سبيل تحقيق كتب أئمتنا وإخراجها على أحسن الوجوه، وأن ينفعنا بها والمسلمين؛ إنه جواد كريم، والحمد للَّه رب العالمين.

الباب الأول
ابن أبي زمنين

الفصل الأول: مصادر ترجمة ابن أبي زمنين

الفصل الثاني: ترجمة ابن أبي زمنين.

الفصل الثالث: ثناء العلماء على ابن أبي زمنين.

الفصل الأول

مصادر ترجمة ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ[1]

«الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٢٧).

«إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لإسماعيل باشا البغدادي (١/ ٤٢٤).

«بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» للضبي (٨٧ - ٨٨).

«تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان (٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥).

«تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام» للذهبي (٢٤/ ٣٧٩ - ٣٨١).

«تاريخ التراث العربي»[2] لفواد سزكين (١/ ١٠٥ - ١٠٦).

«تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ١٠٢٩).

«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض (٤/ ٦٧٢ - ٦٧٤).

«جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» للحميدي (ص٥٣).

«الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون (٣٦٥ - ٣٦٦).

«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ١٨٨ - ١٨٩).

«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» لابن مخلوف (١/ ١٠١).

---

(١) رتبت المصادر ترتيبًا معجميًا على حسب أسمائها.

(٢) عزا بعضهم ترجمة لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ٨٠) ولم أقف عليها فيه في هذا الموطن ولا في غيره، والله أعلم.

«**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**» لابن العماد (٣/ ١٥٦).

«**الصلة**» لابن بشكوال (٢/ ٤٨٢ - ٤٨٤).

«**طبقات المفسرين**» للسيوطي (٨٩ - ٩٠).

«**طبقات المفسرين**» للداودي (٢/ ١٦٥ - ١٦٦).

«**العبر في أخبار من عبر**» للذهبي (٢/ ١٩٦).

«**الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه**» (١/ ٦٤).

«**معجم المؤلفين**» لعمر رضا كحالة (١٠/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

«**هدية العارفين**» (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٥٨).

«**الوافي بالوفيات**» للصفدي (٣/ ٣٢١)[1].

«**الوفيات**» للقسنطي (ص٢٢٥ - ٢٢٦).

---

(١) وقد فاتت ترجمته عدة كتب هو على شرطها، كـ «البداية والنهاية» لابن كثير، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان و«فوات الوفيات» للكتبي وغيرها.

الفصل الثاني

ترجمة ابن أبي زمنين

لما وقفت على تراجم ابن أبي زمنين في الكتب السابقة رأيت أن من أفضلها: ترجمة القاضي عياض له؛ فوقع اختياري لها لأثبت نصها، ثم أعلق عليها تعليقات نافعة - إن شاء اللَّه - فأقول:

قال القاضي عياض «في ترتيب المدارك» (٤/ ٦٧٢ - ٦٧٤):

أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن عيسى بن أبي زَمَنِين[١] المري[٢] إلبيري[٣] أصله من العدوة من نفزة[٤]، تفقه بقرطبة عند أبي إبراهيم، وسمع منه، ومن وهب بن مسرة، وابن الجزار القروي، وابن المشاط، وأبان بن عيسى بن محمد، وأحمد بن حزم، وابن فحلون، وابن الأحمر، وابن العطار صاحب الورد.

وسمع من أبيه، ومحمد بن قاسم بن هلال.

تفقه به أهل بلده وغيرهم.

وحدث عنه أبو زكريا القلعي، وأبو عمر بن الحذاء، وحكم بن محمد،

---

(١) بفتح الميم، ثم كسر النون. قاله الذهبي في «السير» (١٧/ ١٨٩).
وقال أبو عمرو الداني: سمعته يقول: أصلنا من تنيس. وسُئل: لم قيل لكم: بنو زمنين؟ فلم يعرف، وقال: كنت أهاب أبي؛ فلم أسأله. اهـ. «الصلة» (٢/ ٤٨٣).

(٢) المرية: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس. معجم البلدان (٥/ ١٤٠).

(٣) إلبيرة: بهمزة قطع، وبعضهم يقول: يلبيرة. وربما قالوا: لِبيرة. وهي كورة كبيرة من الأندلس، ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفيها عدة مدن. «معجم البلدان» (١/ ٢٨٩).

(٤) نفزة: بالفتح، ثم السكون، وزاي، مدينة بالمغرب بالأندلس. «معجم البلدان» (٥/ ٣٤٢).

وهشام بن سوار، والقاضي يونس، وحسين بن غسان، وأبو عبد اللَّه بن الحصار.

قال ابن عفيف: كان من كبار المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم.

قال ابن مفرج: كان من أجلّ أهل وقته حفظًا للرأي، ومعرفة بالحديث واختلاف العلماء، وافتنانًا في الأدب والأخبار، وقرض الشعر، إلى زهد وورع واقتفاء لآثار السلف، وكثرة العمل والبكاء والصدقة والمواساة بماله وبجاهه، وبيان ولهجة، ما رأيت قبله ولا بعده مثله، قدم قرطبة فسمع منه بها الناس سنة ثمان وسبعين.

قال الخولاني: كان رجلًا زاهدًا صالحًا من أهل الحفظ والعلم، آخذًا في المسائل، قائمًا بها، متقشفًا واعظًا له أشعار حسان في الزهد والحكم، له رواية واسعة، وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب في كل فن[(١)].

كتابه «**المغرب في اختصار المدونة وشرح مشكلها، والتفقه في نكت منها**» ليس في مختصراتها مثله باتفاق. قال ابن سهل: هو أفضل مختصرات المدونة وأقربها ألفاظًا ومعاني لها.

وكتاب «**المنتخب في الأحكام**»[(٢)] الذي ظهرت منفعته، وطار بالمشرق

---

(١) ذكر مصنفاته كما هنا ابن فرحون في «الديباج المذهب» والداودي في «طبقات المفسرين» وذكر أغلبها الذهبي في «تاريخ الإسلام» وذكر بعضها في «السير» وذكر بعضها السيوطي في «طبقات المفسرين».

(٢) له نسختان خطيتان في مدريد:
الأولى: رقم (٣٩) تقع في (١٠٨) ورقة نسخت سنة (٥٢٦هـ).
والثانية: رقم (٣/٩٨) تقع في (٣٠) ورقة، كتبت في القرن السادس الهجري. وطبع في الجزائر سنة (١٣٠٨هـ).
«تاريخ الأدب العربي» (٢/ ٤٠٥) و«تاريخ التراث العربي» (١/ ١٠٦).

والمغرب ذكره.

وكتاب «**المهذب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ**».

وكتاب «**المشتمل**» في علم الوثائق.

وكتاب «**مختصر تفسير ابن سلام للقرآن**»[(١)].

وكتاب «**حياة القلوب**» في الرقائق والزهد.

وكتاب «**أنس المريد**»[(٢)] في مثله.

وكتاب «**أدب الأسلام**».

وكتاب «**أصول السنة**»[(٣)].

وكتاب «**قدوة الغازي**»[(٤)].

وكتاب «**منتخب الدعاء**».

وكتاب «**المواعظ**».

وكتاب «**النصائح المنظومة**» من شعره.

وله شعر في المواعظ والرقائق والزهد كثير جدًّا حسن، فمنه قوله:

---

(١) وهو كتابنا هذا، وسيأتي الكلام عليه مفصلًا.

(٢) وقع في «الديباج المذهب» و«طبقات المفسرين» للداودي: «أنس المريدين» وفي هدية العارفين: «أنس الوحيد».

(٣) نسخته الخطية في سراي ريفان كوشك (٥١٠/ ٢) من (٢٦أ - ٤٦أ) كتبت سنة (١٠٨٤هـ).
تاريخ الأدب العربي (٢/ ٤٠٤) وتاريخ التراث العربي (١/ ١٠٦).
وقد طبع بتحقيق عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن حسين البخاري، في مكتبة الغرباء الأثرية.

(٤) نسخته الخطية في مدريد (٥٧٥/ ٤) في أربع ورقات.
«تاريخ الأدب العربي» (٢/ ٤٠٥)، و«تاريخ التراث العربي» (١/ ١٠٦).

أيها المرء إن دنياك بحر طامح موجه فلا تأمننها
وطريق النجاة منها مبين وهو أخذ الكفاف والقوت منها.

وقوله:

خليلي أنا للذي تعلمانه زمان التصابي وانطلاق عنانه
شديد الجوي جم الأسى محرق الحشى فهل من مجير مخبر بأمانه
وإني مجير عند من قد عصيته فيا أسفي إن لم يجد بحنانه

وقوله:

وذي لوعة راحت زفراته إذا ما سطت في قلبه خطراته
له في دجى الأظلام خلوة مخلص تذكره فيها الجحيم هناته
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له عجائبه زادت له عبراته
وإن لحظت عين المبين سعادة سعت خوفه من مائها لحظاته
بنفسي وليّ أنسه بمليكه وفي ذكره أصباحه وبياته

وتوفي بإلبيرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، مولده آخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وخلف ابنًا من الصالحين اسمه أحمد رحمه الله. اهـ.

قلت: ومن جيد شعره رحمه الله قوله(١):

المَوْتُ فِي كل حين يَنْشُر الكفنا وَنَحْنُ فِي غفْلة عمّا يُراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وزُخْرفها وإن توشَّحت من أثْوَابهَا الحسنَا
أين الأحبةُ والجِيرَانُ مَا فَعلوا أيْنَ الذين هُمُوا كَانُوا لنا سَكَنَا
سَقَاهُم الدَّهر كأسًا غيرَ صَافِية فَصَيَّرَتْهُم لأطْبَاق الثرَى رُهُنَا

---

(١) ذكره له الحميدي في «الجذوة» (ص٧٥) والضبي في «البغية» (ص٨٨) وابن بشكوال في «الصلة» (٢/ ٤٨٤) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ٣٨٠).

الفصل الثالث

ثناء العلماء علي ابن أبي زمنين

قلت: استفاض ثناء العلماء على ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ فمن ذلك - سوى ما تقدم -:

قال الإمام أبو عَمْرو الداني[١]: كان ذا حفظ للمسائل، حسن التصنيف، وله كتبٌ كثيرٌ ألفها في الوثائق والزهد والمواعظ منها شيء كثير، ووُلَع الناس بها، وانتشرت في البلدان، وكان يقرض الشعر ويجود صوغه، وكان كثيرًا ما يدخل أشعاره في توليفه فيحسنها به، وكان له حظ وافر من علم العربية، مع حسن هدي، واستقامة طريق، وظهور نسك، وصدق لهجة، وطيب أخلاق، وترك للدنيا، وإقبال على العبادة، وعمل للآخرة، ومجانبة للسلطان، وكان من الورعين البكائين الخاشعين. اهـ

وقال القاضي أبو عُمَر بن الحذاء[١]: لقيته بقرطبة سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة، وأجاز لي جميع روايته وتواليفه، وكان ذا نية حسنة، وعلى هدي السلف الصالح، وكان إذا سَمِعَ القرآن وقُرِى عليه ابتدرت دموعه على خديه. اهـ

وقال الحميدي[٢]: فقيه مقدَّم، وزاهد مُتبتِّل، له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين على طريقة كتب ابن أبي الدنيا، وأشعار كثيرة في نحو ذلك[٣]. اهـ

---

(١) نقله ابن بشكوال في «الصلة» (٢/ ٤٨٣).

(٢) «جذوة المقتبس» (ص ٥٦ - ٥٧).

(٣) نقلها الضبي في «بغية الملتمس» (ص ٨٧).

وقال أبو عبد الله الخولاني[١]: وكان مع علمه وزهده من أهل السنة متبعًا لها. اهـ

وقال الذهبي[٢]: كان عارفًا بمذهب مالك بصيرًا به ... وكان من الراسخين في العلم، متفننًا في الأدب والشعر، مقتفيًا لآثار السلف، له مصنفات في الرقائق والزهد، وشعر رائق، مع زهد ونسك وصدق لهجة، وإقبال على الطاعة، ومجانبة للسلطان ... وكان من بقايا حملة الحجة رَحِمَهُ اللَّهُ. اهـ

وقال الذهبي[٣] **أيضًا**: الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة ... تفقَّه بإسحاق الطليطلي، وتفنَّن، واستبحر من العلم، وصنف في الزهد والرقائق، وقال الشعر الرائق، وكان صاحب جدٍّ وإخلاص ومجانبة للأمراء. ثم قال: وكان من حملة الحجة. اهـ.

وقال[٤] **أيضًا**: الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي نزيل قرطبة وشيخها ومفتيها، وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد ... كان راسخًا في العلم، مفننا في الآداب، مقتفيًا لآثار السلف، صاحب عبادة وإنابة وتقوى، عاش خمسًا وسبعين سنة، وتوفي في ربيع الآخر، ومن كتبه «اختصار المدونة» ليس لأحدٍ مثله. اهـ

وقال الصفدي[٥]: الإمام أبو عبد الله ... كان عارفًا بمذهب مالك،

---

(١) نقله ابن بشكوال في «الصلة» (٢/ ٤٨٤).
(٢) «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ٣٧٩ - ٣٨١).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٨٨ - ١٨٩).
(٤) «العبر» (٢/ ١٩٦) ونقلها بنصها ابن العماد في «الشذرات» (٣/ ١٥٦).
(٥) «الوافي بالوفيات» (٣/ ٣٢١).

متفننًا في الأدب والشعر، مقتفيًا لآثار السلف.

وقال ابن فرحون[١]: هو من المفاخر الغَرْناطية، كان من كبار المحدثين، والعلماء الراسخين، وأجلّ أهل وقته قدرًا في العلم والرواية والحفظ للرأي، والتمييز للحديث، والمعرفة باختلاف العلماء، متفننًا في العلم والآداب، مضطلعًا بالإعراب، قارضًا للشعر، متصرفًا في حفظ المعاني والأخبار، مع النسُك والزهد والاستنان بسنن الصالحين، أمةً في الخير، عالمًا عاملًا، متبتلًا متقشفًا، دائم الصلاة والبكاء، واعظًا مذكِّرًا بالله، فاشي الصدقة، معينًا على النائبة، مواسيًا بجاهه وماله ذا لسان وبيان، تُصْغي إليه الأفئدة، ما رُئي بعده مثله . . . وكان من كبار الفقهاء والمحدثين والراسخين في العلم، وكان متفننًا في الأدب، وله قرض الشعر، إلى زهدٍ وورع واقتفاء لآثار السلف، وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب. اهـ.

وقال السيوطي[٢]: الإمام أبو عبد الله الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين، كان عارفًا بمذهب مالك بصيرًا به، ومن الراسخين في العلم، متفننًا في الأدب والشعر مقتفيًا لآثار السلف، مع الزهد والنسك، وصدق اللهجة، والإقبال على الطاعة، ومجانبة السلطان.

وقال ابن مخلوف[٣]: الفقيه الحافظ، إمام المحدثين، وقدوة العلماء الراسخين، كان من أجل أهل زمانه قدرًا في العلم والرواية والحفظ، مع التفنن في العلوم والزهد، والاستنان بسنة الصالحين اهـ.

---

(١) «الديباج المذهب» (ص٣٦٥) ونقلها بنصها الداودي في «طبقات المفسرين» (٢/ ١٦٥ - ١٦٦).

(٢) «طبقات المفسرين» (ص ٨٩ - ٩٠).

(٣) «شجرة النور الزكية» (ص١٠١).

الباب الثاني
تفسير ابن أبي زمنين

الفصل الأول: توثيق نسبته إلى مؤلفه.

الفصل الثاني: منهج ابن أبي زمنين في تفسيره.

الفصل الثالث: الشواهد عند ابن أبي زمنين.

الفصل الرابع: القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين.

الفصل الخامس: القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين.

الفصل السادس: المؤاخذات على تفسير ابن أبي زمنين.

الفصل السابع: إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام.

الفصل الثامن: التوصيف العلمي للنسخ الخطية.

الفصل الأول

توثيق نسبة التفسير إلى ابن أبي زمنين

لا شك في نسبة هذا التفسير إلى ابن أبي زمنين، ومن الأدلة على صحة هذه النسبة:

ما جاء على غلافي النسختين الخطيتين المعتمدتين في تحقيق الكتاب، فقد اتفقتا على نسبته إلى ابن أبي زمنين، وسيأتي توصيف النسخ مفصلًا في بابه.

ما جاء في بداية النسختين كلتيهما، حيث اتفقتا على ذلك.

إسناد المؤلف إلى يحيى بن سلام إسناد معروف روى به ابن أبي زمنين عدة أحاديث في كتابه «أصول السنة» وروى عنه الإمام أبو عَمْرو الداني في كتابه «السنن الواردة في الفتن» أحاديث كثيرة بهذا الإسناد، وقد أثبت ذلك في تخريجي لأحاديث التفسير مفصلًا، وستأتي تراجم رجال الإسناد مفصلة كذلك.

جاء في أول التفسير: «قال أبو عُمَر: قُرئ على أبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أبي زمنين بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة».

وهذا يتفق تمامًا مع الواقع، فأبو عمر هو القاضي أبو عمر بن الحذاء قال في كلامه على ابن أبي زمنين: «لقيته بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وأجاز لي جميع روايته وتواليفه»[1].

نقل القرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٣٠) من هذا التفسير مصرحًا باسم المؤلف

---

(١) نقله عنه ابن بشكوال في «الصلة» (٢/ ٤٨٣).

ابن أبي زمنين، وكذلك نقل منه ابن بطال في «شرح البخاري» مصرحًا باسم المؤلف[١].

نسب هذا التفسير إلى ابن أبي زمنين جمع ممن ترجم له منهم : القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٤/ ٦٧٣) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ٣٨٠) وفي «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٨٨) وابن فرحون في «الديباج المذهب» (ص٣٦٦)[٢] والسيوطي في «طبقات المفسرين» (ص٩٠) والداودي في «طبقات المفسرين» (٢/ ١٦٦) والزركلي في «الأعلام» (٦/ ٢٢٧) وكحالة في «معجم المؤلفين» (١٠/ ٢٢٩) وكارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (٢/ ٤٠٤) وفؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» (١/ ١٠٨) وغيرهم.

هذا كله لا يدع مجالًا للشك في نسبة هذا التفسير إلى ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) نقله عنه ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٦٠٨).

(٢) نسب له ابن فرحون وتبعه الداودي كتابين في التفسير الأول: «تفسير القرآن» والثاني: «مختصر تفسير ابن سلام» وأظنهما كتابًا واحدًا، والله أعلم.

الفصل الثاني

منهج ابن أبي زمنين في تفسيره

لقد كفانا ابن أبي زمنين مُؤْنة البحث عن ملامح منهجه، حيث ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة تفسيره؛ فقال:

«وبعد، فإني قرأت كتاب يحيى بن سلام في تفسير القرآن، فوجدت فيه تكرارًا كثيرًا وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير دونها، فطال بذلك الكتاب، وإنه للذي خُبرته من قلّة نشاط أكثر الطالبين للعلوم في زماننا هذا، إلا إلى ما يخف في هذا الكتاب على الدارس، ويقرب للمقيد - نظرت فيه فاختصرت مكرره وبعض أحاديثه، وزدت فيه من غير كتاب يحيى تفسير ما لم يفسّره يحيى، وأتبعت ذلك إعرابًا كثيرًا ولغة على ما نقل عن النحويين وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل، زائدًا على الذي ذكره يحيى من ذلك».

وإذا قمنا بتحليل ما قاله ابن أبي زمنين وجدناه يشتمل على ثلاثة معالم رئيسية:

أولاً: أنه ذكر سبب اختصاره لتفسير يحيى بن سلام؛ وهو أنه وجد فيه تكرارًا كثيرًا وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير بدونها حتى طال الكتاب بذلك التكرار، بحيث لا يتناسب وقلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم الذين يبحثون عما يخف ويقرب.

ثانيًا: أنه ذكر منهجه، وهو اختصار المكرر، واختصار بعض الأحاديث.

ثالثًا: أنه أضاف زيادات على تفسير يحيى بن سلام، وتشمل هذه الزيادات

الكلام على تفسير ما لم يفسره يحيى من الآيات، ووجوه الإعراب، والقراءات وما أشكل من اللغات، وأن هذه الزيادات منقولة أصلًا عن أئمة النحو واللغة.

(وقد مُيزت زيادات ابن أبي زمنين على تفسير يحيى بأن أولها «قال محمد» يعني: ابن أبي زمنين).

وبنظرة مدقّقة للتفسير نجد أن هناك خطوطًا بارزة كونت طريقةً خاصة لابن أبي زمنين في تفسيره؛ حيث يسير التفسير من مبتدئه إلى منتهاه على نسق واحد لا يعدوه فيمزج المصنف بين الآيات وتفسيرها، عن طريق تقطيع الآية إلى أجزاء يعقب كل جزء تفسيره، وقد يكون هذا الجزء المقتطع كلمة أو أكثر، حتى تخال الكلام واحدًا، ممزوجة فيه الآيات بتفسيرها، وأحيانًا يفصل بين الألفاظ القرآنية وتفسيرها بقوله: (يعني) أو (أي) ويتخلل ذلك بيان أقوال المفسرين من الصحابة أو التابعين، ثم يتعرض للمعاني المعجمية، وما ورد من لغات للفظ المفسَّر، مصحوبًا ببيان المفرد والجمع، أو المذكر والمؤنث.

ثم يفضّ المصنف إشكالًا نحويًا قد يقع لِلَبْسٍ أو غموض، فيقوم ببيان الوجه الإعرابي، وعلاقة هذا التوجه بمعناه الدلالي المتفق وتفسير الآية.

كل ذلك مصحوبًا بوجوه القراءات القرآنية المختلفة، مع توجيه كل قراءة نحويًا ومعجميًا ودلاليًا، لبيان المعني المتفق والتفسير.

وقد تكون هذه القراءات للصحابة، أو التابعين، أو تكون قراءة سبعية أو عشرية، ثم إنه لا يستطرد في بيان الوجوه النحوية أو وجوه القراءات إلا في القليل.

ويُعقب المصنف ذلك ببيان الأحاديث والآثار التي وردت بشأن هذه الآية،

متضمنًا ذلك الحديث عن الناسخ والمنسوخ، والمدني والمكي، وأسباب النزول، وغير ذلك من مباحث علوم القرآن.

وهناك ملمح آخر يتعلق بمنهجه في التفسير؛ وهو الإكثار من الإحالة على السابق؛ وذلك خشية التكرار.

ومن أمثلة هذه الإحالات ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ [الأنعام: ١٣٨].

قال محمد: وهو ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقد مضى تفسير هذا[١].

وكذلك ما أورده عند تفسير قوله عز وجل: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قال محمد: قد مضى تفسير: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾[٢].

إلى غير ذلك من هذه الإحالات التي يطالعها من يقرأ هذا التفسير، ولعل ذلك يتفق ومنهجه الذي أخذه على نفسه منذ البدء من الاختصار وعدم التكرار والإطالة.

(فالسمة العامة لهذا التفسير هي الإيجاز وسهولة العرض، وعدم الخوض في الخلافات الفرعية التي من الأحسن أن تذكر في مكان آخر؛ فمثلًا يترك ابن أبي زمنين الخوض في اختلاف الفقهاء في بعض الأحكام ويحيلها على كتب الأحكام، كما قال في تفسير سورة النساء (الآية: ١٠٢): ذكر يحيى سُنة

---

(١) حيث يريد المصنف قوله عز وجل: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ [المائدة: ١٠٣].

(٢) حيث يريد المصنف قوله عز وجل: ﴿فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد﴾ [البقرة: ١٧٣].

صلاة الخوف، ونقل فيها اختلافًا؛ فاختصرت ذلك إذ له موضعه من كتب الفقه. اهـ.

وقال في آخر تفسير سورة النساء: ذكر يحيى في هذه السورة مسائل من الفرائض فاختصرت كثيرًا منها؛ إذ للفرائض بأسرها مواضعها من كتب الفقه، ولا توفيق إلا بالله. اهـ

وكذلك عند ذكره للاختلافات النحوية إنما يشير إليها إشارة دون تفصيل للخلاف ومناقشة الآراء المختلفة.

وهكذا يسير هذا التفسير بيسر وسهولة مع عمق فهم وأصالة استدلال، فهو حقًّا تبصرة للمبتدئ، وتذكرة للمنتهي في تفسير القرآن العزيز، يفتح لقارئه أبوابًا من العلم بدقائق إشاراته وإيجاز عبارته؛ لينهل بعد ذلك من مطولات كتب التفسير، وإذا كان ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ - وقد عاش في القرن الرابع الهجري - قد خبر قلة نشاط الطالبين للعلوم في زمانه، فكيف بنا ونحن نعيش في القرن الخامس عشر)؟!

الفصل الثالث

الشواهد عند ابن أبي زمنين

تتعدد الشواهد عند ابن أبي زمنين في تفسيره لتشمل الشواهد النثرية، والمرويات الشعرية، والتي يمكن تفصيلها فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم بقراءاته.

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف والآثار.

ثالثًا: أقوال العرب الفصحاء.

رابعًا: المرويات الشعرية.

وكانت تُساق هذه الشواهد للاحتجاج لقراءة قرآنية، أو لوجه نحوي، أو لمعنى لغوي.

وإذا أردنا أن نجمل منهج ابن أبي زمنين في عرض هذه الشواهد فإنه يمكننا أن نلحظ ما يلي:

أحيانًا كان يعزو القراءة إلى قارئها، وأحيانًا أخرى يغفل ذلك.

كان لا يستطرد في ذكر أوجه القراءات المختلفة، وأحيانًا يفصِّل بعض الشيء.

كان يحتج للقراءة القرآنية بالمعاني المعجمية.

كان يوجِّه القراءة التي يذكرها إمَّا نحويًا وإما لغويًا.

ابن أبي زمنين لكونه مغربيًا يقرأ بقراءة نافع، وكان أحيانًا ينص على عزو القراءة إليه، وأحيانًا أخرى لا يفعل ذلك.

تتراوح القراءات المذكورة في هذا التفسير بين قراءات الصحابة والتابعين والسبعة والعشرة.

كان ينسب الشاهد الشعري لقائله، وأحيانًا يغفل ذلك .

هذه هي الخطوط العريضة لمنهجه في عرض الشواهد المختلفة، وفيما يلي تفصيلها:

أولًا: القرآن الكريم بقراءاته

(**أما الآيات القرآنية** فكان يستشهد بها في تفسيره؛ لأن أصح طرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فُسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في مكان آخر)[١].

وأما **القراءات**، فلابد أولًا من معرفة ضابط صحة القراءة وقبولها، قال ابن الجزري في «طيبة النشر»:

وكل ما وافق وجه النحو	وكان للرسم احتمالا يحوي
وصح إسنادًا هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت	شذوذه لو أنه في السبعة

وشرح ذلك في كتابه «النشر في القراءات العشر» فقال:

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، وصح سندها؛ فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن؛ ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦٣)، ومقدمة «تفسير ابن كثير» (١/ ٣).

المقبولين؛ ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عَمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يُعرف عن أحد منهم خلافه. اهـ.

وقد أكثر ابن أبي زمنين من ذكر القراءات، فمن ذلك :

١- قراءات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

حفل تفسير ابن أبي زمنين بكثير من القراءات الواردة عن الصحابة، ولعل في ذلك إفادة كبيرة للباحثين المهتمين بجمع قراءاتهم ودراستها وتحليلها علميًا، وعقد المقارنات بينها.

ومن الملاحظ على هذه القراءات أن المصنف كان يعزوها إلى قرائها من الصحابة، أو يذكر من عزاها إليهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ [المائدة: ٨٩]. قال محمد: قال قتادة: وهي في قراءة ابن مسعود: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)(١).

---

(١) وقد عزيت هذه القراءة أيضًا إلى أُبي بن كعب رضي الله عنه.
ينظر «البحر المحيط» (٤/ ١٢) و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٨) واقتصر القرطبي في تفسيره (٦/ ٢٨٣) على ابن مسعود وحده.

٢- قراءات عن التابعين:

كما ورد في قوله تعالى: ﴿فالق الإصباح﴾ [الأنعام: ٩٦] قال محمد: وكان الحسن يقرؤها: (الأصباح) جمع: صبح[١].

ومثله عند قوله تعالى: ﴿فمستقر ومستودع﴾ [الأنعام: ٩٨] قال محمد: وكان الحسن يقرؤها: (فمستقِر) بكسر القاف (ومستودَع) وتفسيرها: مستقر في أجله، ومستودَع في قبره من يوم يوضع فيه إلى يوم البعث[٢].

٣- عزو القراءات إلى قُرَّائها:

لابن أبي زمنين طريقتان في ذلك، إذ كان يعزو - أحيانًا - القراءة لقارئها، وأحيانًا لا يغفل ذلك.

ومن أمثلة القراءات التي لم يعزها ما ورد عند قوله تعالى: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] قال محمد: من قرأ: (ربنا) بالخفض فهو على النعت والثناء، ومن قرأ: (فتنتهم) بالنصب فهو خبر (تكن) والاسم (إلا أن قالوا)[٣].

حيث نلاحظ مما سبق أن ابن أبي زمنين اقتصر على ذكر وجه القراءة دون عزوها إلى قارئها، مع توجيه كل قراءة التوجيه النحوي اللازم لها[٤].

---

(١) «البحر المحيط» (٤/ ١٨٥)، «الدر المصون» (٣/ ١٣٢).

(٢) «النشر» (٢/ ٢٦٠)، «البحر» (٤/ ١٨٨ - ١٨٩)، «الدر المصون» (٣/ ١٣٦).

(٣) قرأ (ربنا) بالخفض السبعة إلا حمزة والكسائي، وقرأ (فتنتهم) بالنصب السبعة إلا ابن كثير وابن عامر وحفصًا؛ فقد قرءوا بالرفع. ينظر «السبعة» (٢٥٥)، «النشر» (٢/ ٢٥٧)، «التيسير» (ص ١٠٢).

(٤) ينظر التوجيه النحوي مفصلًا في «البحر المحيط» (٤/ ٩٥).

٤- توجيه القراءات توجيهًا نحويًا:

كما في توجيه قراءة: (خالصة) من قوله تعالى: ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [الأعراف: ٣٢] قال محمد: من قرأ: (خالصة) بالرفع فهو على أنه خبر بعد خبر، المعنى: قل: هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، ومن قرأ بالنصب فعلى الحال[١].

ومن الملاحظ على هذا التوجيه هو الاقتصار على تخريج نحوي واحد، دون الدخول في تفصيلات النحاة الواسعة[٢].

غير أنه في بعض الأحيان قد يتعدد التوجيه النحوي، كما في توجيه (زحفًا) من قوله تعالى: ﴿إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا . . .﴾ [الأنفال: ١٥] قال محمد: الزحف جماعة يزحفون إلى عدوهم بمرة؛ أي: ينقضون، وقد يكون الزحف مصدرًا من قولك: زحفت[٣].

وكذلك في توجيه قوله تعالى: ﴿متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة﴾ [الأنفال: ١٦] قال محمد: يجوز أن يكون النصب على الحال، ويجوز أن يكون على الاستثناء[٤].

٥- توجيه القراءات توجيهًا دلاليًا:

كما في قوله تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللَّه يجحدون﴾ [الأنعام: ٣٣] قال محمد: من قرأ: (لا يكذبونك) بالتخفيف

---

(١) قرأ نافع وحده بالرفع، وباقي السبعة بالنصب - «البحر» (٤/ ٢٩١).
(٢) ينظر تفصيل ذلك في «إعراب القرآن» (١/ ٦٠٩)، «الدر المصون» (٣/ ٢٦٠).
(٣) «لسان العرب» (زحف).
(٤) أي: نصب (متحرفًا - متحيزًا). ينظر: «البحر المحيط» (٤/ ٤٧٥)، «الدر المصون» (٣/ ٤٠٨).

فالمعنى: لا يلفونك كاذبًا، ومن قرأ: (يكذِّبونك) فالمعنى: لا ينسبونك إلى الكذب[١].

حيث نلاحظ أنه رَحِمَهُ اللَّهُ اقتصر على ذكر وجه القراءة دون عزوها إلى قارئها، ومن ناحية أخرى فقد وجَّه كل قراءة توجيهًا دلاليًا يوضح المراد، ويجلو المعنى[٢].

وغير ذلك كثير، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن هذا صنيع ابن أبي زمنين في غالب تفسيره.

٦- تجويده لبعض القراءات:

كان ابن أبي زمنين يجوِّد بعض القراءات مما يعني أنه اختارها ورجّحها على غيرها، ومن أمثلة ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿فاتخذتموهم سخريًا﴾ [المؤمنون: ١١٠] قال محمد: الأجود في قراءة: (اتخذتموهم) إدغام الذال في التاء؛ لقرب المخرجين في الذال والتاء، وإن شئت أظهرت. اهـ.

حيث عبر بقوله: (الأجود) وهو يدل على اختياره لها، وترجيحها على سواها[٣].

---

(١) قرأ بالتخفيف نافع والكسائي، وقرأ الباقون بالتشديد. ينظر: «السبعة» (ص ٢٥٧)، «النشر» (٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) ينظر - بتوسع -: «البحر المحيط» (٤/ ١١١)، «كشف المشكلات» (١/ ٣٩٤).

(٣) وقراءة الإدغام هي قراءة السبعة إلا ابن كثير وحفصًا. ينظر: «النشر» (٢/ ١٥ - ١٦)، «إتحاف الفضلاء» (ص٣٢٠).

ثانيا: الحديث النبوي الشريف والآثار

أغلب أحاديث الكتاب رواها ابن أبي زمنين عن يحيى بإسناده، وإيراد هذه الأحاديث بأسانيدها، له فائدة عظيمة في معرفة أسانيد تلك الأحاديث، وكون كثير من هذه الأحاديث غرائب مما يزيد في قيمة الكتاب عند طلبة الحديث النبوي، ويكفي أن تعرف أن بعض أحاديث هذا التفسير الذي بين يديك لم يقف عليها حفاظ أكابر؛ مثل الحافظ زين الدين العراقي في تخريجه لإحياء علوم الدين، والحافظ جمال الدين الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشاف، والحافظ شهاب الدين بن حجر في «الكاف الشاف في تخريج الكشاف» وغيرهم، كما صرحوا في بعض هذه الأحاديث بذلك.

وطالب علم الحديث سيجد في هذا الكتاب - إن شاء اللَّه تعالى - فوائد جمة في الأسانيد والمتون - فكم من متن مشهور معلوم لطلبة العلم، رواه يحيى بإسنادٍ غريب لم أستطع الوقوف عليه مع البحث والتحري، وكم من متن لا تجد له إسنادًا في غير هذا الكتاب - مع ما أضيف إليه في التخريج من الفوائد الحديثية في بيان الطرق وشرح اختلافها وبيان عللها، وكلام أئمة الحديث عليها، بما ينشرح له صدره - إن شاء اللَّه تعالى.

وأورد بعض الأحاديث معلقة أو ذكرها عن يحيى بن سلام بلاغًا بغير إسناد، وهي أحاديث قليلة، ولم أتوسع في تخريج هذه الأحاديث، خصوصًا ما كان منها من مراسيل الكلبي في أسباب النزول ونحوه؛ فإن حال الكلبي معلوم لطلبة العلم.

وهذه الأحاديث التي وردت في ثنايا تفسير ابن أبي زمنين كان الغرض منها ما يلي:

بعضها يشتمل على تفسير بعض الآيات صراحة، حيث فسَّرها رسول اللَّه ﷺ بنفسه؛ فالسنة شارحة للقرآن وموضحة له[(١)]؛ بل قد قال الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول اللَّه ﷺ فهو مما فهم من القرآن، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[(٤)].

وبعضها كان لبيان أسباب نزول الآيات، (ومعرفة سبب النزول هام جدًا في فهم الآيات؛ لذلك فقد اعتنى المفسرون بذكر أسباب النزول، وألف في أسباب النزول مفردًا جماعة من العلماء منهم: الواحدي، والجعبري، وابن حجر وسماه «العجاب في بيان الأسباب» - ولم يتم - والسيوطي وسماه «لباب النقول في أسباب النزول» وللشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ «الصحيح المسند من أسباب النزول».

وما صح في أسباب النزول قليل بالنسبة إلى ما روي فيه، فإن كثيرًا من أحاديث أسباب النزول المتصلة أسانيدها ضعيفة، وكثيرًا من أحاديث أسباب النزول تروى مرسلة أو معضلة، واللَّه - سبحانه - وحده يعلم الجهد المبذول في تخريج أسباب النزول في هذا التفسير، ومن قبله تفسير أبي المظفر

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦٣ - ٣٦٤) و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣).
(٢) النساء: ١٠٥ .
(٣) النحل: ٤٤ .
(٤) النحل: ٦٤ .

السمعاني - الذي خرجته منذ خمسة أعوام تقريبًا - خصوصًا مع عدم توافر عدد كبير من كتب التفسير المسندة؛ كتفسير أبي الشيخ الأصبهاني، والتفسير الكبير لابن مردويه، وتفسير الثعلبي، ومن قبلهما تفاسير الأئمة المتقدمين؛ كتفسير وكيع بن الجراح، و تفسير سعيد بن منصور - لأن المطبوع منه غير كامل حتى الآن - وتفسير سنيد بن داود، وتفسير عبد بن حميد، وتفسير ابن المنذر، وباقي تفسير ابن أبي حاتم، وغيرها من التفاسير المسندة).

وبعضها لزيادة إيضاح الآيات، من باب التفسير بالمأثور.

(وبعضها يُذكر من باب تداعي المعاني، وبطريقة أخرى: من باب الشيء بالشيء يُذكر؛ حيث تدور الآيات في موضوع ما، ثم يعضدها المصنف بأحاديث من نفس الباب.

والأمثلة على ذلك كثيرة مبسوطة في ثنايا التفسير.

(وبعضها يذكر لبيان بعض القراءات.

وأما الآثار التي وردت في ثنايا التفسير؛ فقد وردت في التفسير لنفس الأغراض التي وردت الأحاديث من أجلها تقريبًا، وورد بعضها مسندًا وبعضها معلقًا بغير إسناد، ولم ألتزم تخريج كل هذه الآثار؛ إنما خرجت أغلب المسند منها، خصوصًا ما رُوي مرفوعًا في غير هذا الكتاب).

ثالثًا: أقوال العرب الفصحاء

وأما هذا النوع من الشواهد؛ فقد احتج به ابن أبي زمنين في تفسيره، وبخاصة عند الاحتجاج لما أُشكل من ألفاظ الآيات القرآنية، وبعضها للاحتجاج للقضايا النحوية؛ وفيما يلي أمثلة على ذلك:

١- ما ورد عند قوله تعالى: ﴿لئن لم تنته لأرجمنك﴾ [مريم: ٤٦] قال محمد: تقول العرب: فلان يرمي فلانًا، وفلان يرجم فلانًا، بمعنى واحد، يريدون الشتم.

ومن الملاحظ على هذا الاستشهاد الاقتصار على نقل دلالة (رجم) عن العرب، دون الدخول في تصريفه معجميًا؛ حيث يقال: رَجَمه يَرْجُمه رَجْمًا فهو رجيم ومرجوم[(١)].

٢- وما ورد عند قوله تعالى: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون للّه﴾ [المؤمنون: ٨٦] قال محمد: وكان الكسائي يحكي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلان - بمعنى: هي لفلان.

٣- وما ورد عند قوله: ﴿فبما رحمة من اللّه لنت لهم﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال محمد: من كلام العرب: اخفض جناحك يعني: ألن جناحك[(٢)].

٤- وأورد أيضًا لغة لأهل كنانة؛ وهي من القبائل العربية المعتد بها في التقعيد اللغوي، وهذه اللغة هي لزوم المثنى الألف في الرفع، والخفض والنصب على لفظ واحد، وذلك عند قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ [طه: ٦٣] قال محمد: قوله: (هذان) بالرفع، ذكر أبو عبيد أنها لغة لكنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والخفض والنصب على لفظ واحد، ولأهل العربية فيه كلام كثير، واختلاف يطول ذكره، غير الذي ذكره أبو عبيد[(٣)].

---

(١) «لسان العرب» (رجم).
(٢) «لسان العرب» (خفض).
(٣) «البحر المحيط» (٦/ ٢٥٥)، «إعراب القرآن» (٢/ ٣٤٣)، «الخصائص» (٣/ ٦٥).

رابعًا: المرويات الشعرية

احتج ابن أبي زمنين كثيرًا بالشواهد الشعرية، شأنه في ذلك شأن كثير من نحاة العربية، ومفسِّري القرآن الكريم الذين يحتجون بأقوال العرب شعرًا ونثرًا؛ لإثبات معنى لغوي، أو وَجْه نحوي، أو قراءة قرآنية.

ولم يخرج ابن أبي زمنين عن هذا الإطار الذي رسمه السابقون، حيث دارت احتجاجاته الشعرية في هذا الفلك.

ولم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يلتزم طريقة واحدة في عزو الشاهد الشعري إلى قائله، فأحيانًا يعزو، وأحيانًا لا يعزو.

وفيما يلي بعض الأمثلة التي تؤيد صحّة ما قلناه:

١- عند قوله عز وجل: ﴿لقد جئت شيئًا فريًّا﴾ [مريم: ٢٧] قال محمد: يقال: فلان يفري الفَرِيَّ إذا عمل عملًا أو قال قولًا فبالغ فيه، كان في خير أو شر، وأنشد بعضهم:

ألا رب من يدعو صديقًا ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفري(١)

حيث نلاحظ على هذا الشاهد أن المصنف:

* أورده احتجاجًا لمعنى لغوي، هو معنى كلمة (فريًّا) في الآية.

* أورده دون عزو إلى قائله؛ بل اكتفى بقوله: وأنشد بعضهم .

٢- عند قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] قال محمد: قوله: (خلفة) يعني: يخلف هذا هذا، ومثله قول زهير:

---

(١) ينظر: «البيان والتبيين» (١/ ٥٨٩).

بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[1]

الريم: ولد الظبي، وجمعه آرام، يقول: إذا ذهب فوج جاء فوج.

والملاحظ على هذا الشاهد أن المصنف:

* أورده في سياق الاحتجاج اللغوي لبيان معنى كلمة (خلفة) في الآية.

* عزاه إلى قائله، وهو زهير بن أبي سلمى.

* عقّب عليه بشرح ما أشكل من ألفاظه، ثم أورد معنى البيت .

ثَمَّ ملمحان آخران نتبينهما من خلال الشواهد الشعرية في تفسير ابن أبي زمنين هما:

١- أنه أحيانًا كان يكتفي بذكر موضع الشاهد من البيت، أي: يقتصر عليه دون ذكر بقية البيت، ومن ذلك ما أورده عند قوله تعالى: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى ...﴾ [الروم: ١٠] قال محمد: من قرأ: (عاقبة) بالرفع، جعل (السوءى) خبرًا لكان، وأصل الكلمة: الفعلى من السوء، قال الشاعر:

....

أم كيف يجزونني السوءى من الحسن[2]

وهكذا اقتصر المصنف على عجز البيت الذي يتضمن موضع الشاهد، ولم يذكر صدره الذي هو:

أنى جزوا عامرًا سوءى بفعلهم ... ... إلخ

(١) «ديوان زهير» (ص١٠٣).

(٢) ينظر: «شرح شواهد المغني» (ص٥٣)، «الخصائص» (٢/ ١٨٤) (٣/ ١٠٧)، «أمالي ابن الشجري» (١/ ٣٧).

مع ملاحظة أنه لم ينسب البيت إلى قائله؛ وهو الشاعر: أفنون التغلبي.

٢- لم يكن يهتم المصنف بذكر روايات البيت المختلفة؛ بل كان يذكر له رواية واحدة، ولعل ذلك انطلاقًا من منهجه في الاختصار وعدم الإطالة المؤدية إلى الملل والعزوف عنه، كما صرح بذلك في مقدمة التفسير.

الفصل الرابع

القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين

كثرت القضايا النحوية التي تعرض لها ابن أبي زمنين في تفسيره كثرة بالغة، بحيث لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن تفسيره ما هو إلا كتاب نحو وقراءات ولغة بقدر ما هو تفسير لآيات القرآن بالمأثور.

وفيما يلي من سطور نعرض لأهم هذه القضايا التي ناقشها، مع بيان منهجه في ذلك، ومذهبه النحوي:

١- يغلب على القضايا النحوية التي ناقشها المصنف تلك القضايا التي توجه القراءات القرآنية، وتخرجها على المعنى الصحيح.

يقول ابن أبي زمنين عند قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ [مريم: ٣٤] من قرأ: (قولُ) بالرفع، فالمعنى: هو قول الحق.

أي أن القراءة بالرفع على معنى الخبرية في الجملة كما أوضح المصنف[(١)].

ويقول عند قوله عز وجل: ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ [مريم: ٦١] وتقرأ: (جنات) بالرفع على معنى: هي جنات عدن ﴿إنه كان وعده مأتيًا﴾.

قال محمد: يعني: آتيًا، وهو مفعول من الإتيان في معنى فاعل[(٢)].

٢- وهناك نوع من القضايا النحوية التي ناقشها المصنف لا ترتبط بتوجيه

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ١٨٩)، «مجمع البيان» (٣/ ٥١٣).

(٢) «البحر المحيط» (٦/ ٢٠١)، «مجمع البيان» (٣/ ٥٢٠)، «معاني القرآن للفراء» (٢/ ٣٧٠).

القراءة القرآنية؛ بل ترتبط بالتوجيه الإعرابي لما أشكل . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة﴾ [مريم: ٧٥] قال محمد: (العذاب) و(الساعة) منصوبان على معنى البدل من (ما يوعدون)، المعنى: إذا رأوا العذاب، أو رأوا الساعة قال: فيسلمون عند ذلك[(١)].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وساء لهم يوم القيامة حملًا﴾ [طه: ١٠١] قال محمد: (حملًا) منصوب على التمييز، المعنى: ساء الوزر لهم يوم القيامة حملًا[(٢)].

٣- وهناك نوع من القضايا النحوية تدخل تحت ما يسمى بحروف المعاني، حيث ناقش المصنف كثيرًا من هذه الحروف؛ وهو باب جليل من أبواب النحو، وإن كان يَلْمح إليها عرضًا دون استطراد أو تفصيل كعادته وفق منهجه الذي اختطه في عدم الإطالة والاستطراد.

ومن ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية﴾ [الأعراف: ١٣٢] قال محمد: أي: ما تأتنا به (مهما) و(ما) بمعنى واحد[(٣)].

ومنه قوله تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠٩] قال محمد: ومعنى (وإن أدري): وما أدري[(٤)] وغير ذلك كثير لمن يطالع التفسير، وإنما أذكر لكلٍّ مثالًا أو مثالين لبيان المنهج، ونوع القضايا، كما أن في ذكر البعض كفاية وتعبيرًا عن الكل.

٤- وكعادة ابن أبي زمنين في عدم الاستطراد وذكر الأوجه المختلفة سواء

(١) «البحر المحيط» (٦/ ٢١٢)، «مجمع البيان» (٣/ ٥٢٥)، «إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٦).
(٢) «البحر المحيط» (٦/ ٢٧٨)، «الدر المصون» (٥/ ٥٤).
(٣) «الكتاب» (١/ ٤٣٣)، «حروف المعاني» (ص٢٠)، «الجنى الداني» (ص٦٠٩).
(٤) «مغني اللبيب» (١/ ٣٠).

في القراءات أو الأوجه الإعرابية، نرى أغلب المسائل النحوية التي تعرض لها يقتصر فيها على ذكر وجه واحد، غير أنه في بعض الأحيان كان يخرج عن هذا الإطار ويذكر أكثر من وجه تعميمًا للفائدة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] قال محمد: فيه وجهان: يجوز أن يكون (الذين ظلموا) رفعًا على معنى: هم الذين ظلموا أنفسهم، وقد يجوز أن يكون المعنى: أعني الذين ظلموا[(١)].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ [الأنبياء: ٧٩] قال محمد: يجوز نصب (الطير) من جهتين: إحداهما على معنى: وسخرنا الطير، والأخرى على معنى: يسبحن مع الطير[(٢)].

٥- وأغلب المسائل النحوية التي كان يتعرض لها المصنف لم يكن يعزوها إلى أصحابها النحاة الأوائل القائلين بها؛ بل كان يطلقها مبينًا الوجه النحوي الذي يختاره فحسب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿صنع اللَّه الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] قال محمد: القراءة: (صنع اللَّه) بالنصب على معنى المصدر، كأنه قال: صَنَعَ اللَّه ذلك صُنْعًا.

وهكذا أطلق المصنف الوجه النحوى دون تحديد صاحبه، حيث إن هذا هو قول سيبويه والمبرد والنحاس وأبي علي الفارسي[(٣)].

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٢٩٦)، «إعراب القرآن» (٢/ ٣٦٦).
(٢) ينظر: « الدر المصون» (٥/ ١٠٢).
(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ١٠٠)، «إعراب القرآن» (٢/ ٥٣٧)، «كشف المشكلات» (٢/ ١٠١٧).

غير أننا لا نعدم بعضًا من المسائل النحوية التي عزاها إلى أصحابها، وهي تلك النقول التي أوردها عن الزجاج، والخليل، وأبي عبيد، والكسائي.

مثال لما نقله عن الزجاج:

قوله تعالى: ﴿منيبين إليه﴾ [الروم: ٣١ ، ٣٣] قال محمد: قال الزجاج: (منيبين إليه) نصب على الحال بفعل ﴿فأقم وجهك﴾ قال: وزعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم؛ لأن مخاطبة النبي عليه السلام تدخل فيها الأمة[1].

مثال لما نقله عن الخليل بن أحمد:

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر...﴾ [الأنعام: ٧٤] قال محمد: وقال الخليل: معنى (يا آزر) الشيء يعيره به، كأنه قال: يا معوج، يا ضال[2].

مثال لما نقله عن أبي عبيد:

قوله تعالى: ﴿وحاجه قومه قال أتحاجوني في اللَّه وقد هدان...﴾ [الأنعام: ٨٠] قال محمد: ذكر أبو عبيد أن نافعًا قرأ: (أتحاجوني) بتخفيف النون، ومثله: ﴿قل أفغير اللَّه تأمروني أعبد﴾ [الزمر: ٦٤] قال: وقرأهما أهل العراق مثقلتين: (أتحاجوني) و(تأمروني). قال أبو عبيد: وكذلك القراءة عندنا بتثقيلهما؛ لأن الأصل أن يكون بنونين: نون الفعل ونون اسم الفاعل، فلما كتبتا في المصحف على نون واحدة، لم يكن إلى الزيادة سبيل، فثقلوا

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ١٧١)، «مجمع البيان» (٤/ ٣٠٤)، «إعراب القرآن» (٢/ ٥٨٩)، «كشف المشكلات» (٢/ ١٠٥٠).

(٢) وقد ورد في «معجم العين» للخليل بن أحمد (٦/ ٣٨٢) آزر: اسم والد إبراهيم عليه السلام. وينظر بتوسع: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٤٣)، «كشف المشكلات» (١/ ٤٠٧).

النون؛ لتكون المتروكة مدغمة. قال: وإنما كره التثقيل من كرهه - فيما نرى - للجمع بين الساكنين، وهما الواو والنون المدغمة فحذفوها[١].

مثال لما نقله عن الكسائي:

وقد تقدم ما نقلناه عن الكسائي عند حديثنا عن الاستشهاد بأقوال العرب الفصحاء بما أغني عن إعادته ها هنا.

٦- ومن القضايا النحوية التي ناقشها المصنف قضايا الأصل الاشتقاقي، والأصل اللغوي.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ [القيامة: ٣٣] قال محمد: قوله: ﴿يتمطى﴾ أصله: يتمطط، فقلبت الطاء ياء، كما قالوا: يتظنى، وأصله: يتظنن؛ فالأصل الاشتقاقي الذي يذهب إليه المصنف لكلمة (يتمطى) هو (يتمطط)، حيث قلبت الطاء ياء، لكنه لم يبين لنا سبب هذا القلب، وهو كراهية اجتماع الأمثال؛ أي: الطاء والطاء. كذلك أغفل الرأي الآخر الذي يذهب إلى أن (يتمطى) مشتق من (المطا) وهو الظهر، والمعنى: يتبختر ويمد مطاه؛ أي: ظهره[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ [المؤمنون: ٤٤] قال محمد: وهو من التواتر. وقيل: الأصل في (تترى): وترى، وقلبت الواو تاءً، كما قلبوها في التخمة والتكلان[٣].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: «البحر المحيط» (٤/ ١٦٩)، «إعراب القرآن» (١/ ٥٦٠)، «الدر المصون» (٣/ ١٠٨).

(٢) ينظر: «الدر المصون» (٦/ ٤٣٣)، «تفسير القرطبي» (١٩/ ١١٤).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٤٠٧)، «إعراب القرآن» (٢/ ٤١٩)، اللسان (وتر).

ومن أمثلة الأصل اللغوي - أي: الحديث عن أصل الكلمة في اللغة قبل أن تطلق على المعنى الشائع - قوله تعالى: ﴿والنوم سباتًا﴾ [الفرقان: ٤٧] قال محمد: أصل السبت: الراحة(١).

٧- وتعرض أيضًا لمباحث الإدغام؛ كما في قوله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم﴾ [الكهف: ١٧] قال محمد: (تزاور) الأصل فيه: (تتزاور) فأدغمت التاء في الزاي(٢).

وقد ذكرنا فيما سبق نماذج للإدغام عند حديثنا عن نقول المصنف عن أبي عبيد.

٨- ومن القضايا الأخرى المنتشرة عبر التفسير: حديثه عن الحذف والتقدير، والمذكر والمؤنث، والإفراد والتثنية والجمع، والمصادر والمشتقات المختلفة، وقضايا تصريف الفعل... إلى غير ذلك من مسائل نحوية مبثوثة في ثناياه.

٩- أما عن آراء ابن أبي زمنين النحوية ومذهبه النحوي ؛ فإننا نلاحظ أن آراءه النحوية ما هي إلا آراء النحاة السابقين، حيث يمكن القول أنه ناقل لمذاهب السالفين، وليس ذلك إنقاصًا من قَدْره، أو تقليلًا من شأنه؛ إذ الإلمام بآراء السابقين وعرضها بهذه الصورة الميسورة السلسة قيمة علمية في حد ذاتها، وإمكانية عليا تُضاف إلى الرصيد العلمي لابن أبي زمنين.

أما مذهبه النحوي؛ فإنه ينحو منحى البصريين، وذلك لاختياره للأوجه النحوية التي توافق مذهب أهل البصرة، فضلًا عن أنه أكثر النقول عن نحاة

---

(١) ينظر: «لسان العرب» (سبت).
(٢) ينظر: «مجمع البيان» (٣/ ٤٥٥)، «الدر المصون» (٤/ ٤٤١).

البصريين مثل الخليل والزجاج، بيد أنه نقل أيضًا بعضًا من آراء الكوفيين كآراء أبي عبيد والكسائي، غير أن النزعة البصرية تغلب على ابن أبي زمنين.

ومن الأدلة أيضًا على أنه بصري إيثاره استخدام المصطلحات النحوية البصرية، مثل استخدامه لمصطلح (ضمير الفصل) عند قوله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند اللَّه هو خيرًا﴾ [المزمل: ٢٠] قال محمد: المعنى: تجدوه خيرًا لكم من متاع الدنيا، ودخلت (هو) فصلًا.

حيث نلاحظ استخدامه لمصطلح (فصل) وعلى ذلك سار نحاة البصرة في اصطلاحهم، أما الكوفيون فقد عبروا في مقابلة مصطلح (عماد)[1].

كذلك استخدامه لمصطلح (التمييز) عند قوله تعالى: ﴿وساء لهم يوم القيامة حملًا﴾ [طه: ١٠١] قال محمد: (حملًا) منصوب على التمييز؛ المعنى: ساء الوزر لهم يوم القيامة حملًا.

حيث نلاحظ استخدامه لمصطلح (التميز) وهو مصطلح بصري يقابله عند الكوفيين مصطلح (المفسَّر)[2].

ثمة ملحوظات أخرى في اصطلاحه النحوي نجملها فيما يلي:

أ- يستخدم مصطلح (مستقبل) ليدل به على مصطلح (مستأنف) كما في قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦] قال: (ولباس التقوى) والرفع على معنى كلام (مستقبل) حيث يريد: الرفع على الاستئناف[3].

---

(١) ينظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ٥٩).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٦/ ٢٧٨)، «الدر المصون» (٥/ ٥٤).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٤/ ٢٨٣)، «إعراب القرآن» (١/ ٦٠٦)، «الدر المصون» (٤/ ٢٨٣).

وقد يعود ويستخدم مصطلح الاستئناف في مواضع أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون اللَّه إنها كانت من قوم كافرين﴾ [النمل: ٤٣].

قال محمد: من قرأ: (إنها) بكسر الألف؛ فهو على الاستئناف(١).

ب- يعبر بمصطلح (المستقبل) أيضًا على الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: ﴿فكلي واشربي وقري عينًا﴾ [مريم: ٢٦] قال محمد: قررت به عينًا أقَر - بفتح القاف - في المستقبل قُرورًا، وقررت في المكان أقِر بكسر القاف(٢).

جـ- واستخدم مصطلح الإجراء بمعنى التنوين؛ جاء ذلك عند قوله تعالى: ﴿وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾ [النمل: ٢٢] قال محمد: ذكر أبو عبيد أن الحسن كان يقرأ: (من سبأ) منصوبة غير مُجْراة، قال: وتفسيرها اسم مؤنث لامرأة أو قبيلة، والذي يُجْري يذهب إلى أنه اسم رجل(٣).

د- واستخدم مصطلح (مقاديم الكلام) ليدل على التقديم والتأخير، كما في قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب اللَّه إلى يوم البعث﴾ [الروم: ٥٦] قال: وهذا من مقاديم الكلام، يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب اللَّه والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم القيامة؛ يعني: لُبثهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى أن بعثوا(٤).

هـ- وعبر بمصطلح (الصلة) عن الزيادة؛ كما في قوله تعالى: ﴿بأييكم

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٧٩)، «الدر المصون» (٥/ ٣١٦)، «مجمع البيان» (٤/ ٢٢٤).

(٢) «لسان العرب» (قرر).

(٣) «البحر المحيط» (٧/ ٧٦)، «إعراب القرآن» (٢/ ٥١٦).

(٤) «الدر المصون» (٥/ ٣٨٣).

المفتون﴾ [القلم: ٦] قال محمد: يعني: أيكم الضلال؟ في تفسير الحسن، يجعل الباء صلة[١].

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ [نوح: ٤] قال محمد: أي: يغفر لكم ذنوبكم كلها، و(من) صلة[٢].

وغير ذلك أمثلة كثيرة مبثوثة في ثنايا التفسير.

(١) أي: زائدة، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة والأخفش، وفيها أقوال أخرى. ينظر: «الدر المصون» (٦/ ٣٥١)، «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٢٩).

(٢) قاله السدي، وإليه ذهب ابن عطية الأندلسي، وفيها أقوال أخرى. ينظر: «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٢٠)، «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٩٩)، «الدر المصون» (٦/ ٣٨٢).

الفصل الخامس

القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين

تكمن القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين في أنه أُلِّفَ في القرن الرابع الهجري، أي: أنه قريب العهد بالقرون الثلاثة المفضلة، (بقلم إمام عَلَم سلفي العقيدة، وُصِف بأنه من بقايا حملةِ الحُجة رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

وأيضًا فإن هذا التفسير اختصار لتفسير يحيى بن سلام، الذي أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، وقد أثنى كثير من العلماء الأوائل على هذا التفسير - أي: تفسير يحيى بن سلام - حتى قال عنه أبو عمرو الداني في معرض كلامه عن يحيى بن سلام: سكن إفريقية دهرًا، وسمعوا منه تفسيره، الذي ليس لأحدٍ من المتقدمين مثله[1].

أما إذا تصفحنا تفسير ابن أبي زمنين لنجلو أبرز سماته التي جعلت منه قيمة علمية كبيرة، حتى ليعتبر - بحق - موسوعة كبيرة في اللغة والنحو والقراءات وأشعار العرب، هذا فضلًا عن الأحاديث النبوية المرفوعة، والآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين إلى غير ذلك مما سنوضحه في السطور التالية:

١- يشتمل التفسير على كثير من الأحاديث المرفوعة عن رسول اللّه ﷺ والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، والتي تعين بقدر كبير على فهم الآيات القرآنية، وإضاءة جوانبها، حتى ليمكن أن نعتبر هذا التفسير من التفاسير التي تنتهج طريق التفسير بالمأثور.

٢- اشتمل هذا التفسير على كثير من المباحث التي تنتمي إلى علوم القرآن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٩٧).

كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والخاص والعام، وأسباب التنزيل، والمقطوع والموصول، والتقديم والتأخير، والإضمار والحذف؛ كل ذلك موجود في خضم هذا التفسير.

٣- به كثير من النقول المروية عن الصحابة والتابعين في شرح غريب ألفاظ القرآن الكريم؛ كأقوال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن المسيب، وشريح، وغيرهم.

٤- اشتمل على كثير من القراءات القرآنية لعدد كبير من الصحابة مثل: ابن عباس وعبد اللَّه بن مسعود، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وغيرهم.

٥- اشتمل على كثير من القراءات القرآنية المعزوة إلى عدد التابعين مثل: الحسن، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وغيرهم.

٦- حوى التفسير أيضًا كثيرًا من القراءات السبعية وبخاصة قراءة نافع، وأيضًا القراءات العشرية، وقراءات أهل المدينة وأهل الحجاز وأهل البصرة.

٧- اشتمل التفسير أيضًا على كثير من تعقيبات ابن أبي زمنين وشروحه لغريب القرآن، وما أشكل من مفرداته.

٨- به توضيح لوجوه القراءات القرآنية وبيان حرف كلٍّ، مع توجيه هذه القراءات توجيهًا نحويًا تارة، وتوجيهًا دلاليًا معجميًا تارة أخرى.

٩- اشتمل على التوجيه الإعرابي لكثير من مفردات القرآن التي يُشكل إعرابها، أو يقع فيها لبْس أو غموض.

١٠- حوى التفسير أيضًا كثيرًا من آراء أئمة اللغة والنحو، مثل أبي عبيد القاسم بن سلام، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والزجَّاج، وغيرهم.

١١- ويشتمل التفسير على كثير من وجوه تصريف الأفعال، وبيان وجوه اشتقاقها، كذلك الحديث عن الأصل اللغوي، والأصل الاشتقاقي، وكثير من القضايا النحوية، ومسائل علمي: الأصوات، والدلالة.

١٢- وكذلك اشتمل التفسير على حوادث كثيرة من أبواب السيرة النبوية الشريفة.

ولقد كان أغلب تعقيبات ابن أبي زمنين وزياداته تتعلق بغريب اللغة ووجوه الإعراب والقراءات كما نص هو على ذلك في مقدمة التفسير، بما يؤكد تفوقه في علوم العربية، ورسوخ قدمه فيها.

بيد أن هناك كثيرًا من هذه التعقيبات التي تدل على براعة ابن أبي زمنين وسعة اطلاعه ورحابة أفقه، أعنى تلك الإشارات اللغوية إلى الفروق بين الألفاظ التي قد يبدو معناها لغير المدقّق واحدًا، غير أن بينها فروقًا وظلالًا مختلفة تميز بعضها عن بعض، وقد ألمح ابن أبي زمنين إلى ذلك كثيرًا في إشاراته المتناثرة عبر تفسيره، والتي نسوق منها ما يلي:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿كلما خبت زدناهم سعيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] قال محمد: خَبَت النَّار تَخْبُو خَبوًا: إذا سكن لهبها، فإن سكن اللهب ولم يُطفأ الجمر قيل: خَمدت تَخْمُد خُمودًا، وإن طُفئِت ولم يبق منها شيء قيل: همدت تهمد همودًا[١].

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا﴾ [الكهف: ٩٥].

قال محمد: الردم في اللغة أكثر من السد؛ لأن الردم ما جعل بعضه على

(١) «لسان العرب» (خبو - خمد - همد).

بعض؛ يقال: ثوب مُرَدَّم؛ إذا كان قد رقع رقعة فوق رقعة، ويقال لكل ما كان مسدودًا خلقة: سُدّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ - بالفتح. وقد قيل: إنهما لغتان بمعنى واحد: سَدّ وسُدّ - بالفتح والضم[1].

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فاتخذتموهم سخريًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] قال محمد: وتقرأ (سخريًّا) بالضم والكسر في معنى الاستهزاء[2] وقد قال بعض أهل اللغة: ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم[3].

٤- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا....﴾ [النور: ٦٠].

قال محمد: القواعد واحدتها (قاعد) بلا هاء، ليدل بحذف الهاء على أنه قعود الكبر، كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذفها الهاء على أنه حمل حبل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها[4] ... إلى غير ذلك من هذه الإشارات التي تجمع الأشباه والنظائر، وتنظم الشوارد والأوابد في سلك واحد.

---

(١) «لسان العرب» (ردم - سدد).

(٢) قرأ بالضم نافع وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالكسر. ينظر: «النشر» (٢/ ٣٢٩)، «السبعة» (ص٤٤٨)، «البحر المحيط» (٦/ ٤٢٣).

(٣) «لسان العرب» (سخر).

(٤) «لسان العرب» (حمل - قعد).

الفصل السادس

المؤاخذات على تفسير ابن أبي زمنين

مع ما امتاز به هذا التفسير من سلامة العقيدة حيث لا تكاد تجد فيه تأويلات منكرة لآيات الصفات - كما يوجد في كثير من كتب التفسير خصوصًا المتأخرة منها - ولا تجد فيه أي تأثير للآراء العقائدية للفرق الضالة التي خالفت عقيدة أهل السنة والجماعة، وامتاز أيضًا بالإيجاز، والبعد عن التعقيد، وسهولة العرض، فإنه يمكن أن يوجه إليه - كأي عمل بشري - بعض الانتقادات، وأرى أن أغلب هذه الانتقادات التي توجه إلى التفسير إنما تعود بالمقام الأول إلى تفسير يحيى بن سلام - الذي هو أصل الكتاب - ويمكن أن نجمل هذه الانتقادات فيما يلي:

١- ذكره بعض الإسرائيليات المنكرة[1] خصوصًا في قصص الأنبياء؛ كما

---

(١) من المعلوم أن الإسرائيليات ليست كلها منكرة، بل فيها ما هو صدق وحق، ومنها ما لا يُصدّق، بل يروى في الجملة، ومنها ما هو كذب منكر؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦٦ - ٣٦٧): لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحداها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق؛ فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل؛ فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته - لما تقدم - وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك؛ كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في =

ذكر في قصة آدم عليه السلام في آخر سورة الأعراف، وقصة يوسف عليه السلام وقصة داود عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد نبهت على هذه الإسرائيليات في محلها من التفسير، ونقلت كلام الأئمة في بيان نكارتها، وكونها مما لا يجوز على أنبياء الله الكرام عليهم السلام[1].

٢- ذكره للأحاديث الضعاف والمنكرة، خصوصًا أن كثيرًا من هذه الأحاديث الضعاف يوجد من الأحاديث الصحاح المشاهير ما يغني عنها، وقد أشار إلى هذا الانتقاد على يحيى بن سلام الحافظُ ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢١٩).

ولعل عملي في تخريج هذه الأحاديث وبيان درجتها من كلام كبار الحفاظ النقّاد للحديث؛ وذكر البدائل الصحاح في كثير من المواطن؛ ما يَسدُّ هذا النقص في الكتاب.

مع ملاحظة أن رواية بعض هذه الأحاديث الغرائب بالإسناد مع عدم وجود أسانيد لها معروفة فيما بين أيدينا من الكتب يعتبر قيمة في حد ذاته، وقد قَدَّمتُ الإشارةَ إلى هذه الفائدة.

٣- الإكثار من ذكره لتفسير محمد بن السائب الكلبي، ومعلوم لدى طلبة العلم أن الكلبي متهم في روايته[2]، بل قد اعترف هو نفسه لسفيان الثوري

= ذلك جائز. اهـ.

وانظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٤)، و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (١٥٠ - ١٥٩).

(١) من المؤسف حقًا أن كثيرًا من كتب التفسير لم تخل من مثل هذه الإسرائيليات المنكرة، راجع في ذلك كتاب «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للدكتور أبي شهبة.

(٢) راجع ترجمة الكلبي في كتب الضعفاء، وترجمته في «التهذيب» (٢٥/ ٢٤٦ - ٢٥٣).

بقوله[١]: ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب؛ فلا ترووه. اهـ.

وكذلك فالكلبي متهم في دينه، قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٥٣): كان الكلبي سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة؛ فيملؤها عدلًا كما ملئت جورًا. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها. ثم قال ابن حبان (٢/ ٢٥٥): الكلبي هذا مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه. اهـ.

وقال أحمد بن هارون[٢]: سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي، فقال: كذب. قلت: يحل النظر فيه؟ قال: لا. اهـ.

فليت يحيى بن سلام طهَّر تفسيره من النقل عن الكلبي، وليت ابن أبي زمنين طهَّر تفسيره هذا من النقل عن الكلبي؛ إذ لم يفعل يحيى بن سلام.

٤- يمكن أن يؤخذ عليه اختيار بعض التفاسير المرجوحة التي غيرها أرجح منها وأصح، وقد علقت على بعض هذه المواضع من التفسير مبينًا أن هناك ما هو أرجح مما ذكر، لكن الأمر يعود في كثير من المواضع إلى الاجتهاد؛ فإن ما يراه بعض العلماء مرجوحًا قد يراه غيره راجحًا، لذلك لم أر الإكثار من التعليق على الكتاب في هذا الصدد، والله أعلم.

٥- كذلك يمكن أن يؤخذ عليه توسعه في ادعاء النسخ؛ خصوصًا على الآيات التي تأمر بالإعراض عن المشركين ونحوها، حيث يدعي نسخها بآية السيف، وقد انتقد كثير من العلماء هذا الزعم، وقد علقت على بعض هذه

---

(١) «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٧١ رقم ١٤٧٨) وكتاب «المجروحين» (٢/ ٢٥٤).
(٢) رواه ابن حبان في «كتاب المجروحين» (٢/ ٢٥٤).

المواضع بنقل بعض تلك الانتقادات على سبيل التنبيه على أمثالها، ولم أستقص التعليق على هذه المواضع، والله أعلم.

قلت: ومما يخفف حدة هذا الانتقاد أن مفهوم النسخ عند المتقدمين يختلف عن مفهومه عند المتأخرين؛ قال العلامة ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٣٥): مراد عامَّة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة - وهو اصطلاح المتأخرين - ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه، حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخًا؛ لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد، فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ؛ بل بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر. اهـ.

وانظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ١٠١) والموافقات للشاطبي (٣/ ١٠٨ - ١٠٩).

قلت: قد بيَّن العلماء الناسخ والمنسوخ في كتب التفسير وغيرها، وألف بعضهم كتبًا مفردة فيه: كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي داود السجستاني، وأبي جعفر النحاس، وهبة الله بن سلامة، وأبي الفرج بن الجوزي، وغيرهم.

هذه في رأيي أهم الانتقادات التي يمكن أن توجه إلى هذا التفسير.

ولما كان عمل التحقيق متممًا لعمل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد حرصت على أن يكون التحقيق سادًا لبعض هذه الثلمات، دون إثقال للكتاب قدر الإمكان، وإنما أطلتُ في بعض المواطن لفائدة.

وعلى العموم فإن هذه الانتقادات لا تقلل من أهمية هذا التفسير.

ونحن إذ نقدم هذا التفسير إلى مشايخنا وعلمائنا وطلبة العلم في كل مكان؛ نأمل أن لا يبخلوا علينا بآرائهم وتقويماتهم ونصائحهم التي نرحب بها ونشكرهم عليها؛ فإن هذا النصح واجب لنا على كل مسلم، خصوصًا أهل العلم والفضل منهم جزاهم اللَّه عنا خيرًا.

الفصل السابع

إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام

بيَّن ابن أبي زمنين في أول تفسيره إسناده إلى يحيى؛ فقال:

وجميع ما نقلته من كتاب يحيى أخبرني به أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي الحسن علي ابن الحسن، عن أبي داود أحمد بن موسى، عن يحيى بن سلام ومنه ما حدثني به أبي، عن أبي الحسن، عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه، عن جده، وكل ما أدخلته من طريق يحيى بن محمد فقد قلت: إنه من حديث يحيى بن محمد. اهـ.

فله إليه إسنادان: إسناد رئيسي ساق به أغلب التفسير، وإسناد آخر ساق به بعض الروايات، وهي روايات قليلة ، نبَّه على أنها من طريق يحيى بن محمد بنصه خلف كل رواية منها على ذلك أما **الإسناد الرئيسي**؛ فهو إسناد معروف، وهذه تراجم رجاله[1]:

١- عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين:

قال ابن الفرضي[2]:

عبد الله بن عيسى بن محمد بن أبي زَمنين المري

من أهل إلبيرة، وأصله من تَنس، يكنَّى: أبَا محمد.

---

(١) لم تقع لنا تراجم بعضهم كما ينبغي؛ لقلة المصادر المتاحة لنا، ورحم الله الحافظ الذهبي إذ يقول في «السير» (١٨/ ٣٤٥): غالب مشايخ الأندلس لا اعتناء لنا بمعرفتهم؛ لأن روايتهم لا تقع لنا.

(٢) «تاريخ علماء الأندلس» (١/ ٢٣١) وترجمته في: «ترتيب المدارك» (٤/ ٥٧١) و«الديباج المذهب» (٣٦٦) أيضًا.

سمع: ببجانة من المرِيّ علي بن الحسن، وابن فحلون. وبقرطبة: من محمد بن عبد الملك، والرعيني، وابن أبي دليم، وغيرهم.

وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ بقرطبة في صفر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن تسع وخمسين سنة، وصلى عليه ابنه محمد، ودُفن في مقبرة الربض. اهـ

وتابعه على رواية التفسير عن أبي الحسن المري: عليُّ بن عمر بن نجيح الإلبيري، وعنه روى ابن الفرضي التفسير؛ كما في «تاريخ علماء الأندلس» (١/ ٣١٣).

٢- أبو الحسن علي بن الحسن:

قال ابن الفرضي[1]:

علي بن الحسن المرِّي

من أهل بجانة، يُكنَّى: أبا الحسن.

سِمع: من يوسف بن يَحييَ المغَاميّ، ومن طاهر بن عبد العزيز وغيرهما.

ورحل فسمع بإفريقية: من أبي داود أحمد بن موسى بن جرير، رَوَى عنه «تفسير القرآن» ليحيى بن سلام، وروَى عن يَحيى بن محمد بن يحيى بن سلام وغيره، وذلك سنة أربع وسبعين ومائتين، ثم انصرف فسمع الناس منه كثيرًا.

حدَّث عنه: أحمد بن سعيد، وأبو عيسى يَحيَى بن عبد اللَّه، وأحمد بن عون اللَّه، وعلي بن مُعاذ، وجماعة سواهم.

وحدثنا بكتاب «التفسير» عنه علي بن عمر بن نُجَيْح الإلبيري.

وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ: ببجَّانة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. أخبرنا بذلك: ابن

---

(١) «تاريخ علماء الأندلس» (١/ ٣١٣).

ابنته. وقال لنا مجاهد بن أصبغ: توفى المري في شوال سنة خَمس وثلاثين وثلاثمائة. اهـ.

٣- أبو داود أحمد بن موسى[(١)]:

قال ابن فرحون:

أحمد بن موسى بن جرير الأزدي العطار

كنيته أبو داود، وهو من كبار أصحاب سحنون، كان ثقة صالحًا.

سمع من: سحنون، ومن يحيى بن سلام، وأبي خارجة، ومعاوية الصمادحي، وأسد بن الفرات.

وأخذ عنه الناس، وفي كتبه خطأ وتصحيف.

توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، مولده سنة ثلاث - وقيل: اثنين - وثمانين ومائة - رحمه الله تعالى. اهـ.

أما **الإسناد الثاني** فهو عن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين، عن أبي الحسن علي ابن الحسن المري، عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه، عن جده.

وهذا الإسناد نزل فيه أبو الحسن المري درجة عن إسناده الأول.

أما عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين وأبو الحسن المري فقد تقدما في الإسناد السابق، وأما **يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام**[(٢)]، فهو ثقة، قال أبو العرب[(٣)]: كان يحيى ثقة صدوقًا لا يقول عن جده إلا الحق. وقال:

---

(١) ترجمته في: «ترتيب المدارك» (٣/ ٢٦٩ - ٢٧٠) و«الديباج المذهب» (١/ ٨٧).

(٢) ترجمته في «طبقات علماء إفريقية» (ص١١٣) وكتاب «العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين» للعلامة حسن حسني عبد الوهاب (١/ ١٠٨ - ١٠٩).

(٣) «طبقات علماء إفريقية» (ص١١٣).

ويحيى بن محمد الذي سمعنا منه كان صالحًا ثقة، صحبته سنين طويلة ما رأيته قط ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة صاح على غلام له، وكان محسنًا في علمه متواضعًا فيه، قليل الخوض فيما لا يعنيه. وقال: وكان مولد يحيى قبل المائتين بسنتين، ومات سنة ثمانين ومائتين. اهـ.

وقد تابعه على رواية التفسير عن أبيه أبو جعفر أحمد بن زياد، ومن طريقه روى الحافظ ابن حجر تفسير يحيى كما في المعجم المفهرس له (١١١ رقم ٣٨٣) والروداني كما في «صلة الخلف بموصول السلف» (ص١٧٢) وتابعهما على رواية تفسير سورة النساء: سعدون بن أحمد الخولاني، ومن طريقه رواه ابن حجر كما في المعجم المفهرس (١١١ رقم ٣٨٣)[1].

وأما **محمد بن يحيى بن سلام**[2] فهو ثقة أيضًا؛ قال أبو العرب: ثقة نبيل. وقال: مات محمد سنة اثنين وستين ومائتين، وهو يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة. اهـ.

وقال الدباغ: كان حافظًا له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه ومعرفة رجاله وحملته. اهـ

---

(١) روى أبو عمرو الداني في «نقط المصاحف» (ص١٠ ، ١٦) وفي «الأحرف السبعة» (١٩ رقم ٧ ، ٢٢ رقم ٩) عدة روايات من طريق محمد بن يحيى بن حميد، عن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه.
ربما تكون هذه الروايات من تفسير يحيى، والله أعلم.
ولو استُقصيتْ كتب البرامج والأثبات والفهارس والمشيخات خصوصًا لعلماء المغاربة لأمكن الوقوف على عدة أسانيد لتفسير يحيى بن سلام - فيما أظن - والله أعلم.

(٢) ترجمته في: «طبقات علماء إفريقية» (ص١١٣)، و«تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» لابن زبر الربعي (٢/ ٥٧٧)، «معالم الإيمان» (٢/ ١٤٥- ١٥٠)، كتاب «العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين» (١/ ١٠٦ - ١٠٧)، «تراجم المؤلفين التونسيين» (٣/ ٥٢) وغيرها.

هذه تراجم رجال إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام، وراوي التفسير عنه «أبو عمر» وهو أبو عمر بن الحذاء أحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد القرطبي مولى بني أمية، الإمام المحدث الصدوق المتقن[1]، قال ابن الحذاء[2] عن ابن أبي زمنين: لقيته بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وأجاز لي جميع روايته. اهـ.

---

(١) ترجمته في: «الصلة» (١/ ٦٢ - ٦٣) و«بغية الملتمس» (١٦٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٤٤) وغيرها.

(٢) نقله ابن بشكوال في «الصلة» (٢/ ٤٨٣).

الفصل الثامن

التوصيف العلمي للنسخ الخطية للتفسير

اعتمدنا في إخراج هذا التفسير على نسختين خطيتين، هذا هو التوصيف العلمي لهما:

أولًا: **نسخة خزانة كلية القرويين بفاس**، والتي اتخذناها أصلًا لتحقيق الكتاب، رقم النسخة (٤٠/ ٣٤).

عدد أوراقها: ٢٠٢ ورقة، ٤٠١ لوحة.

مسطرتها: ٣٢ سطرًا.

المقاس: طولها ٢٦,٥سم، وعرضها ١٨,٥سم.

عنوانها: كتب على لوحة العنوان «تفسير ابن أبي زمنين».

وكتب في التعريف بها: مختصر تفسير ابن سلام أبي زكريا يحيى التميمي المتوفى سنة (٢٠٠ هـ) اختصار أبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أبي زمنين المتوفى سنة (٣٩٩ هـ).

كُتبت بقلم أندلسي نفيس سنة (٦١١ هـ) لأمير المؤمنين أبي العباس المنصور باللَّه.

أولها: قال أبو عمر: قرئ علي أبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أبي زمنين بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة: الحمد للَّه الذي أنزل الكتاب على محمد عبده ورسوله ليكون للعالمين نذيرًا. . .

آخرها: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة﴾ قال محمد: يعني: الذي هو من الجن.

قوله: ﴿والناس﴾ قال يحيى: ومن شر شياطين الإنس. اهـ

تم الجزء العاشر، وبه كمل جميع الديوان.

والحمد لله على ذلك كثيرًا، وصلى الله على محمد نبي الرحمة وعلى آله وسلم تسليمًا، وفي السادس والعشرين من شوال إحدى عشر وستمائة[(١)].

وهي نسخة في غاية النفاسة؛ لولا ما كدرها من عبث الأرضة ببعض أطراف أوراقها، وسوء تصوير بعض أوراقها كذلك، ولقد بذلنا جهدًا جهيدًا - عَلِمَ اللَّهُ - في قراءتها ومحاولة استبيان ما طُمس من كلماتها، خصوصًا في الأجزاء التي انفردت بها هذه النسخة عن نسخة المتحف البريطاني.

ثانيًا: **نسخة المتحف البريطاني** والتي رمزنا لها بالرمز «ر» وجعلناها نسخة مساعدة في تحقيق الكتاب.

رقم النسخة: ١٩٤٩٠ إضافات.

عدد أوراقها: ١٨٨ ورقة.

مسطرتها: ٣٠ سطرًا.

المقاس: ٢٥ سم طولًا ، ٢٠ سم عرضًا.

عنوانها: كتب على غلافها بخط الناسخ: كتاب في تفسير القرآن العزيز.

---

(١) ذكر كوركس عواد في أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم» (ص١٠٩) هذه النسخة فقال: نسخة تاريخها (٣٩٥هـ - ١٠٠٥م، في فاس، مقروءة على المؤلف، راجع: ١- مجلة معارف (ج١٤ ص٥٠) ٢- «تذكرة النوادر» (ص٢٠).
قلت: الصواب أن هذا التاريخ (٣٩٥هـ) هو تاريخ قراءة الكتاب على المؤلف، أما تاريخ النسخ فهو (٦١١هـ) كما هو ثابت في آخرها، فعلى هذا فلا تدخل هذه النسخة في نطاق «أقدم المخطوطات» حسب معيار المؤلف الذي جعله، وهي أن تكون كتبت في القرون الخمسة الأولى، والله أعلم.

وكُتب في التعريف بها «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين.

كُتبت في القرن الثاني عشر، كما في تاريخ التراث العربي لسزكين (١/ ١٠٦).

وعلى غلافها قصيدة في مدح هذا التفسير، أثبتنا بعضها في أول هذه الدراسة.

وهي نسخة حديثة كثيرة السقط والتحريف والتصحيف.

أول النسخة: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، صلى اللَّه على سيدنا محمد الكريم وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

قال الفقيه أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أبي زمنين رضي الله عنه . . .

آخرها: ﴿له مقاليد﴾ مفاتيح، تفسير قتادة ﴿السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم شرع لكم﴾ اهـ.

إلى هنا انتهى الموجود من هذه النسخة، ووقع فيها سقط كبير أيضًا من أول تفسير سورة الأعراف إلى آخر تفسير سورة الكهف، وفي النسخة سقوطات أخر، نبهنا على بعضها في ثنايا التحقيق، وأعرضنا عن بعضها فهي نسخة ناقصة غير كاملة للكتاب.

ويكثر في هذه النسخة التقديم والتأخير عما يقابلها في نسخة الأصل.

وفيها زيادات كلمات وعبارات عن نسخة الأصل، وقد أثبتنا أكثر هذه الزيادات، ونبهنا على زيادتها من نسخة المتحف البريطاني.

وتمتاز هذه النسخة بأنها ذكرت كل آيات القرآن؛ ما فسَّره المؤلف منها وما لم يفسره، في حين أن نسخة كلية القرويين إكتفت بذكر الآيات المفسرة أو بعضها فقط، ونحن وضعنا المصحف في أعلى التفسير؛ لذلك لم نثبت ما في

هذه النسخة من الآيات الكريمة الزائدة عما في نسخة الأصل.

ويكثر في هذه النسخة التحريف والتصحيف، والظن أن ناسخها رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يرسم الكلمات.

وعلى الرغم من كل عيوب هذه النسخة إلا أن الله نفعنا بها كثيرًا في استظهار الكلمات المطموسة في الأصل، واستدراك مواطن البياض منها.

ومن هذه النسخة مصورة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٦٤٥٦ ب، ومن دار الكتب صورناها.

ولم نقف على غير هاتين النسختين للكتاب، ولم يذكر بروكلمان وسزكين غيرهما، وذكر في «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه» (١/ ٦٤) خمس نسخ خطية، وهذا نص ما فيه:

٤٢- ابن أبي زمنين (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت٣٩٩ هـ.

أ - مختصر تفسير يحيى بن سلام البصري (ت ٢٠٠هـ).

١- خزانة القرويين ١/ ٧٦ - ٧٧ [34] - ٢٠١ و - ٦١١ هـ - (بروك م ١/ ٣٣٥ ، سز ١/ ٤٧).

٢- خونتا ١/ ١٨٩[LI] - ١٤٤ و - ق ١٠ هـ .

٣- ــــ ١/ ١٩١ [52/1] - (١ - ٢٤٣و) ضمن مجموع - ق ١٠ هـ.

٤- البريطانية (سز ١/ ٤٧) [Add .19420] - ١٨٨ و - ق ١٢ هـ.

٥ - ــــ (سز ١/ ٧٤) [820]. اهـ.

قلت: أما النسخة الأولى فهي نسخة الأصل لدينا، وأما النسخة الرابعة فهي

النسخة المساعدة لدينا، وأما النسخة الخامسة فهي خطأ، إنما هي النسخة الرابعة بعينها، والنسختان الثانية والثالثة فلم أقف عليهما، ولا أعرف عنهما شيئًا غير ما ذُكر في هذا الفهرس، واللَّه أعلم.

وقد كدتُ أطيرُ فرحًا لما وجدت نسخة في فهارس دار الكتب المصرية للكتاب مصورة من تونس - نسيت رقمها الآن - فبادرت إلى طلبها؛ فإذا هي صورة من نسخة المتحف البريطاني، لكنها صورت كل لوحة منها في صفحة مفردة.

وكذلك في دار الكتب أيضًا نسخة كُتب في الفهارس عنها: «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين، ٤٠٣ لوحة عن نسخة بصنعاء برقم ٩٧ تفسير. فلما وقفت عليها إذا هي نسخة لتفسير منقول عن أهل البيت عليهم السلام ثم وجدت بعضهم قد صحح ما في هذا الفهرس من خطأ.

هذا آخر ما عندي في الكلام على نسخ الكتاب بحول اللَّه الملك الوهاب.

الباب الثالث
يحيى بن سلام وتفسيره

الفصل الأول: مصادر ترجمة يحيى بن سلام.

الفصل الثاني: ترجمة يحيى بن سلام.

الفصل الثالث: يحيى بن سلام بين الجرح والتعديل.

الفصل الرابع: أوهام يحيى بن سلام وأفراده.

الفصل الخامس: تفسير يحيى بن سلام.

الفصل الأول

مصادر ترجمة يحيى بن سلام[١]

«الأعلام» للزركلي (٨/ ١٤٨).

«تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٢/ ٣٩٨).

«تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ٤٧٣ - ٤٧٤، ١١/ ٤٤٢ - ٤٤٣).

«تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين (١/ ٩٠ - ٩١).

«تراجم المؤلفين التونسيين» لمحمد محفوظ (٣/ ٥٣ - ٥٧).

«الثقات» لابن حبان (٩/ ٢٦١).

«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩/ ١٥٥).

«الحلة السيراء في أشعار الأمراء» لابن الأبار (١/ ١٠٥).

«رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» لأبي بكر المالكي (١/ ١٨٩ - ١٩٢).

«سؤالات البرذعي» لأبي زرعة الرازي (٢/ ٣٣٩ - ٣٤١).

«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ٣٩٦ - ٣٩٧).

«الضعفاء والمتروكون» لابن الجوزي (٣/ ١٩٦)[٢].

---

(١) قد فاتت ترجمة يحيى عدة كتب هي على شرطها مثل: «التاريخ الكبير» للبخاري، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«العبر» للذهبي، و«شذرات الذهب» لابن العماد، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة، و«إيضاح المكنون» و«هدية العارفين» كلاهما لإسماعيل البغدادي، وغيرها.

(٢) جعله ابن الجوزي رجلين فقال: يحيى بن سلام يروي عن مالك بن أنس قال الدارقطني: ضعيف. ثم قال: يحيى بن سلام البصري كان بإفريقية، يروي عن سعيد عن قتادة، قال ابن عدي: ضعيف. اهـ.

«طبقات علماء إفريقية» لأبي العرب القيرواني (١١١ - ١١٤).

«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٣٧١ - ٣٧٢).

«العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين» للعلامة حسن حسني عبد الوهاب (١/ ٩٥ - ١٠٥).

«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣).

«الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه» مؤسسة آل البيت (١/ ٢١).

«الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٩/ ١٢٣ - ١٢٩).

«لسان الميزان» لابن حجر (٧/ ٣٢٧ - ٣٢٨).

«معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (١/ ٣٢١ - ٣٢٨).

«معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٣/ ٢٠٠ - ٢٠١).

«المغنى في الضعفاء» للذهبي (٢/ ٧٣٦).

«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي (٤/ ٣٨٠ - ٣٨١)[(١)].

---

(١) لابد أن أتقدم بالشكر إلى أخي الكريم أبي عبد الرحمن أسامة بن أحمد؛ الذي تفضل مشكورًا بتصوير ترجمة يحيى من عدة كتب لم تكن تحت يدي، فجزاه اللَّه خيرًا.

الفصل الثاني

ترجمة يحيى بن سلام

لما وقفت على تراجم يحيى بن سلام في الكتب المذكورة قبل، وقع اختياري على ترجمته في كتاب «رياض النفوس»[١] فأثبتها مع بعض التعليقات اللطيفة؛ فأقول:

قال أبو بكر المالكي في «رياض النفوس» (١/ ١٨٩ - ١٩٢):

ومنهم أبو زكرياء يحيى بن السلام[٢] بن أبي ثعلبة البصري التيمي - تيم ربيعة - مولى لهم، رحمة الله عليه.

كان يحيى بن السلام يقول: أحصيت بقلبي من لقيتُ من العلماء فعددت ثلاثمائة وثلاثة وستين عالمًا، سوى التابعين، وهم أربعة وعشرون، وامرأة تحدث عن عائشة - رضي الله تعالى عنها[٣].

روى عنه جماعة بالمشرق والمغرب، وكان يقول: كل من رويتُ عنه العلم؛ فقد روى عني، إلا القليل منهم.

ويُذكر عنه أنه قال: روى عني من العلماء أربعة: مالك، والليث بن سعد،

---

(١) وجدت أن ترجمة يحيى في «طبقات إفريقية» لأبي العرب في غاية الأهمية خصوصًا في توثيق يحيى وابنه محمد وحفيده يحيى بن محمد، لكني أفردت بابًا لما قيل في يحيى بن سلام جرحًا وتعديلًا، وأفردت لابنه وحفيده كل منهما ترجمة على حدة، ونقلت ما قاله أبو العرب فيهم، فآثرت بعد ذلك ترجمته من «رياض النفوس» حتى لا يتكرر الكلام، ولما فيها من الفوائد.

(٢) كذا في الأصل بالتعريف.

(٣) سنصنع - إن شاء الله - معجمًا لشيوخ يحيى الذين روى عنهم في هذا الكتاب، مع الفهارس آخر الكتاب.

وعبد اللَّه بن لهيعة: ونسي الرابع. ذكر ذلك أحمد بن كدنة، عن أبي العباس ابن حمدون.

وقال: كتب عني مالك بن أنس ثمانية عشر حديثًا[١].

قال أبو العرب: كان مولده سنة أربع وعشرين ومائة، سكن القيروان وأقام بها مدة من الزمان، ثم خرج إلى المشرق فتوفي بمصر سنة مائتين، ودفن بالمقطم بجواز قبر عبد اللَّه بن فروخ.

ومن سنده عن عبد الرحمن بن ثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ عن رسول اللَّه أنه قال: **«خصلتان من كانتا فيه كتبه اللَّه - عزَّ وجلَّ - شاكرًا صابرًا، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه اللَّه - تعالى - شاكرًا ولا صابرًا: من نظر إلى من فوقه في الدين ودونه في الدنيا؛ فاقتدى بهما، كتبه اللَّه - سبحانه - شاكرًا صابرًا، ومن نظر إلى من فوقه في الدنيا ودونه في الدين، فاقتدى بهما، لم يكتبه اللَّه - عزَّ وجلَّ - شاكرًا ولا صابرًا»**[٢].

ذكر فضله ومناقبه

أحمد بن محمد بن كدنة، قال: سمعت محمدًا بن يحيى يقول: «قال لي أبي - وأنا زميله في سفري إلى الحج -: يا بني، رويتُ ستة آلاف حديث - أو ثمانية آلاف حديث - لم يسألني عنها أحدٌ، ولم أحدث بها أحدًا.

قال أبو سنان زيد بن سنان: أخذت بركابه فركب، فقال لي: آجرك اللَّه يا

---

(١) في «معالم الإيمان» (١/ ٣٢٢) قال: كتب عني مالك أربعة وعشرين حديثًا.

(٢) روى الترمذي (٤/ ٥٧٤ رقم ٢٥١٢) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٥١ - ١٥٢ رقم ٣٠٩) والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٢٩٣ - ٢٩٤ رقم ٤١٠٢) عن عبد اللَّه بن عَمْرو نحوه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ابن أخي، أما إنه من أخذ بركاب أخيه المؤمن حتى يركب، حط اللَّه - عزَّ وجلَّ - عنه أربعين كبيرة. فقلت له: يا أبا زكريا، إن هذا من العلم الشريف، ولكني أريد أن تخبرني بأفضل ما تقرب العباد به إلى اللَّه - عزَّ وجلَّ - فقال: أخبرني [زربي][(١)] عن أنس بن مالك، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لن يتقرب العباد إلى اللَّه - تعالى - بأفضل من رد كبد جائعة»**[(٢)].

قال أبو العرب: سألت يحيى بن محمد بن يحيى بن السلام خاليًا، عن قول جده في الإيمان، فقال لي: كان جدّي يقول: الإيمان قول وعمل ونية. وكان يحيى ثقة صدوقًا لا يقول عن جدّه إلا الحق.

وعن أبي القاسم السدري، أنه كتب إليه عيسى بن مسكين يقول: حدثنا عون بن يوسف، قال: قلت ليحيى بن السلام: إن الناس يرمونك بالإرجاء، قال عون: فأخذ يحيى لحيته بيده وقال: أحرق اللَّه هذه اللحية بالنار إن كنت دنتُ اللَّه - عزَّ وجلَّ - قط بالإرجاء! فقيل لعيسى: فما تقول أنت فيه؟ فقال:

---

(١) في المطبوع: زر. وفي «معالم الإيمان» (١/ ٣٢٣): زيد بن حبيش. وكلاهما خطأ، وما أثبته هو الصواب؛ فقد روى ابن عدي هذا الحديث في «الكامل» (٤/ ٢١٤) وابن حبان في «المجرحين» (١/ ٣٠٨ - ٣٠٩) في ترجمة زربي بن عبد اللَّه، والحديث معروف به، وزربي ابن عبد اللَّه ترجمته في «التهذيب» (٩/ ٣٤٦ - ٣٤٧).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢١٤) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٠٨ - ٣٠٩) والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٣١٧رقم ٣٣٦٧) وأبو الشيخ في «الثواب» والأصبهاني - كما في «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٦٦) - وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٥١٩ - ٥٢٠ رقم ١٠٨٥) كلهم من طريق زربي به.

وقال ابن عدي: ولزربي غير ما ذكرت من الحديث قليل، وأحاديثه وبعض متون أحاديثه منكرة.

وقال ابن حبان عن زربي: منكر الحديث على قلة روايته، يروي عن أنس ما لا أصل له؛ فلا يجوز الاحتجاج به.

والله إنه لخير منا، وقد برأه الله مما يقولون.

وفي موضع آخر: كيف وقد حدثتكم أنه بدعة؟

قال أبو العباس بن حمدون: سمعت محمدًا بن يحيى يقول: كنت أمشي أبي - رحمه الله تعالى - إلى أن انتهينا إلى موقف الخيل، فبينا نحن نمشي إذ جبذني جبذة شديدة ثم دخل إلى سقيفة وأدخلني معه، فقلت له: يا أبي ما قصتك؟! فقال: يا بني، إني رأيت غريمًا لي فخفتُ أن يراني فيرتاع مني أو يخاف، وذكرتُ قول الله - تعالى -: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾[1]. فقعدنا ساعة، ثم خرج أبي فخرجت معه، فلما أن مشينا قليلًا قال: يا بني، إنه جاء في الحديث: «من رحم يرحم»[2].

أبو العباس تميم بن أبي العرب عن أبيه، قال: كان يحيى بن السلام من خيار خلق الله تعالى؛ دعا الله - تعالى - أن يقضي عنه الدين؛ فقضى دينه، ودعا الله - عزَّ وجلَّ - أن يورث ولده العلم؛ فكان كما دعا، ودعا الله - عزَّ وجلَّ - أن يكون قبره بمقطم مصر؛ فكان ذلك، وقبره إلى جانب قبر ابن فروخ، وقيل: إنه يُرى عليهما كل ليلة قنديلان.

قال سليمان بن سالم: إنما نُسب إلى يحيى بن السلام الإرجاء أن موسى ابن معاوية الصمادحي أتاه فقال له: يا أبا زكريا، ما أدركت الناس يقولون في

---

(١) البقرة: ٢٨٠ .

(٢) روى البخاري (٣/ ١٨٠ رقم ١٢٨٤) ومسلم (٢/ ٦٣٥ - ٦٣٦ رقم ٩٢٣) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».
وروى البخاري (١٠/ ٤٥٢ رقم ٦٠١٣) ومسلم (٤/ ١٨٠٩ رقم ٢٣١٩) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله - عز وجل».
وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم.

الإيمان؟ فقال: أدركت مالكًا وسفيان الثوري وغيرهم يقولون: الإيمان قول وعمل، وأدركت مالك بن مِغْوَل وفِطْر بن خليفة وعمر بن ذر يقولون: الإيمان قول. قال سليمان: فأخبر موسى سحنون بن سعيد بما ذكر يحيى عن عمر بن ذَرّ وفِطْر بن خليفة ومالك بن مِغْول، ولم يذكر له ما قال عن غيرهم، فقال سحنون: هذا مرجئ.

حدث عون بن يوسف، قال: كنت عند عبد اللَّه بن وهب وهو يُقْرأ عليه، فمر حديث ليحيى بن السلام؛ فقال: امحه! فقال عون: فقلت له: لم تمحوه أصلحك اللَّه؟! فقال: بلغني أنه يقول بالإرجاء، فقلت له: فأنا كشفته عن ذلك، فقال لي: أنت؟! فقلت له: نعم، فقال لي: فما قال لك؟ قال: قلت له، فقال: معاذ اللَّه أن يكون ذلك رأيي، أو أدين اللَّه به، ولكن أحاديث رويتها عن رجال يقولون: الإيمان قول. وآخرين يقولون: الإيمان قول وعمل؛ فحدثنا بما سمعنا منهم. فقال لي ابن وهب: فرّجت عنّي، فرج اللَّه عنك. قال عون: فلما قدمت القيروان - وكان يحيى باقيًا بعد - أتاني فسلم عليَّ وقال لي: يا أبا محمد، قد بلغني محضرك؛ فجزاك اللَّه خيرًا، واللَّه ما قلتَ إلّا حقًّا، وما دنتُ اللَّه به قط. اهـ.

الفصل الثالث

يحيى بن سلام بين الجرح والتعديل

اجتهدت في جمع كل ما يُفيد في ترجمة يحيى بن سلام جرحًا وتعديلًا، مما وقفت عليه من مصادر ترجمته وغيرها من الكتب، فأقول:

قال أبو زرعة الرازي[١]: لا بأس به، ربما وهم.

وقال أبو حاتم الرازي[٢]: كان شيخًا بصريًّا وقع إلى مصر، وهو صدوق. وروى له أبو عوانة في صحيحه[٣].

وعلل الطحاوي[٤] تضعيفه لحديث بقوله: لا يثبته أهل العلم بالرواية؛ لضعف يحيى بن سلام عندهم وابن أبي ليلى، وفساد حفظهما.

وذكر ابن حبان في «الثقات»[٥] وقال: ربما وهم.

وقال ابن عدي[٦]: هو ممن يُكتب حديثه مع ضعفه.

وقال الدارقطني[٧]: يحيى بن سلام ضعيف[٨].

وقال مرة[٩]: يحيى بن سلام ليس بالقوي.

---

(١) «سؤالات البرذعي» (٢/ ٣٣٩).
(٢) «الجرح والتعديل» (٩/ ١٥٥).
(٣) «مسند أبي عوانة» (١/ ٦٠ رقم ١٥٦ ، ٢/ ٨١ رقم ٢٣٩٦).
(٤) «شرح معاني الآثار» (٢/ ٢٤٦).
(٥) «الثقات» (٩/ ٢٦١).
(٦) «الكامل» (٩/ ١٢٥).
(٧) «سنن الدارقطني» (١/ ٣٢٧).
(٨) تعقبه ابن الجوزي في التحقيق - مع تنقيح ابن عبد الهادي - (٢/ ٨٤٧) بقوله: لم نر أحدًا ضعفه قبل الدارقطني!
(٩) «سنن الدارقطني» (٢/ ١٨٦).

وقال الحاكم[١]: يحيى بن سلام كثير الوهم.

وصحح له الحاكم حديثًا على شرط مسلم[٢].

وذكره الحاكم في الطبقة الرابعة من المجروحين، وهم قوم عمدوا إلى أحاديث صحيحة عن الصحابة رفعوها إلى رسول اللَّه ﷺ[٣].

وقال أبو العرب القيرواني[٤]: يحيى بن سلام قدم إفريقية، وكان ثقة ثبتًا، وكان له إدراك، لقي غير واحد من التابعين، وأكثر من لقي الرجال والحمل عنهم، وله مصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ؛ حدثني يحيى ابن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه، عن جده يحيى أنه ما سمع شيئًا قط إلا حفظه، حتى إنه كان إذا مر بمن يتغنى يسد أذنيه لئلا يسمعه فيحفظه. وكان من خيار خلق اللَّه.

وقال أبو عمرو الداني[٥]: كان ثقة ثبتًا، عالمًا بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة العربية.

وقال البيهقي[٦]: يحيى بن سلام من الضعفاء.

وقال مرة[٧]: يحيى بن سلام ليس بالقوي.

وقال ابن حزم[٨]: ليس هو ممن يُحتج بحديثه.

---

(١) ذكره عنه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص١٦٠).

(٢) «المستدرك» (٢/ ٣٢).

(٣) «المدخل إلى كتاب الإكليل» (ص٦١ - ٦٢).

(٤) «طبقات علماء إفريقية» (١/ ١١١).

(٥) نقله الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٩٧) و«تاريخ الإسلام» (١١/ ٤٤٣).

(٦) «السنن الكبرى» (٢/ ٦٠).

(٧) «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥).

(٨) «المحلى» (٧/ ٢٩).

وقال أبو الحسن القطان[١] في رده على عبد الحق: وله علة أخرى لم يذكرها، وهي ضعف يحيى بن سلام، وسكوته عن التعريف بذلك يوهم أنه مما رفعه ثقة ووقفه ثقة، وليس كذلك؛ فإن يحيى بن سلام ضعيف عندهم.

وقال[٢] في رد آخر: وليس ذلك بعلة لو كان يحيى بن سلام معتمدًا.

وقال[٣] أيضًا: ويحيى بن سلام صدوق، ولكنه يضعف في حديثه - كما قلناه - ولو لم يخالف؛ فكيف إذا خالف الحفاظ؟!

وقال الذهبي[٤]: يحيى ضعيف، ولم يُخرج له أحدٌ.

وقال ابن كثير[٥]: هو ضعيف بمرة، لا يُعتمد عليه.

وقال السبكي[٦]: يحيى كثير الوهم.

وقال الهيثمي[٧]: يحيى بن سلام الإفريقي ضعيف.

وقال ابن حجر[٨]: هو لين الحديث، وفيما يرويه مناكيرُ كثيرةٌ[٩]،

---

(١) «بيان الوهم والإيهام» (٢/ ٣٠٣).

(٢) «بيان الوهم والإيهام» (٣/ ٢٨٠).

(٣) «بيان الوهم والإيهام» (٢/ ٣٠٤).

(٤) «تلخيص المستدرك» (٢/ ٣٢).

(٥) «إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه» (١/ ١٢٥).

(٦) «الإبهاج في شرح المنهاج» (٢/ ٢٢٦).

(٧) «مجمع الزوائد» (٤/ ١٣٤).

(٨) «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢١٩).

(٩) لعل هذه الكثرة تعود إلى كثرة روايته عن الضعفاء والمتروكين - كإبراهيم بن أبي يحيى وأبان ابن أبي عياش، ونحوهم - وإلى روايته المراسيل والمعضلات من الأحاديث ونحوها، وإلا فأغلب أحاديث التفسير - كما في تخريجي لمختصره هذا - قد تُوبع يحيى عليها، وما كان منها فيه نكارة فالحمل فيه على غيره من الرواة، كما تجده مفصلًا في تخريج الأحاديث، والله أعلم.

وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ومالك والثوري.

وقال[(١)] أيضًا: يحيى ضعيف.

وقال[(٢)] مرة: يحيى بن سلام أصلح حالا من محمد بن مروان بكثير.

وقال الأنصاري[(٣)]: وليحيى بن سلام كتاب في التفسير واختيارات في الفقه، وكان ثقة، ومحله من العلم معلوم.

فنخلص من جمع كلام أهل العلم أن أعدل الأقوال في يحيى بن سلام قول الإمام أبي زرعة الرازي[(٤)] فيه: «لا بأس به، ربما وهم» فإنه جمع بين قول من وثقه وقول من ضعفه؛ وبين سبب تضعيفه، وهو: هذه الأوهام التي وقع فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذه الأوهام هي التي جعلتني أطيل الكلام على الأحاديث وأذكر طرقها وعللها، وأتوسع في نقل كلام الأئمة - رحمة الله عليهم أجمعين - عليها، ثم حاولت جمع ما نصَّ أهل العلم على وهم يحيى فيه من الأحاديث، أو ما استنكروه له، أو ما نصَّ بعضهم على تفرده به؛ وأفردتها بالفصل التالي زيادة في الفائدة.

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٢٨٦) و«التخليص الحبير» (٣/ ٣٤٨).

(٢) «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٦٣).

(٣) «معالم الإيمان» (١/ ٣٢٦).

(٤) قال الحافظ الذهبي في السير (١٣/ ٨١): يُعجبني كثيرًا كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل، يَبِينُ عليه الورعُ والمخبرةُ.

الفصل الرابع

أوهام يحيى بن سلام وأفراده

هذا ما وقفت عليه من الأحاديث التي نص العلماء على استنكارها ليحيى ابن سلام أو وهمه فيها أو تفرده بها حسب الجهد والطاقة.

الحديث الأول

يحيى بن سلام: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أي الشجرة أبعد من الخارف[1] - أو الخاذف؟ قالوا: فرعها، قال: فكذلك الصف المقدم هو أحصنها من الشيطان»**.

رواه البرذعي في «سؤالاته» (٢/ ٣٤٠ - ٣٤١) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٠٣، ٩/ ١٢٣).

قال البرذعي: قلت: حدَّث - يعني: يحيى - عن سعيد، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ: **«أتدرون أي شجرة أبعد من الخارف»** فأنكره أبو زرعة.

قال البرذعي: وأنكر أبو زرعة حديث الخارف الذي ذكرته له، ولم يخبرني بعلته، ولا أدري علمه فسكت عنه أو لم يحفظه. قال البرذعي: وقد ذكر الحديث وعلته ليهتدي إليه من لا يعرفه: حدثنا بحر بن نصر الخولاني، نا يحيى بن سلام، نا سعيد . . . فساق الحديث ثم قال: حدثنا زياد بن أيوب، نا هشيم، نا منصور، عن قتادة، عن أبي قلابة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أي الشجر أمنع من الخارف؟ قالوا: أطولها فرعًا. قال: فكذلك الصف الأول هو أمنع من الشيطان»**.

---

(١) هو الذي يَخْرُفُ الثمر: أي يجتنيه. «النهاية» (٢/ ٢٤).

وهذا عندنا علة حديث يحيى بن سلام، وله أصل من حديث قتادة، إلا أنه أوهم في قوله: عن أنس. اهـ.

وقال ابن عدي: وهذا الحديث لا أعلم يرويه بهذا الإسناد عن سعيد غير يحيى بن سلام. اهـ.

وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٣٨١) في ترجمة يحيى: ومن أنكر ما له ... فذكر هذا الحديث ثم قال: وهذا منكر جدًّا[(١)].

الحديث الثاني

قال البرذعي في «سؤالاته» (٢/ ٣٤٠): وقال لي - يعني: أبا زرعة الرازي -: حدثنا أبو سعيد الجعفي، قال: نا **يحيى بن سلام**، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة «في قوله: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾[(٢)] قال: مصر».

وجعل أبو زرعة يعظم هذا ويستقبحه، قلت: فأيش أراد بهذا؟ قال: هو في تفسير سعيد عن قتادة: «مصيرهم» اهـ.

الحديث الثالث

يحيى بن سلام: ثنا مالك، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: **«من صلى ركعة فلم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام»**.

---

(١) وقد تابع يحيى عليه ثابتُ بن حماد، رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٠٣) وقال: وهذا يُعرف بيحيى بن سلام الإفريقي عن سعيد بهذا الإسناد، لا يرويه إلا ثابت بن حماد. ثم قال في آخر ترجمة ثابت بن حماد: وثابت بن حماد له غير هذه الأحاديث، أحاديث يخالف فيها وفي أسانيدها الثقات، وأحاديثه مناكير ومقلوبات. اهـ.

(٢) الأعراف: ١٤٥ .
وقد أحسن ابن أبي زمنين رحمه الله إذ حذف قول قتادة هذا من تفسيره.

رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢١٨) وابن عدي في «الكامل» (٩/ ١٢٤) والدارقطني في «سننه» (١/ ٣٢٧) والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص١١٠).

وهو في «الموطأ» عن جابر موقوفًا، ورواه الطحاوي من طريق ابن وهب وإسماعيل بن موسى ابن ابنة السدي عن مالك موقوفًا، قال إسماعيل: فقلت لمالك: أرفعه؟ فقال: خذوا برجله[1].

وقال ابن عدي: وهذا الحديث عن مالك بهذا الإسناد لم يرفعه عن مالك غير يحيى بن سلام، وهذا الحديث في «الموطأ» من قول جابر موقوف.

وقال الدارقطني: يحيى بن سلام ضعيف، والصواب موقوف.

وقال الحاكم: وهم يحيى بن سلام على مالك بن أنس في رفع هذا الخبر، ويحيى بن سلام كثير الوهم، وقد روى مالك هذا الخبر في «الموطأ» عن وهب ابن كيسان عن جابر من قوله. اهـ. نقله عنه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص١١٠).

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/ ٤٨ - ٤٩): لم يرو هذا الحديث أحد من رواة «الموطأ» مرفوعًا، وإنما هو في «الموطأ» موقوف على جابر من قوله، وانفرد يحيى بن سلام برفعه عن مالك، ولم يُتابع على ذلك، والصحيح فيه أنه مِنْ قول جابر. اهـ.

وقال في «الاستذكار» (٤/ ٢٤٢): وهو حديث لا يصح إلا موقوفًا على جابر.

---

(١) قال البيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص١١١): هذه الحكاية عن مالك تكذب رواية من رواه مرفوعًا. اهـ.

ورواه البيهقي في «سننه» (٢/ ٦٠) من طريق ابن بكير عن مالك موقوفًا ثم قال: هذا هو الصحيح عن جابر من قوله غير مرفوع، وقد رفعه يحيى بن سلام وغيره من الضعفاء[1] عن مالك، وذلك مما لا يحل روايته على طريق الاحتجاج به. اهـ.

وقال عبد الحق في «الأحكام الوسطى» (١/ ٣٨٠): رواه يحيى بن سلام عن مالك بهذا الإسناد عن النبي ﷺ وتفرد برفعه، ولم يُتابع عليه، ورواه أصحاب «الموطأ» موقوفًا على جابر، وهو الصحيح. اهـ.

وقال ابن كثير في «إرشاد الفقيه» (١/ ١٢٥): والصحيح ما رواه مالك في «الموطأ» عن وهب بن كيسان عن جابر موقوفًا، وقد رفعه يحيى بن سلام عن مالك، وهو ضعيف بمرة، لا يُعتمد عليه. اهـ.

وقال السبكي في «الإبهاج شرح المنهاج» (٢/ ٢٢٦): لم يرفعه عن مالك غير يحيى بن سلام، وهو في «الموطأ» موقوف، وقد قيل: وهم يحيى بن سلام عن مالك في رفعه، ولم يُتابع عليه، ويحيى كثير الوهم. اهـ.

الحديث الرابع

يحيى بن سلام: عن شعبة، عن ابن أبي ليلى، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: **«رخص رسول الله ﷺ للمتمتع إذا لم يجد الهدي أن يصوم أيام التشريق»**.

رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠) والطحاوي في «شرح المعاني» (٢/ ٢٤٣) والدارقطني في «سننه» (٢/ ١٨٦) والبيهقي في «سننه» (٥/ ٢٥) وتمام

---

(١) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي (ص١١٠ - ١١١).

الرازي في «فوائده» (١/ ١٣ رقم١).

وقال الطحاوي في «شرح المعاني» (٢/ ٢٤٦): حديث يحيى بن سلام عن شعبة فهو حديث منكر لا يثبته أهل العلم بالرواية؛ لضعف يحيى بن سلام عندهم وابن أبي ليلى وفساد حفظهما، مع أني لا أحب أن أطعن على أحد من العلماء بشيء، ولكن ذكرت ما تقول أهل الرواية في ذلك. اهـ.

وقال الدارقطني: يحيى بن سلام ليس بالقوي. اهـ.

وقال البيهقي: كذا رواه يحيى بن سلام وليس بالقوي، وابن أبي ليلى هذا هو عبد اللَّه بن عيسى بن أبي ليلى. اهـ.

وقال ابن حزم في «المحلى» (٧/ ٢٩): وقد أسنده عن شعبة يحيى بن سلام، وليس هو ممن يحتج بحديثه . اهـ.

الحديث الخامس

يحيى بن سلام: عن مالك وسعيد عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن عبد اللَّه بن عمر **«أن غيلان بن سلمة أسلم وعنده ثمان نسوة، فقال له النبي ﷺ: اختر منهن أربعًا»**.

رواه الإمام محمد بن المظفر في «غرائب حديث مالك» (ص١٠٣ - ١٠٤ رقم ٥٠) وعنه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (١/ ١٩٢ - ١٩٣).

ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤/ ٢٢٧١ رقم ٥٦٣٠) عن محمد بن المظفر به، لكنه أفرد طريق مالك عن الزهري به، ولم يذكر طريق سعيد عن معمر فيه.

وهذا الحديث في «الموطأ» عن مالك، عن ابن شهاب بلاغًا، قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢/ ٥٤): هكذا رواه جماعةُ رواة «الموطأ» وأكثر رواة ابن شهاب. ثم قال: رواه يحيى بن سلام عن مالك ومعمر وبحر السقاء، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه - مسندًا، فأخطأ فيه يحيى بن سلام على مالك، ولم يتابع عنه على ذلك، ووصله معمر، فرواه عن ابن شهاب، عن سالم، عن ابن عمر. ويقولون: إنه من خطأ معمر، ومما حدث به بالعراق من حفظه؛ وصحيح حديثه ما حدث به باليمن من كتبه. اهـ.

وقال أبو العباس الداني في «أطراف الموطأ» (ل٢٦٨ - ب): ولم يتابع يحيى على هذا عن مالك، ولعل رواية مالك اشتبهت عليه برواية معمر فقرنها، وأخطأ في ذلك[١]. اهـ.

الحديث السادس

يحيى بن سلام: ثنا الثوري، عن زبيد الإيامي، عن ابن سلمة، عن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلمين إلا وبينهما من الله - عز وجل - ستر؛ فإذا قال أحدهما لصاحبه: كافر، فقد وقع الكفر على أحدهما، وإن قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر، خرق ستر الله - تعالى»**.

رواه الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٣٠) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٧٣٢ - ٧٣٣ رقم ١٢٢٠).

وهذا الحديث معروف من رواية يزيد بن أبي زياد، عن عمرو بن سلمة، عن ابن مسعود.

---

(١) نقلًا عن حاشية «غرائب حديث مالك» (ص١٠٥).

قال الدارقطني: يرويه يزيد بن أبي زياد، واختلف عنه: فرواه زائدة، عن يزيد، عن عمرو بن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعًا.

وتابعه الثوري من رواية عبد اللّٰه بن محمد بن المغيرة عنه.

وخالفهما شعبة وجرير وابن فضيل؛ فرووه عن يزيد بن أبي زياد، عن عمرو بن سلمة، عن ابن مسعود موقوفًا، وهو الصواب.

وقال يحيى بن سلام: عن الثوري، عن زبيد الإيامي، عن ابن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعًا. وهو وهم. اهـ

وقال ابن الجوزي: قال الدارقطني: المرفوع وهم، وقد رُوي موقوفًا، وهو الصواب.

الحديث السابع

سُئل الدارقطني(١) عن حديث أبي برزة عن النبي ﷺ في الحوض، فقال: حدَّث به قرة بن خالد، واختلف عنه:

فرواه ابن مهدي(٢) ومعاذ بن معاذ وعثمان بن عمر، عن قرة، عن أبي جمرة - واسمه نصر بن عمران - عن أبي برزة موقوفًا.

وخالفهم يحيى بن سلام الأفريقي؛ فرواه عن قرة عن الحسن عن أبي برزة مرفوعًا، ووهم فيه والصواب حديث أبي جمرة. اهـ.

---

(١) «علل الدارقطني» (٦/٣٠٨ - ٣٠٩ رقم ١١٥٩).

(٢) رواه البيهقي في «الاعتقاد» (ص١٢٠) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن قرة بن خالد، عن أبي جمرة، قال: «دخل أبو برزة على عبيد اللّٰه بن زياد فقال: إن محمدكم هذا لدحداح - الدحداح: القصير السمين «النهاية (٢/١٠٣) - فقال: ما كنت أراني أن أعيش في قوم يعدون صحبة محمد ﷺ عارًا! قالوا: إن الأمير إنما دعاك ليسألك عن الحوض، فقال: عن أي باله؟ قال: أحق هو؟ قال: نعم، فمن كذب به فلا سقاه اللّٰه منه».

وقال الدارقطني في «الأفراد»[1] : تفرد به يحيى بن سلام عن قرة عنه - يعني : عن الحسن عن أبي برزة - وخالفه عبد الرحمن بن مهدي وعثمان بن عمر وغيرهما، رووه عن أبي جمرة نصر بن عمران عن أبي برزة نحو هذا. اهـ.

الحديث الثامن

يحيى بن سلام: عن مالك، عن الزهري، عن عيسى بن طلحة، عن عبد اللَّه بن عمرو: «**أن رسول اللَّه ﷺ وقف للناس في حجة الوداع، فقال رجل: يا رسول اللَّه، حلقت قبل أن أذبح؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: اذبح ولا حرج. قال آخر: يا رسول اللَّه، ذبحت قبل أن أرمي؟ قال: ارم ولا حرج. قال آخر: يا رسول اللَّه، طفت بالبيت قبل أن أذبح؟ قال: اذبح ولا حرج. قال: فما سُئل عن شيء قُدم ولا أُخر إلا قال: لا حرج، لا حرج**».

رواه الدارقطني وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

والحديث في «الموطأ» بهذا الإسناد - وخرجه الشيخان من طريقه - لم يقل أحد من رواة «الموطأ» فيه: «طفت بالبيت قبل أن أذبح» بل تفرد بها يحيى ابن سلام، قال ابن عبد البر: هذا حديث صحيح، لا يُختلف في إسناده، ولا أعلم عن مالك اختلافًا في ألفاظه إلا ما رواه يحيى بن سلام عن مالك ذكره الدارقطني. . . ولم يقل أحد في هذا الحديث: «طفت بالبيت قبل أن أذبح» إلا يحيى بن سلام، ولم يتابع عليه، وهكذا رواه جمهور أصحاب ابن شهاب كما رواه مالك في «موطئه». اهـ.

الحديث التاسع

يحيى بن سلام: عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ

---

(١) «أطراف الغرائب والأفراد» (٥/ ٢٤ رقم ٤٥٥٩).

قال: «**مَا مِن أيَّامٍ أعْظم عندَ اللَّه من عشر ذي الحجة، إذا كانت عشيةَ عرفَة، نزلَ عزَّ وجلَّ إلى سماءِ الدُّنيا، وحفت به الملائكة، فيباهي بهم ملائكته، ويقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا ضاجين، جاءوا من كل فجٍّ عميق، ولم يروا رحمتي ولا عذابي. قال: فلم أر يومًا أكثر عتيقًا من يوم عرفة**».

رواه ابن عدي في «الكامل» (٩/ ١٢٤).

قال ابن عدي: وهذا الحديث لا أعلم رواه عن الثوري بهذا الإسناد غير يحيى بن سلام. اهـ.

وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٣٨١): وهذا انفرد به يحيى[١].

الحديث العاشر

يحيى بن سلام: عن حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا نورث**».

ذكره الدارقطني في «العلل» (١/ ٢١٨).

والحديث معروف من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة، قال الدارقطني: واختلف عنه فيه:

فرواه حماد بن سلمة من رواية أبي الوليد الطيالسي[٢] ويحيى بن سلام

---

(١) وانظر: «علل الدارقطني» (٩/ ٢٠٢).

(٢) رواه الترمذي (٤/ ١٣٤ رقم ١٦٠٨) من طريق أبي الوليد الطيالسي به، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه؛ إنما أسنده حماد بن سلمة وعبد الوهاب بن عطاء عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وسألت محمدًا عن هذا الحديث فقال: لا أعلم أحدًا رواه عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة إلا حماد بن سلمة. وروى عبد الوهاب بن عطاء عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة وعن أبي هريرة نحو رواية حماد بن سلمة. اهـ. وانظر: «علل الترمذي الكبير» (ص٢٦٥).

عنه، فأسنداه عنه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن أبي بكر.

وخالفهما عفان بن مسلم(١)؛ فرواه عن حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة مرسلًا عن أبي بكر، لم يذكر فيه أبا هريرة.

وتابعه عبد العزيز بن محمد الدراوردي وأنس بن عياض وغير واحد عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، لم يذكروا فيه أبا هريرة.

ورواه عبد الوهاب بن عطاء الخفاف(٢) عن محمد بن عمرو؛ فأسنده عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

والصحيح من هذا الحديث المرسل؛ لكثرة من رواه من الحفاظ عن محمد ابن عمرو مرسلًا. اهـ.

وقال البزار في «مسنده» (١/ ٨١): وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه فوصله إلا حماد بن سلمة وعبد الوهاب، وغيرهما يرويه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلًا. اهـ.

الحديث الحادي عشر

يحيى بن سلام: عن عثمان بن مقسم، عن قتادة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عاصم بن عمر، عن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا - يعني: المغرب - وغربتِ الشمسُ؛ فقد أفطر الصائم**»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٩) عن عفان.

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ١٣) والترمذي (٤/ ١٣٥ رقم ١٦٠٩) من طريقه، وقال الترمذي: وقد رُوي هذا الحديث من غير وجهٍ عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ.

(٣) والحديث محفوظ من طريق هشام بن عروة، رواه الجماعة إلا ابن ماجه، وقال علي بن المديني: لا نحفظه إلا من طريق هشام، وهو إسناد متصل، وهو من صحيح ما يُروى عن عمر. وقال الترمذي: لا نعلمه يُروى عن عمر بن الخطاب إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. انظر «مسند الفاروق» لابن كثير (١/ ٢٧٢ - ٢٧٣).

رواه ابن عدي في «الكامل» (٩/ ١٢٥).

وقال ابن عدي: وهذا الحديث من رواية قتادة عن هشام بن عروة لا أعرفه إلا من هذا الوجه.

وليحيى بن سلام غير ما ذكرت من الحديث، وأنكر ما رأيت له هذه الأحاديث التي ذكرتها[1]، وهو ممن يُكتب حديثه مع ضعفه. اهـ.

الحديث الثاني عشر

يحيى بن سلام: عن أيوب بن نهيك، عن يَعْلَى بن شداد بن أوس، عن أبيه، قال: سَمِعتُ النبي ﷺ يقول: «**من أنظر معسِرًا - أو تصدَّقَ عليه - أظلَّه اللَّهُ في ظِلِّه يَوْمَ القِيَامَةِ**».

رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٢٥٤).

قال الطبراني: لم يروِ هذا الحديث عن يعلى بن شداد إلا أيوب بن نهيك، تفرد به يحيى بن سلام. اهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٣٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يحيى بن سلام الأفريقي، وهو ضعيف. اهـ.

الحديث الثالث عشر

يحيى بن سلام: نا عثمان بن مقسم البري، عن يحيى بن سعيد، عن سليمان بن يسارٍ، قال: كتبَ عمرُ بن عبد العزيز، أنَّ عائشة أخبرته «أنَّ

---

(١) وقد ذكر له أربعة أحاديث:
الحديث الأول: حديث الخارف، وهو الأول في هذا الباب.
الحديث الثاني: حديث جابر في القراءة خلف الإمام، وهو الثالث هنا.
الحديث الثالث: حديث جابر في فضل أيام العشر، وهو التاسع هنا.
الحديث الرابع: حديث عمر هذا.

الصَّلاةَ كانت على عهدِ رسولِ اللَّه ﷺ ركعتينِ، وزيدَ في صلاةِ المقيم، وأثبتتْ صَلاةُ المسافرِ كما هي»[1].

رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٣٧٥).

قال الطبراني: لا يروى عن عمر بن عبد العزيز إلا من هذا الوجه. اهـ.

هذا كل ما استطعت جمعه مما استنكره أهل العلم على يحيى من الأحاديث، أو ونصوا على وهمه فيه أو تفرده به، حسب جهدي القاصر، وحسب ما توفر لي من مصادر، مع صعوبة البحث في كثير من المصادر وعدم توفر الفهارس العلمية الدقيقة لها[2]، وصعوبة الاستقراء التام لهذا العدد الكبير من المصادر، فمن وجد شيئًا من ذلك فليلحقه في مجله، ولو يسر اللَّه لنا الوقوف على تفسير يحيى بن سلام نفسه لعلنا نجد شيئًا مما هو على شرطنا في هذا الباب، أما هذا المختصر فلا يوجد فيه من هذا الباب شيء، والحمد للَّه.

---

(١) كذا وقع هذا الحديث في «المعجم الأوسط»، ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ١٣١) بنفس إسناده في الأوسط ووقع فيه مخالفات في الإسناد؛ ففيه: عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن يسار، عن عمر بن عبد العزيز، حدثني ابن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «فُرضتْ الصلاة ركعتين، فزيد في صلاة المقيم، وأثبتت صلاة المسافر كما هي».
قال الطبراني: لم يُدخل أحدٌ ممن روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد فيما بين يحيى وعروة: سعيد بن يسار وعمر بن عبد العزيز إلا عثمان بن مقسم، ورواه زهير بن معاوية عن يحيى بن سعيد عن عروة نفسه. اهـ

(٢) ونناشد كل إخواننا ومشايخنا العاملين في مجال تحقيق الكتب العلمية أن يهتموا بعمل فهارس دقيقة لهذه الكتب، خصوصًا فهارس الأحاديث، وفهرس الرواة فإن هذا الفهرس في غاية الأهمية لعمل دراسات عن بعض الرواة وجمع كلام أهل العلم فيهم، وما زال فضيلة الدكتور الكريم/ أحمد بن معبد عبد الكريم يؤكد لنا أهمية هذا الفهرس بالذات في أغلب جلساتنا معه، جزاه اللَّه عنا خيرًا؛ لما يُسديه لنا من النصح والتشجيع المستمر، جعل اللَّه ذلك كله في ميزان حسناته، ونفعنا اللَّه بعلمه.

الفصل الخامس

تفسير يحيى بن سلام[(١)]

لا شك في صحة نسبة هذا التفسير إلى يحيى بن سلام، ومما يدل على ذلك:

أنه قد رواه بسنده إلى يحيى بن سلام جماعة من العلماء؛ منهم ابن أبي زمنين[(٢)] وابن الفرضي[(٢)] وابن خير الإشبيلي[(٣)] وابن حجر[(٢)] والروداني[(٢)] وغيرهم.

وقد أكثر أهل العلم من النقل عنه في التفسير، مثل الماوردي في كتابه «النكت والعيون» وابن الجوزي في «زاد المسير» والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» وفي «التذكرة» أيضًا، وابن حجر في «فتح الباري» وفي «العجاب في بيان الأسباب» والشوكاني في «فتح القدير» والألوسي في «روح المعاني» وغيرهم.

وقد عزاه له - غير من تقدم - أبو عمرو الداني - وسيأتي - وابن الأبار في «الحلة السيراء» (١/ ١٠٥) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١١/ ٤٤٣) وغيره، والأنصاري في «معالم الإيمان» (١/ ٣٢٦) وابن الجزري في «غاية النهاية» (٢/ ٣٧٣) والداودي في «طبقات المفسرين» (٢/ ٣٧١، ٣٧٢) والزركلي في «الأعلام» (٨/

---

(١) نسخة خطية منه كانت تحت يدي قديمًا، ولا تطولها يدي الآن، وهي نسخة رديئة التصوير، يصعب الاستفادة منها، وقد حقق سورًا منه الدكتور/ محمد عوض في جامعة الأزهر، وقد حاولت مرارًا الحصول على هذه السور - رغم أنها كانت تحت يدي قديمًا - فما استطعت إليها سبيلا، فلعل الله ييسر الحصول على هذا الجزء المحقق وعلى النسخ الخطية لنكتب عنه دراسة وافية، وإلى ذلك الحين نكتفي بهذه الإشارة المجملة دون الخوض في التفاصيل.

(٢) تقدم في فصل إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام من الباب الثاني.

(٣) راجع «فهرس ابن خير».

١٤٨) وكحالة في «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٠١) وبروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (٢/ ٣٩٨) وسزكين في «تاريخ التراث العربي» (١/ ٩١) وغيرهم.

وهو أحد كتب التفسير بالمأثور التي كُتبت في القرن الثاني الهجري، يروي فيه يحيى الأحاديث بإسناده إلى النبي ﷺ وكذلك يروي الآثار عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن، وأضاف يحيى إلى ذلك ذكر القراءات واللغات، وذكر المكي والمدني من الآيات، وذكر الناسخ والمنسوخ منها، وتكلم على الأحكام الفقهية وغيرها.

وقد اشتهر هذا التفسير واهتم به العلماء، قال أبو عمرو الداني[1] عن يحيى ابن سلام: سكن إفريقية دهرًا، وسمعوا منه في كتابه في «تفسير القرآن» وليس لأحدٍ من المتقدمين مثله.

وقد كان بعض العلماء يحفظ هذا التفسير عن ظهر قلب؛ منهم الفقيه محمد بن زرزور الحنفي (ت٢٩١ هـ) قال يومًا: أحفظ القرآن من أوله إلى آخره وأحفظ تفسير ابن سلام كما أحفظ القرآن[2].

ومما يدل على اشتهاره أيضًا قول الشاعر[3]:

يا رب معنى قد استنبطته فهمًا فقيل يحفظ تفسير ابن سلام

وقد اختصره ابن أبي زمنين في كتابنا هذا، واختصره عالم أندلسي آخر أيضًا هو الإمام أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون القنازعي القرطبي، كما في «ترتيب المدارك» (٤/ ٧٢٨).

---

(١) «تاريخ الإسلام» (١١/ ٤٤٣).

(٢) «الجواهر المضية في تراجم الحنفية» (ص٥٤ رقم ١٧٧).

(٣) نقله الزركلي في «الأعلام» (٨/ ١٤٨) عن «اقتراح القريح» لعلي بن عبد الغني الحصري المخطوط بدار الكتب.

وأما من روى التفسير بإسناده أو سمعه فلا يمكن حصرهم، وأما من نقل منه فعدد كبير أيضًا ذكرت بعضهم فيما تقدم.

وقال ابن حجر[١]: تفسير يحيى بن سلام المغربي وهو كبير في نحو ستة أسفار، أكثر فيه النقل عن التابعين وغيرهم، وهو لين الحديث، وفيما يرويه مناكير كثيرة، وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ومالك والثوري. اهـ.

قلت: انظر ما كتبته في «المؤخذات على تفسير ابن أبي زمنين» في الباب الثاني، وانظر النسخ الخطية لتفسير ابن سلام في «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه» (١/ ٢١).

وقال مشهور بن حسن[٢]: وقد رأيته وقد نضدت حروفه وضبط نصه ولم تخرج أحاديثه، وكان بين يدي بعضهم يعمل في تخريج الأحاديث، ولا أدري مصير هذا العمل ومنتهاه، هل طُبع أم لا. اهـ.

هذا آخر ما يسر اللَّه تعليقه من هذه الدراسة بحمد اللَّه وعونه.

نسأل اللَّه العظيم أن ينفعنا بها وإخواننا ومشايخنا وسائر المسلمين؛ إنه جواد كريم، والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكان الانتهاء من تعليقها يوم الخميس ١٧ رجب سنة ١٤٢٢ هـ.

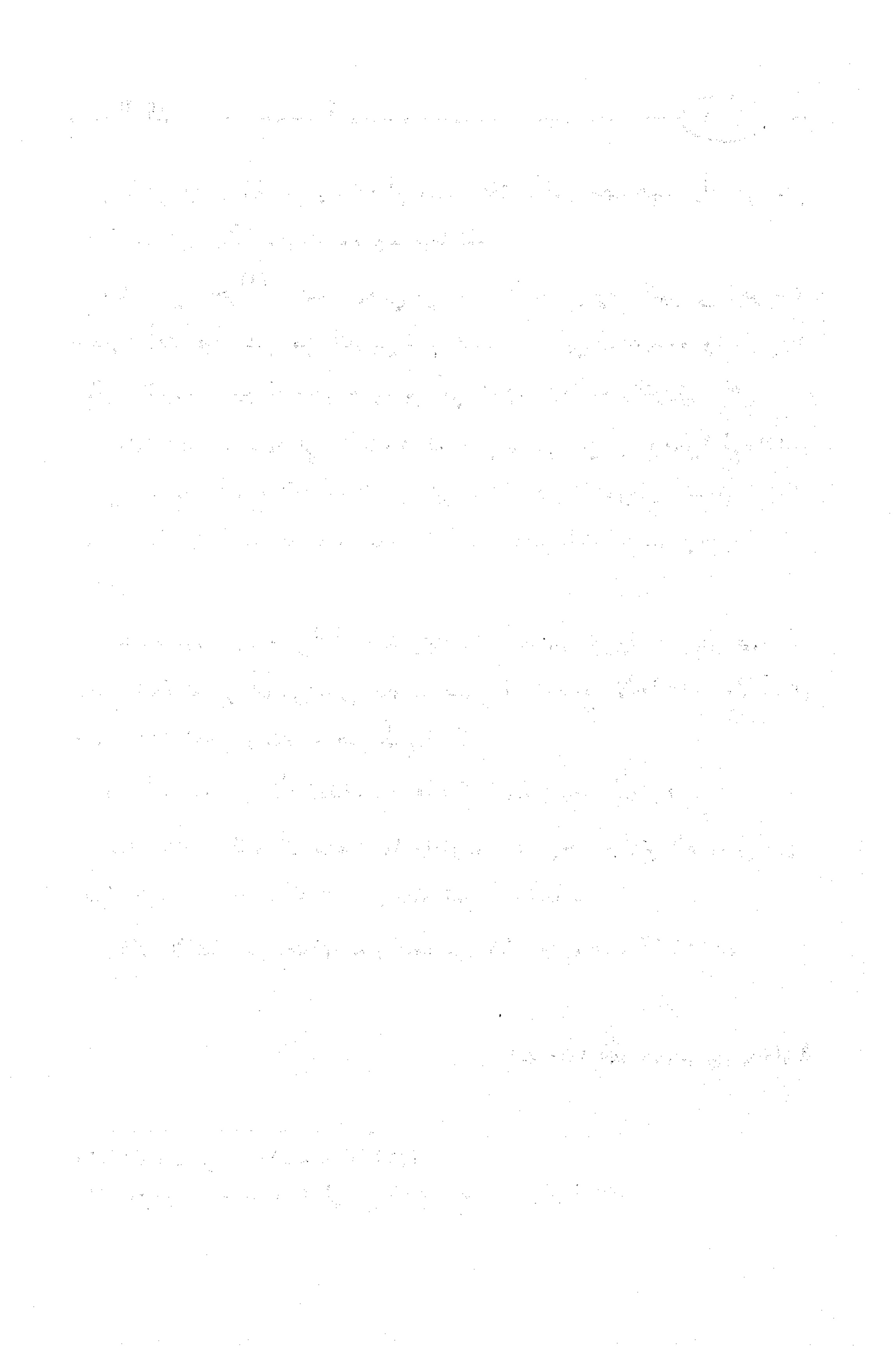
كتبه

أبو عبد الله حسين بن عكاشة

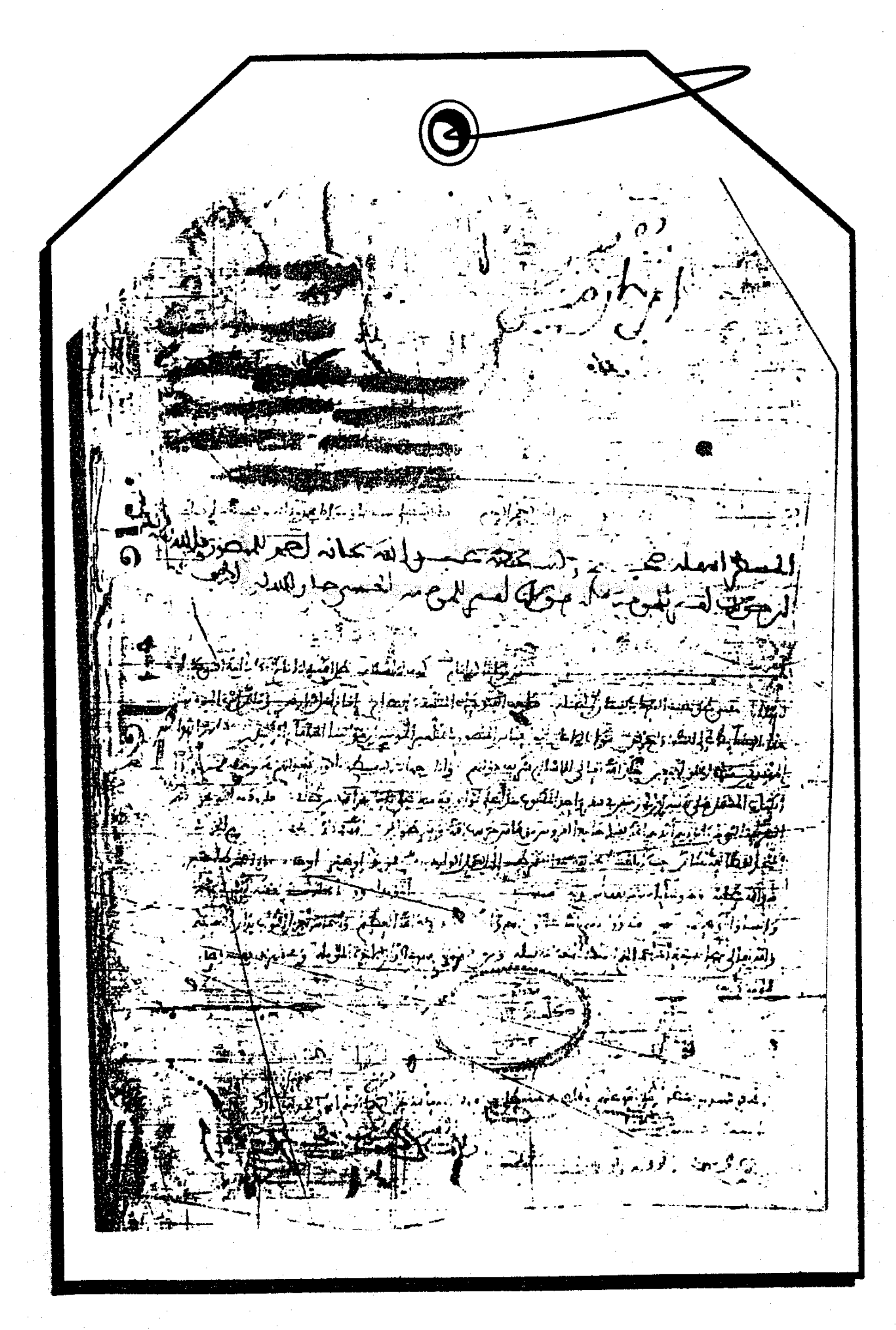
---

(١) «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢١٩).

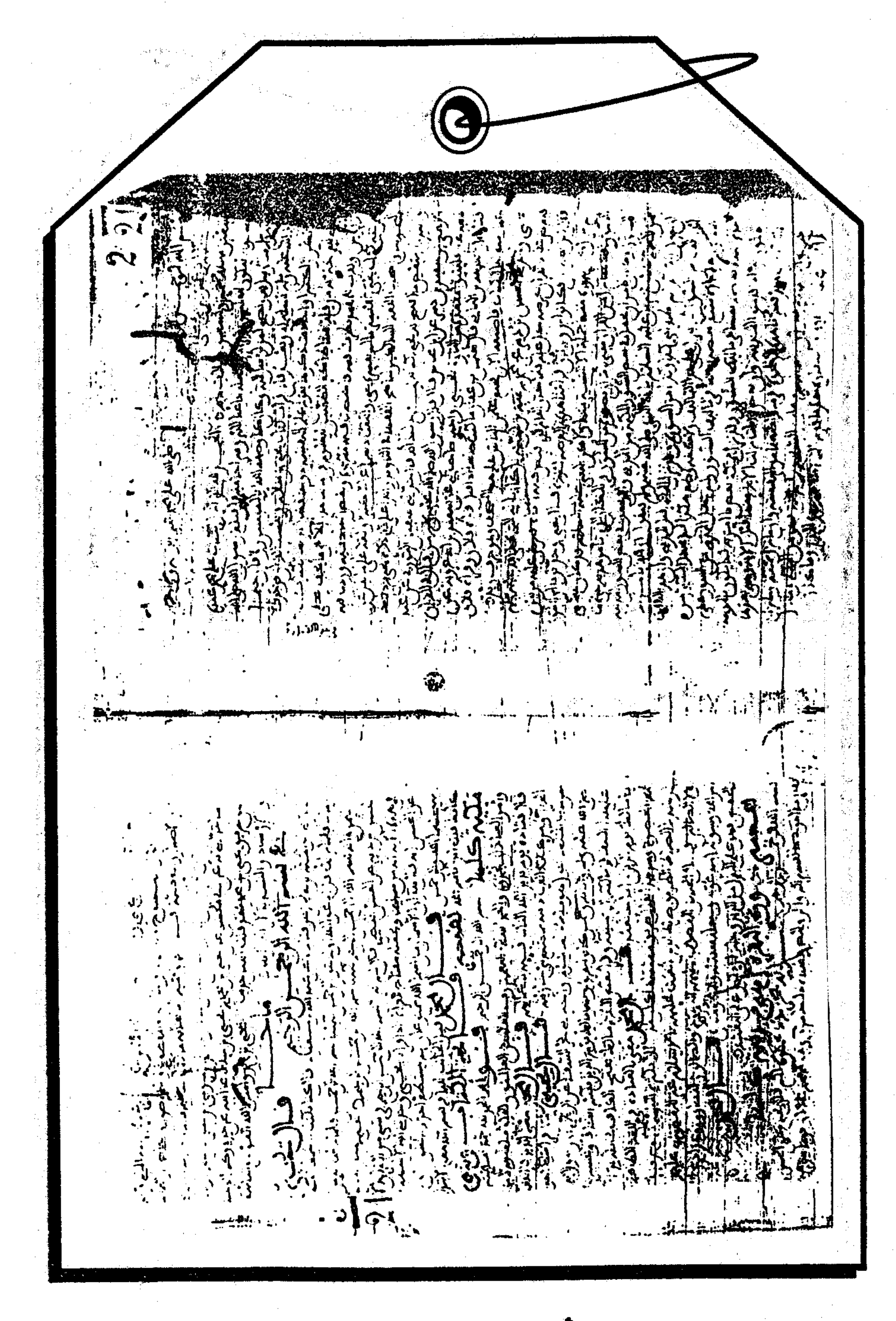
(٢) «معجم المصنفات الواردة في فتح الباري» (ص١٣٧ رقم ٣٢٩).



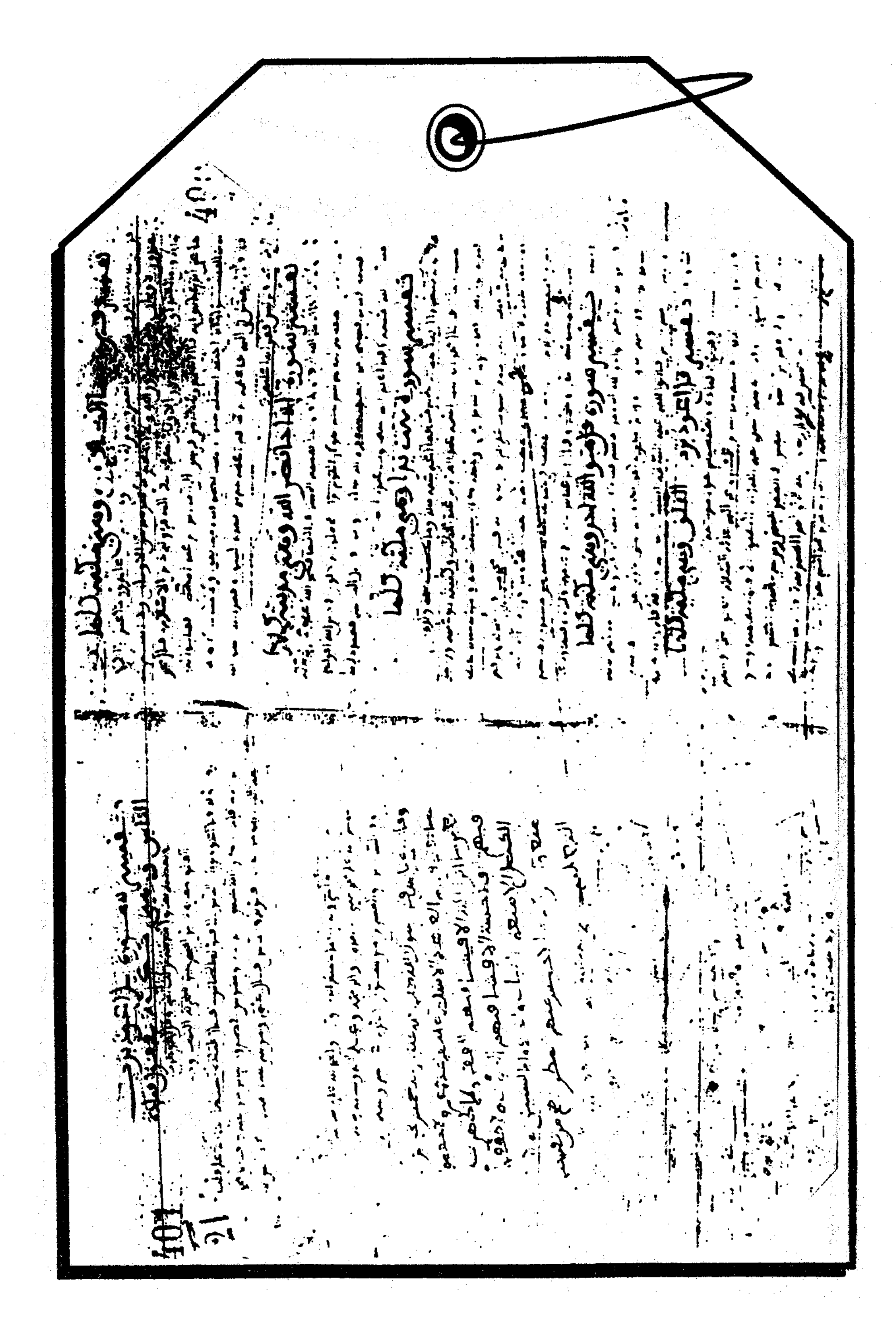
صور المخطوط



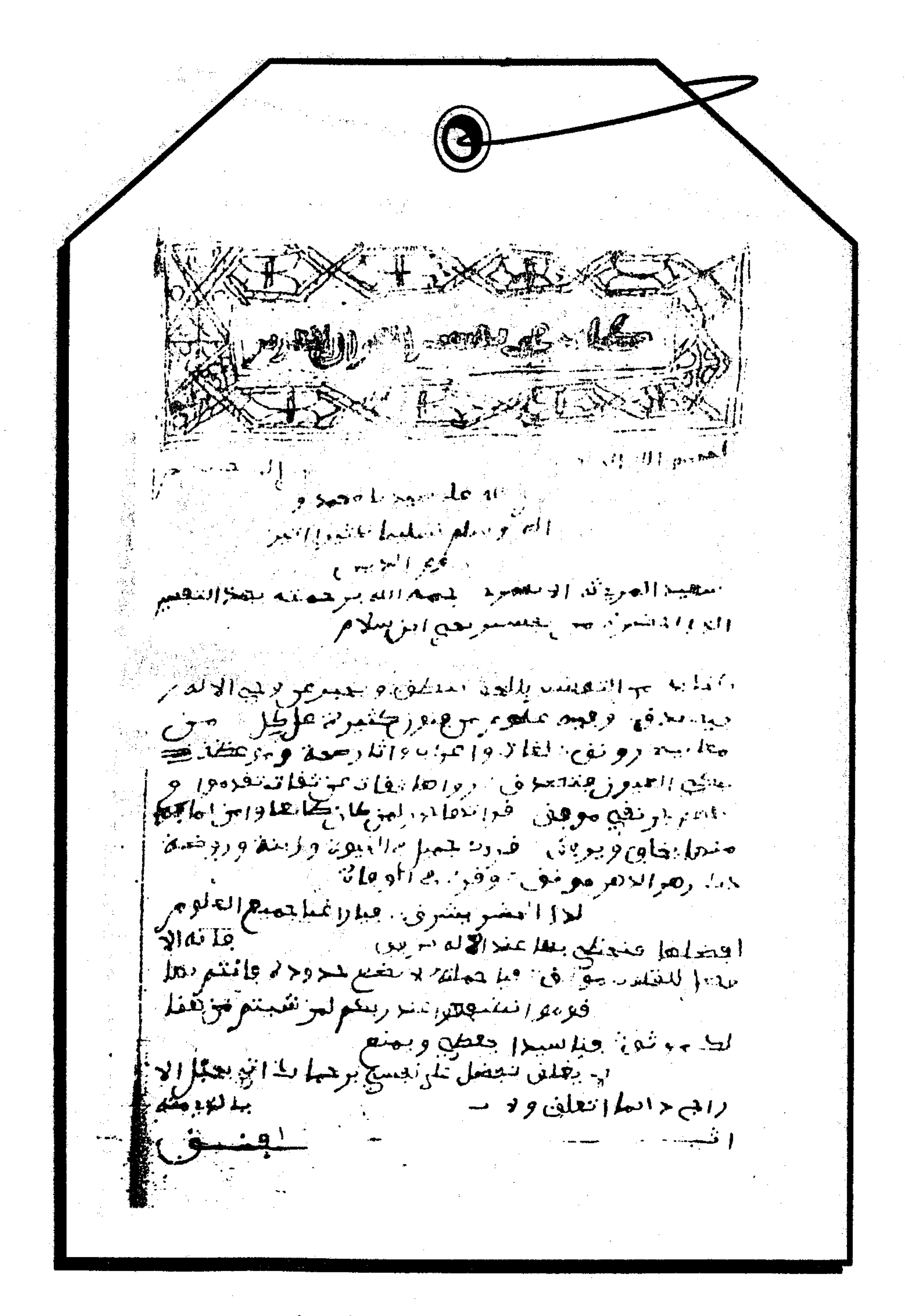
غلاف نسخة كلية القرويين



الورقة الأولى من نسخة كلية القرويين



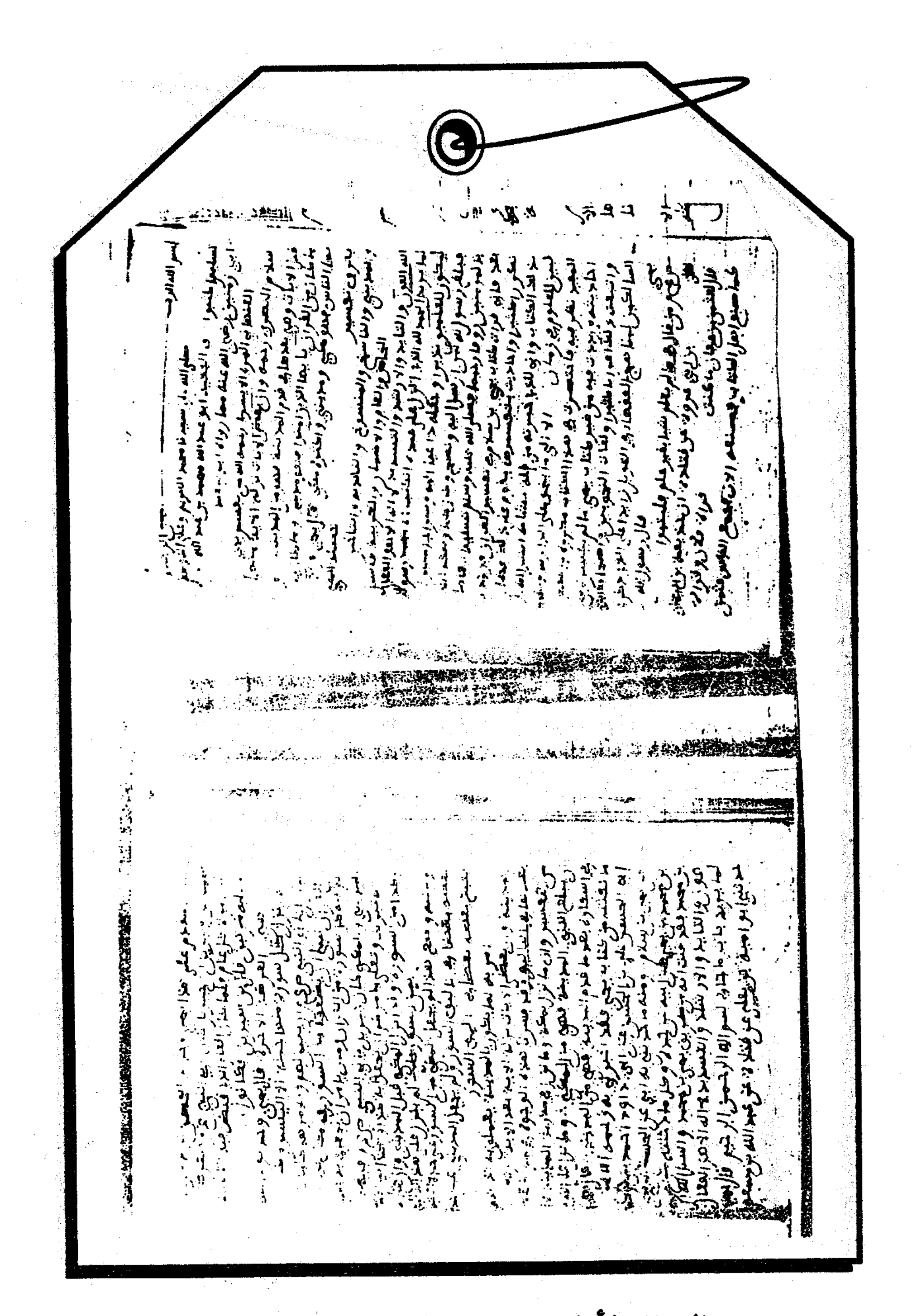
الورقة الأخيرة من نسخة كلية القرويين



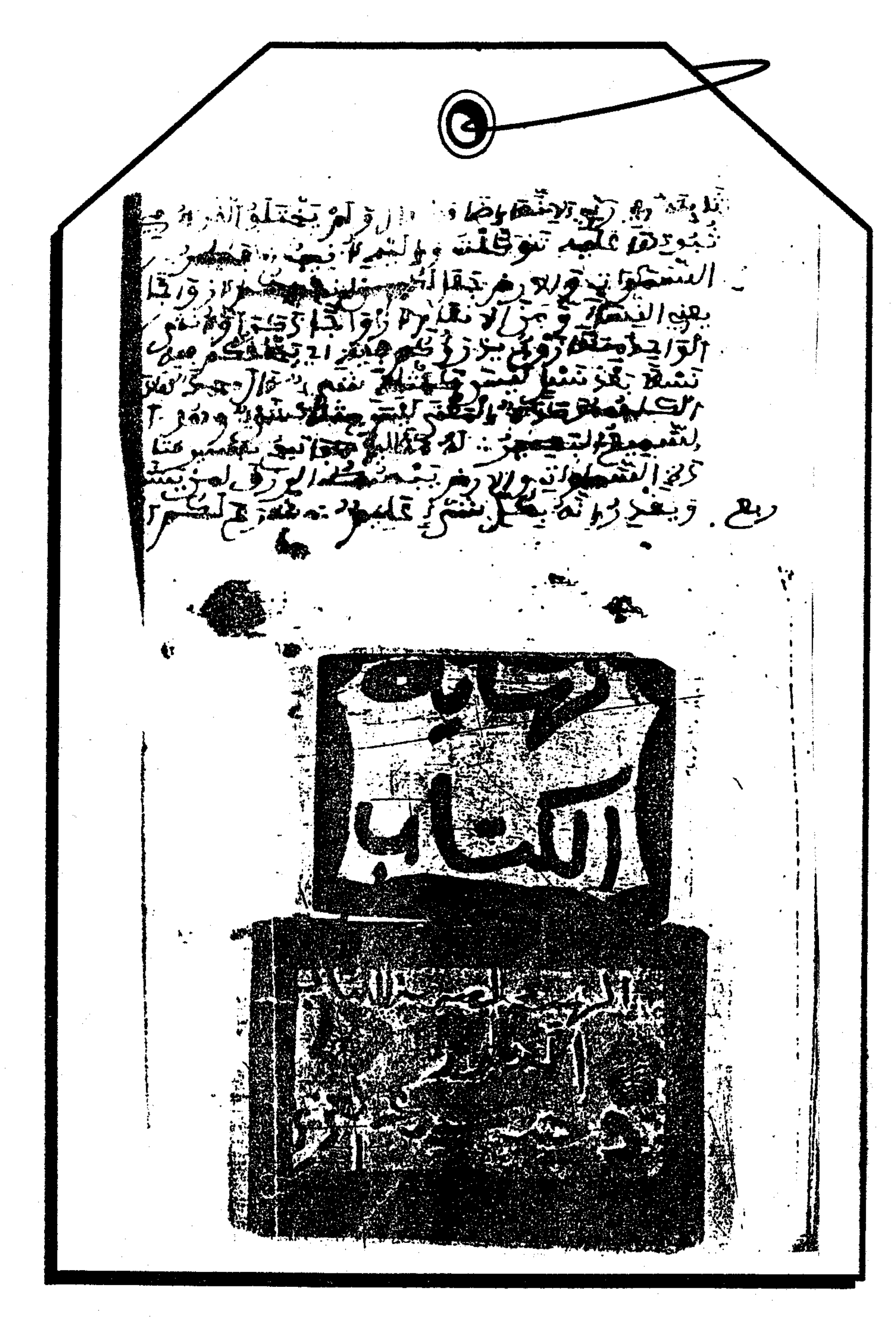
[illegible] رحمه الله برحمته [illegible]
[illegible] يحيى ابن سلام

[illegible]
[illegible] جميع العلوم
[illegible] عند الإله [illegible]
[illegible]

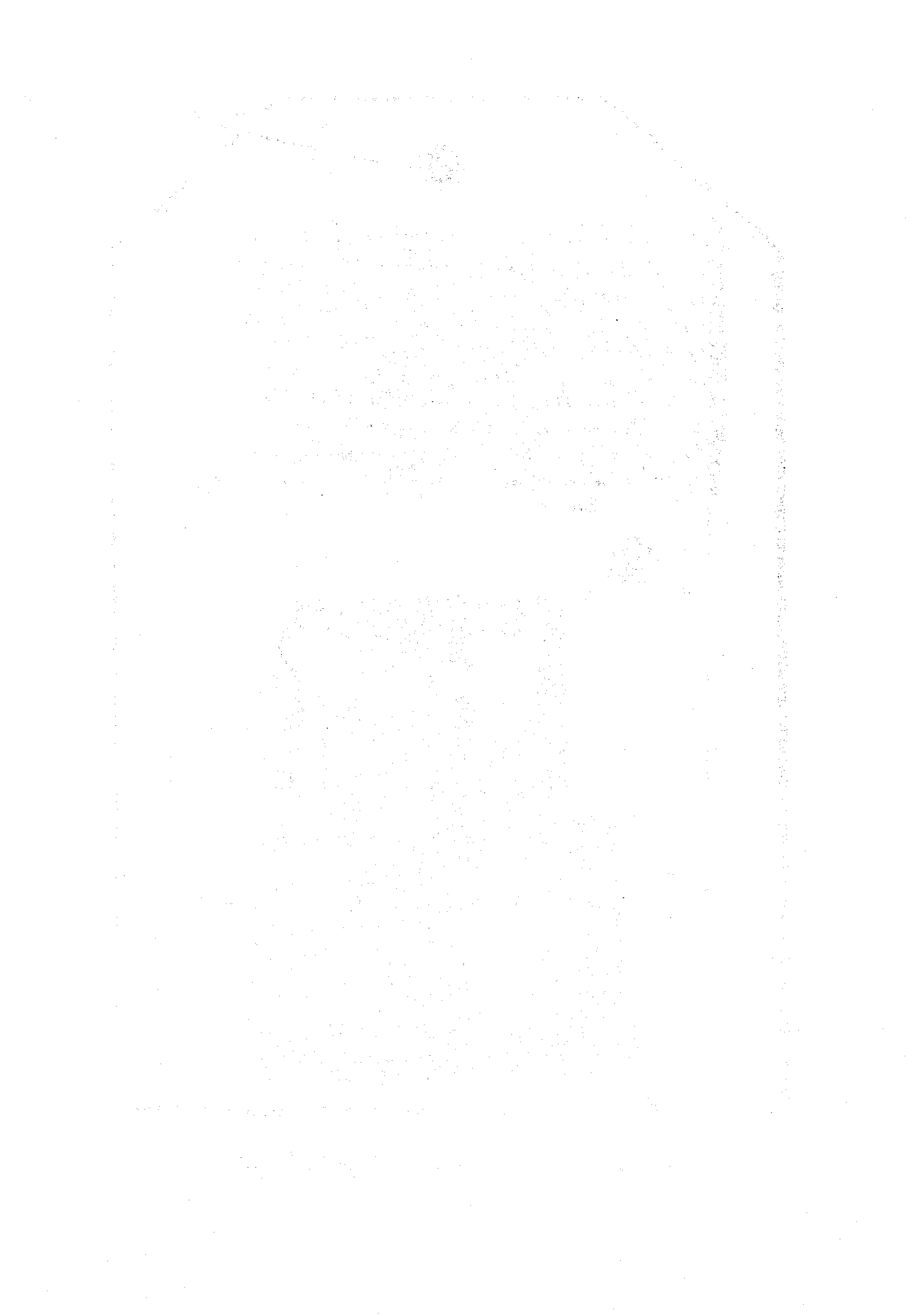
غلاف نسخة المتحف البريطاني



الورقة الأولى من نسخة المتحف البريطاني



الورقة الأخيرة من نسخة المتحف البريطاني



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى اللَّه على محمد نبي الرحمة ، وعلى آله وسلم.

قال أبو عمر: قُرِئ على أبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّه بقرطبة [في][١] شَعْبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة[٢]:

الحمد للَّه الذي أنزل الكتاب على محمدٍ عبده ورسوله؛ ليكون للعالمين نذيرًا، وجعله داعيًا إليه وسراجًا منيرًا؛ فبلغ رسولُ اللَّه ﷺ ما أُرسل به، ونصح لمن أُرْسِلَ إليه، وكان كما وصفه اللَّه بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا ﷺ تسليمًا.

وبعد؛ فإني قرأت كتاب يحيى بن سَلَّام في تفسير القرآن، فوجدتُ فيه تكرارًا كثيرًا، وأحاديث (ذكرها)[٣]؛ يقوم علم التفسير دونها، فطال بذلك الكتاب [وإنه للذي][٤] خبرته من قلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم في زماننا هذا - إلا إلى ما يَخِفُّ في هذا الكتاب على الدارس، ويَقْرُب للمقيِّد - نظرت فيه، فاختصرت فيه مُكَرَّرَهُ وبعض أحاديثه، وزدتُ فيه من غير كتاب يحيى تفسير ما لم يفسِّره يحيى، وأتبعتُ ذلك إعرابًا كثيرًا ولغةً؛ على ما نُقل عن النحويين، وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل؛ زائدًا على الذي ذكره يحيى من ذلك.

وأَبتدِئ ببعض ما افتتح به يحيى كتابه ؛ فمن ذلك: أنه قال: حدثني سفيانُ

---

(١) طمست في الأصل.

(٢) في «ر»: قال الفقيه أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّه مما رواه أبو سعيد الصنعاني المري الأيسري رَحِمَهُ اللَّه من تفسير يحيى بن سلام البصري رَحِمَهُ اللَّه.

(٣) في «ر»: بتفسيرها.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

الثوري، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «من قال في القرآن بغيرِ عِلْمٍ، فليتبوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار»[١].

يحيى: وأخبرني صَاحِبٌ لي، عن سعيد بن أبي عَرُوبَةَ، عن قتادة «أن حذيفة بن اليمان قال لعثمان بن عفان: ما كنت صانعًا إذا قيل: قراءة فلان، وقراءة فلان؛ كما صنع أهلُ الكتاب فأصنعه الآن. فجمع عثمان الناس على هذا المصحف؛ وهو حرف زيد».

يحيى: وحدثني الحسن بن [دينار][٢] عن محمد بن سيرين «أن جبريل كان يأتي النبيَ ﷺ فيعرض عليه القرآن عَرْضَةً كل عامٍ؛ فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه، أتاه فعرض عليه مرتين».

قال ابن سيرين: فكانوا (يرون أن قراءتنا هذه)[٣] على العرضة الآخرة.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩) والترمذي (٥/ ١٨٣ رقم ٢٩٥٠) والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٣٠ - ٣١ رقم ٨٠٨٤، ٨٠٨٥) والطبري في تفسيره (١/ ٣٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٥ رقم ١٢٣٩٢) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٥٨ رقم ١١٨، ١١٩) من طريق سفيان الثوري به.
وراوه أبو داود في سننه - رواية أبي الحسن بن العبد، كما في تحفة الأشراف (٤/ ٤٢٣ رقم ٥٥٤٣) - والترمذي (٥/ ١٨٣ رقم ٢٩٥١) والطبري في تفسيره (١/ ٣٤) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٥٧ رقم ١١٧) من طريقين آخرين عن عبد الأعلى به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال البغوي: حديث حسن.
ورواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٤) من طريق عمرو بن قيس الملائي عن عبد الأعلى به موقوفًا.
ورواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٥) من طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا.

(٢) في الأصل: دنير. وهو خطأ، والحسن بن دينار متروك، ترجمته في تاريخ البخاري الكبير (٢/ ٢٩٢) والجرح والتعديل (٣/ ١١، ١٢) وغيرهما.

(٣) سقط من «ر».

قال يحيى : وحدثونا أن السور لم تنزل كُلُّ سورةٍ منها جملةً، إلا اليسير منها، ولكن النَّبي ﷺ قد كان سمى السور؛ فكلما نزل من القرآن شيء ، أمر أن يضعوه من السور في المكان الذي يأمرهم به؛ حتى تمت السُّوَرُ، وكان يأمر أن يجعل في بعض السور المكية من المدني، وأن يجعل في بعض السور المدنية من المكي، وكان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ فيقول: إن اللَّه - تبارك وتعالى - يأمرك أن تجعل آية كذا بين ظهراني كذا، وكذا (بين كذا وكذا)(١) من السورة.

وقد نزل المكي قبل المدني وأن هذا [التأليف الذي](٢) بين السور لم ينزل على هذا التأليف، ولكنه وضع هكذا، لم يجعل المكي من [السور](٣) على حِدَةٍ؛ يتبعُ بعضه بعضًا في تأليف السور، ولم يجعل المدني من السور على حدةٍ؛ يتبع بعضه بعضًا في تأليف السور.

وقد نزل بمكة بعض ما أمر به لما يكون بالمدينة [يعملون به](٤) إذا قدموا المدينة ، وأن بعض الآيات نزلت الآية منها قبل الآية، وهي بعدها [في التأليف، وقد فسرنا هذه الوجوه في مواضعها من التفسير وإن ما نزل بمكة، وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني](٤)وما كان (. . .)(٥) (ل٣) وأكثره مكي .

---

(١) طمس في «ر».
(٢) طمس في الأصل، وبياض في «ر» والمثبت هو المفهوم من السياق والمعنى.
(٣) في الأصل: المدني. والمثبت من «ر».
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٥) بياض في الأصل، وسقط من «ر».

قال يحيى: ولا يَعْرِفُ تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام، والإضمار والعربية.

قال محمد: وجميع ما نقلته من كتاب يحيى أخبرني به أبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي الحسن علي بن الحسن، عن أبي داود أحمد بن موسى، عن يحيى بن سلام.

ومنه ما حدثني به [أبي][١] عن أبي الحسن عن يحيى بن محمد بن يحيى ابن سلام عن أبيه، عن جده، وكل ما أدخلته من طريق يحيى بن محمد فقد قلت: إنه من طريق(حديث)[٢] يحيى بن محمد.

وأسأل اللَّه العَوْنَ والتأييد والإرشاد والتسديد؛ لا إله إلا هو [الفعَّال لما يريد][١].

❃ ❃ ❃

(١) من «ر».
(٢) في «ر»: طريق.

تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين

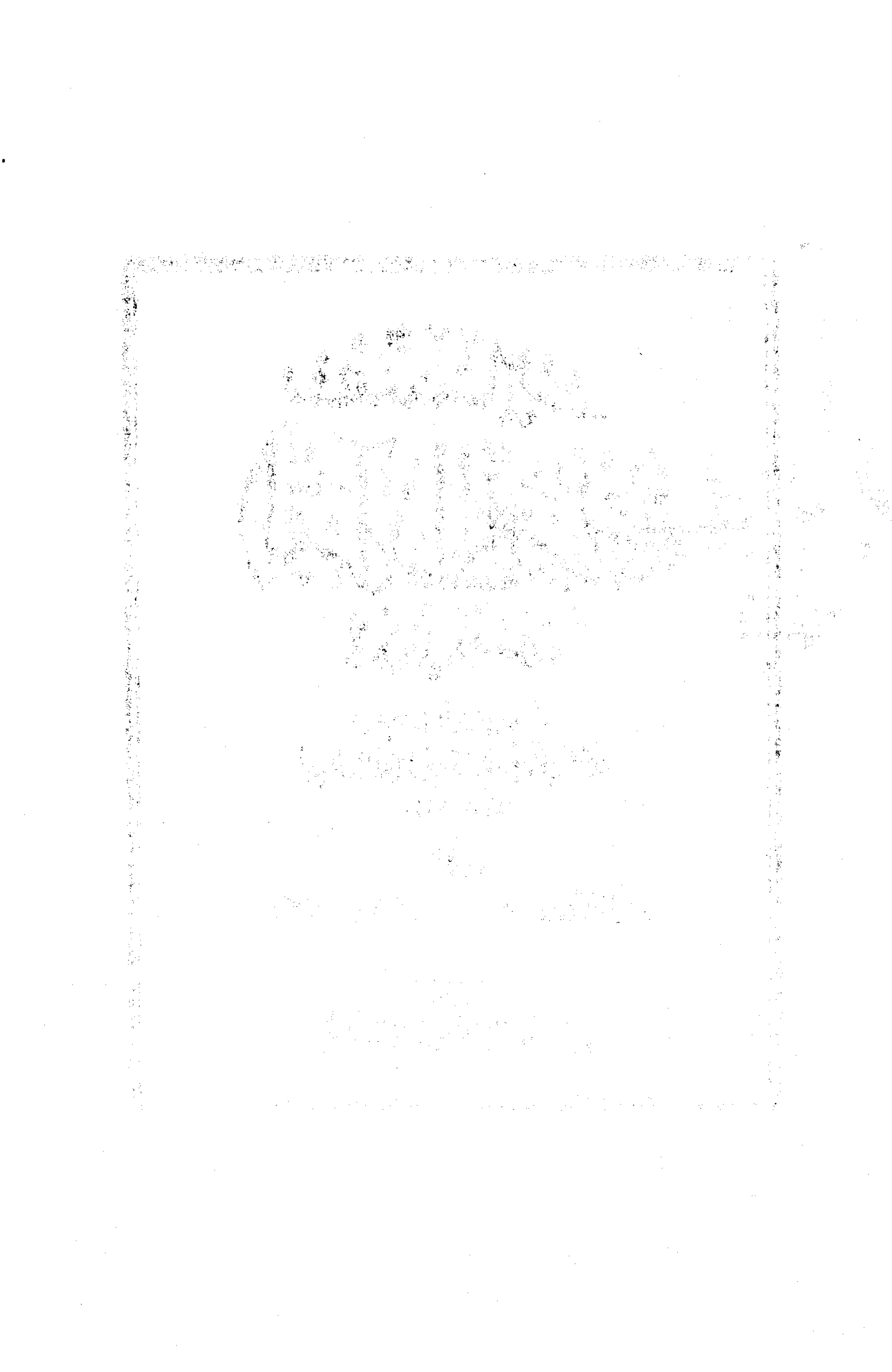
(٣٢٤ - ٣٩٩هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة   محمد بن مصطفى الكنز

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر



[باب][1] ما جاء في
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال يحيى: حدثني أبو أمية بن يعلى، عن قتادة، عن عبد اللَّه بن مسعود، قال: «كنا نكتب: باسمك اللَّهُمَّ زمانًا؛ فلما نزلت: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾[2] كتبنا: بسم اللَّه الرحمن، فلما نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3] كتبنا: بسم اللَّه الرحمن الرحيم».

يحيى: وحدثنا الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: «لم تنزل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في شيءٍ من القرآن إلا في هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ...﴾[3] ويجعله مفتاح القراءة إذا قرأ».

يحيى: وحدثني أبو الأَشْهَبِ، عن الحسن؛ أنه قال: «هذان الاسمان من أسماء اللَّه مَمْنُوعان؛ لم يَسْتطع أَحَدٌ من الخَلْقِ أن ينتحلهما: اللَّه، والرحمن».

قال محمد: قيل: الجالبُ للباء في «باسم اللَّه» مَعْنَى الابتداء؛ كأنك قلت: أَبْدَأُ باسم اللَّه.

* * *

(١) زيادة من «ر».
(٢) الإسراء: ١١٠
(٣) النمل: ٣٠ .

تَفسِيرُ فَاتِحَةِ الكِتَابِ وهي مكّيةٌ كلُّها

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾

قوله: ﴿الحمد للَّه﴾ حَمِدَ نَفْسَه، وأمر العبادَ أن يَحْمَدُوه، والحمدُ: شُكْرُ النعمة.

﴿رب العالمين﴾ العَالَمُونَ: الخَلْقُ.

﴿مَلِك[1] يوم الدين﴾ قال قتادة: يوم يَدِينُ اللَّهُ الناسَ فيه بأعمالهم.

قال محمد: معنى «الدِّين» في اللغة: الجَزَاءُ؛ ومن كلام العرب: دِنْتُهُ بما صَنَعَ - أي: جازَيْتُهُ[2].

قال يحيى: من قرأ ﴿مَلِك﴾ فهو من باب: المُلْكِ[3]؛ يقول: هو مَلِكُ ذلك اليوم.

وأخبرني بحر السقاء، عن الزهري «أن رسول اللَّه ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا

---

(١) هكذا في الأصل و «ر» وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا والكسائي؛ فقد قرآ ﴿مالك﴾ ينظر: السبعة (١٠٤)، الحجة (١/ ١١)، التيسير (١٨)، النشر (١/ ٢٧١).

(٢) يقال: دانه يَدِينه دِينًا - أي: جازاه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي: لمجزيون، ومنه: «كما تدين تدان» ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (دين).

(٣) من قرأ «مَلِك» فهو مأخوذ من «المُلْك» ومن قرأ «مالك» فهو مأخوذ من «المِلْك» ينظر كشف المشكلات (١/ ٦ ، ٧).

يَقْرَءُونها: ﴿مالكِ يوم الدين﴾ بكسر الكاف، وتفسيرها على هذا المقراء: مالكه الذي يَمْلِكُه[١].

وقرأ بعض القُرَّاء: «مَالِكَ»[٢]؛ بفتح الكاف؛ يجعله نداءً: يا مالك يوم الدين.

﴿إياك نعبد﴾.

قال محمد[٣]: معنى العبادة في اللغة: الطَّاعةُ مع الخضوع، ومن هذا يُقَال: طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مُذَلَّلًا بكثرة المَشْي عليه[٤].

﴿اهدنا﴾ أَرْشِدْنا[٥] ﴿الصراط﴾: الطريق[٦].

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بالإسلام ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال (الحَسَنُ)[٧]: المغضوب عليهم: اليهودُ، والضالُّونَ: النصارَى. وهذا دعاءٌ أمرَ اللَّهُ رسولَهُ أن يدعو به، وجعله سُنَّةً له وللمؤمنين.

قال محمد: من قرأ ﴿غيرِ﴾ بالخفض فهو على البدل من «الذين» وجاز أن يكون على النعت[٨].

---

(١) أي: هو جارٍ على الفعل، فهو اسم فاعل من مَلَكَ يَمْلِك مِلْكًا فهو مالك.

(٢) عزاها القرطبي في تفسيره (١/ ١٣٩) لمحمد بن السميفع.

(٣) في «ر»: قتادة.

(٤) يقال: عَبَدَ اللَّه عبادةً وعبوديةً: انقاد له وخضع وذلّ. لسان العرب (عبد).

(٥) وعزا الزمخشري إلى عليّ وأبيّ أن معنى «اهدنا»: ثبّتنا على الهداية. ينظر: تفسير الطبري (١/ ٥٥)، القرطبي (١/ ١٤٧)، مجمع البيان (١/ ٢٧).

(٦) وفيه ثلاث لغات: الصِّراط، والسِّراط، والزِّراط، وبكلٍّ قُرِئ. ينظر: لسان العرب (زرط، سرط، صرط)، السبعة (١٠٥)، الحجة (١/ ٣٦).

(٧) في «ر»: قتادة.

(٨) قراءة الخفض هي قراءة الجمهور، قال الزمخشري: وقُرئ بالنصب على الحال. وقيل: إن قراءة النصب بإضمار «أعني» ويحكى ذلك عن الخليل. ينظر: السبعة (١١١)، الكشاف (١/ ١١)، البحر المحيط (١/ ٢٩).

تفسير سورة البقرة وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

قوله عزَّ ذِكْرُهُ: ﴿الٓمٓ﴾ .

قال يحيى: كان الحسن يقول: ما أدري ما تفسير ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ وأشباه ذلك من حروف المعجم، غير أن قومًا (ل٤) من المسلمين كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال محمد: وذكر ابن سلام في تفسير ﴿الٓمٓ﴾وغير ذلك من حروف المعجم التي في أوائل السور - تفاسير غير متفقة في معانيها وهذا الذي ذكره يحيى عن الحسن، والله أعلم وقد سمعت بعض من أقتدي به من مشايخنا يقول: إن الإمساك عن تفسيرها أفضل.

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ يعني: هذا الكتابُ لا شَكَّ فيه.

﴿هدًى للمتقين﴾: الذين يتَّقون الشِّرْكَ.

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ يعني: يُصَدِّقون بالبَعْثِ والحساب، والجنَّة والنار؛ في تفسير قتادة ﴿ويقيمون الصلاة﴾ يعني: الصلواتِ المفروضةَ،

يُتِمُّونها على ما سَنَّ رسولُ اللَّه ﷺ في كلّ صلاة منها ﴿وممَّا رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة على سُنَّتها أيضًا.

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ يعني: القرآن ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يعني: التوراة والإنجيل والزَّبور؛ يصدقون بها ولا يعملون إلا بما في القرآن ﴿أولئك على هدًى﴾ بيَانٍ ﴿من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ السُّعَدَاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿إن الذين كفروا سواء عليهم (آنذرتهم)[1] أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ يعني: الذين سبق لهم - في علم الغيب - أنهم يلقون اللَّه بكفرهم ﴿ختم اللَّه على قلوبهم﴾ يعني: طبع؛ فهم لا يفقهون الهدى ﴿وعلى سمعهم﴾ فلا يسمعونه ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ فلا يبصرونه.

قال محمد: «غشاوة»[2] يعني: غطاء.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو، والكسائي إذا خفف، وأبو عمرو يدخل بين الهمزتين ألفًا. ينظر: السبعة (١٣٤)، التيسير (٣٢)، النشر (١/ ٣٦٣).

(٢) و«غشاوة» فيها لغات: يقال: غشاء، وغَشْوة، وغُشْوة، وغِشْوة - أي: بفتح الغين وضمها وكسرها.
وقد رُويت القراءة بهذه اللغات. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٢٨) مختصر شواذ القراءات (٢) معاني القرآن للفراء (١/ ١٣) البحر (١/ ٤٩)، لسان العرب (غشو).

قال يحيى: ثم ذكر صِنْفًا آخر من الناس - يعني: المنافقين - فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ إنما تكلموا به في العلانية ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ حتى يكفُّوا عن دمائهم وأموالهم، وسَبْي ذراريهم، ومُخَادعتهم لرسول الله وللمؤمنين مخادعةٌ لله ﴿وما يخادعون[١] إلا أنفسهم﴾ أي أنَّ ذلك يرجع عليهم عذابه، وثواب كفره ﴿وما يشعرون﴾ أن ذلك راجعٌ عليهم.

﴿في قلوبهم مرض﴾ قال الحسن: يعني: شَكًّا ﴿فزادهم الله مرضًا﴾ بالطَّبْعِ على قلوبهم ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ مُوجِعٌ في الآخرة ﴿ بما كانوا يكذبون﴾ بقلوبهم في قراءة من قرأها بالتثقيل، ومن قرأها بالتخفيف «يكْذِبون» يعني: في قولهم: آمنا؛ وقلوبهم على الكفر[٢].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾ يعني: لا تشركوا ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ أي: أظهروا الإيمان ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾

---

(١) هكذا في الأصل و«ر» وهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن كثير. ينظر: السبعة (١٣٩)، التيسير (٧٢)، النشر (٢/ ٢٠٧)، البحر (١/ ٥٧).

(٢) ومعنى قراءة التثقيل أنهم يكذبون إياك حيث أنكروا ما جئت به، وقراءة التخفيف هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالتثقيل. ينظر: السبعة (١٤١)، التيسير (٧٢)، البحر (١/ ٦٠) .

أن اللَّه يعذِّبهم في الآخرة.

﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ إذا قال لهم النبي والمؤمنون: آمنوا كما آمن المؤمنون - قال بعضهم لبعضٍ: ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ يعنون: من آمن، ولم يعلنوا قولهم هذا ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ أنَّهم سُفَهَاءُ؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: أصل السَّفه: خفَّة الحِلْم؛ ومنهُ يَقالُ: ثَوْبٌ سَفِيهٌ إذا كان خفيفًا[١]. وقيل: أصلُ السَّفهِ: الجَهْلُ[٢].

﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ قال قتادة: يعني: رؤساءهم في (الشرك)[٣] ﴿قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزِئون﴾ بمحمَّدٍ (وأصحابه)[٤] ﴿اللَّه يستهزئ بهم﴾ قال محمد: يعني: يُجَازيهم جزاء الاستهزاء.

يحيى: عن المُبَارَكِ بن فُضَالَةَ، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُجَاء بالمستهزئين يوم القيامة؛ يفتح لهم بابٌ من أبواب الجنة، فيُدْعَون [ليدخلوا][٥] فيجيئون؛ فإذا بلغوا الباب أُغْلِقَ فيرجعون، ثم يُدْعَوْن ليدخلوا فيجيئون؛ فإذا بلغوا الباب أُغْلِقَ فيرجعون، ثم يُدْعَوْنَ ليدخلوا فيجيئون؛ فإذا (ل٥) بلغوا الباب أُغْلِقَ فيرجعون، ثم يدعون حتى إنهم يدعون فلا يجيئون من اليأس»[٦].

---

(١) وفي لسان العرب (سفه): ثوب سفيه إذا كان رديء النسج.

(٢) يقال: هو سفيه، والجمع: سُفهاء، وسِفاه. وهي سفيهة، والجمع: سَفائه، وسُفَه، وسِفاه. لسان العرب، القاموس المحيط (سفه).

(٣) في «ر»: السِّرّ.

(٤) في «ر»: وبما جاء به.

(٥) في الأصل: ليدحلوها. والمثبت من «ر».

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٨٥) والبيهقي في الشعب من طريق روح بن عبادة عن المبارك. ورواه أبو الشيخ في تاريخ أصبهان (١/ ٣٥٠ - ٣٥١ رقم ٤٩) من طريق أبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا. =

﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ قال السُّدِّي: يعني: يترددون.

قال محمد: معنى: «يمدُّهم»: يطيل لهم؛ تقول: مددتُ فلانًا في غيِّه ومددتُ له؛ فإذا كان في الشر قلت: مددته، وإذا كان في الخير[١] قلت: أمددته[٢] والطغيان: العُتو والتكبر[٣]. والعَمَهُ في كلام العرب: الحيرةُ والضَّلالُ [يقال][٤] عَمَهُ الرجل في الأمر يَعْمَهُ عُموهًا؛ إذا تاه فيه وتحيَّر؛ فهو عَمِهٌ، وعَامِهٌ[٥].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ يعني: اختاروا الضلالة على الهدى؛ في تفسير الحَسَن ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

قال محمد: يعني: فما ربحوا في تجارتهم.

= قال العراقي: رويناه في «ثمانيات النجيب» من رواية أبي هدبة - أحد الهالكين - عن أنس.
تخريج الإحياء (٤/ ١٦٨٧ رقم ٢٦٤٣).

(١) في «ر»: المدح.
(٢) ينظر الدر المصون (١/ ١٢٥).
(٣) ويقال: الطغيان: هو مجاوزة الحد، وكل مجاوز حدّه في العصيان طاغ، والجمع: طغاة. وفي الطغيان لغات يقال: طُغْوان، وطَغْوى. لسان العرب (طغو) وقدْ ورد (الطغيان) في القرآن في أكثر من موضع، وورد (الطغوى) في موضع واحد ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١١]، ولم يرد (الطغوان) فيه.
(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٥) إذا عمه المرء في الطريق فلم يدر أين يذهب، يقال: هو أعمه وعَمِه. وإذا عمه في الأمر فلم يدر وجه الصواب، يقال: هو عَامِه. لسان العرب، القاموس المحيط (عمه).

﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا...﴾ الآية، قال الحسن: يعني: مثلهم كمثل رجلٍ يمشي في ليلةٍ مُظْلمةٍ في يده شُعْلةٍ من نارٍ فهو يبصر بها موضع قدميه؛ فبينما هو كذلك، إذ أُطْفئت ناره؛ فلم يبصر؛ كيف يمشي؟! وإن المنافق تكلَّم بقول لا إله إلا اللَّه فناكح بها المسلمين، وحقن دمه وماله؛ فلما كان عند الموت، سلبه اللَّه إياها. قال يحيى: لأنه لم يكن لها حقيقةٌ في قلبه ﴿صمٌّ بكمٌ عميٌ﴾ صمٌّ عن الهدى؛ فلا يسمعونه، بكمٌ عنه؛ فلا ينطقون به، عميٌ عنه؛ فلا يبصرونه.

﴿ فهم لا يرجعون﴾ يعني: لا يتوبون من نفاقهم.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أو كصيِّب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ﴾ هذا مَثَلٌ آخر؛ ضربه اللَّه مَثَلًا للمنافقين.

والصَّيِّب: المطر[1]، والظلمات مثل الشدة، والرعد مثل التخويف، والبرقُ مثل نور الإسلام، وفي المطر الرزق أيضًا[2]. فضرب اللَّه ذلك مثلًا لهم؛ لأنهم كانوا إذا أصابوا في الإسلام رخاءً وطمأنينة، سُرُّوا بذلك في حال دنياهم، وإذا أصابتهم شدَّةٌ قطع بهم عند ذلك فلم (يصبروا على بلائها)[3]

---

(١) ويقال: الصيب: السحاب ذو الصَّوْب؛ أي: ذو المطر وفيه لغة: الصَّيُّوب. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (صوب).

(٢) ويقال: إن المطر لا يكون إلا للعقاب، أما الذي للنفع فهو الغيثُ، وبذا ورد القرآن الكريم.

(٣) في «ر»: يبصروا بلاءها.

ولم يحتسبوا أَجْرها ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾ وهذا كراهية للجهاد ﴿واللَّه محيطٌ بالكافرين﴾ أي: هو من ورائهم؛ حتى (يخزيهم)(١) بكفرهم.

﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ [حتى أظهروا الإيمان وأسروا الشرك](٢) لشدة ضوئه ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ أي: بقوا لا يبصرون ﴿ولو شاء اللَّه لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ حين أظهروا الإيمان، وأسروا الشرك.

قال محمد: قوله: ﴿أو كصيب من السماء﴾ معناه: أو كأصحاب صيب، و«أو» دخلت هنا لغير شكٍّ؛ وهي التي يقول النحويون: أنها تدخل للإباحة(٣).

والمعنى: أن التمثيل مُباحٌ لكم في المنافقين؛ إن مَثَّلتموهم بالذي استوقد نارًا فذلك مثلهم، وإن مَثَّلتموهم بأصحاب الصيب فهو مثلهم. ويقال: صاب المطر يَصُوبُ؛ إذا نزل(٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن

(١) في «ر»: يجزيهم.
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من الدر المصون (١/ ١٣٤- ١٣٥)، مغني اللبيب (١/ ٧٤).
(٤) يقال: صاب المطر يصوب صَوْبًا وصَيْبُوبة: نزل. لسان العرب (صوب).

لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ أي: لا تشركوا به شيئًا ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ يعني: خلقكم وخلق الأولين؛ ﴿لعلكم تتقون﴾ أي: لكي تتقوا ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشًا﴾ يعني: بساطًا ومِهَادًا ﴿والسماء بناءً﴾ [على الأرض][١].

قال محمد: كل ما علا على الأرض فاسمه: بناءٌ[٢]. والمعنى: أنه جعلها سَقْفًا مثل قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[٣].

وقوله: ﴿فراشًا﴾ أي: لم يجعلها [بحيث][١] لا يمكن الاستقرار عليها.

﴿فلا تجعلوا لله أندادًا﴾ يعني: أعْدَالًا تعدلونهم [به][١] ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه خلقكم، وخلق السموات والأرض، وأنهم لا يَخْلُقُون ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ يعني: محمدًا ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي: من مثل هذا القرآن ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ فيشهدوا أنه مثله ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأن هذا القرآن ليس من كلام الله ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ أي: لا تقدرون على ذلك ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ وهي: أحجار من كبريت.

قال محمدٌ: وَقُودُهَا بفتح الواو (ل٦) حطبها[٤]، والوُقُود بالضم [المصدر][٥] يقال: وقدت النار تَقِدُ وُقُودًا[٦].

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) وقال الثعالبي: كل ما علاك فأظلك فهو سماء. ينظر فقه اللغة (٢).
(٣) الأنبياء: ٣٢.
(٤) في «ر»: حَصَبُها.
(٥) طمس في الأصل والمثبت من «ر».
(٦) ينظر لسان العرب (وقد)، والدر المصون (١/ ١٥٥).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار﴾ .

قال محمد: يعني: بساتين تجري من تحتها [الأنهار؛ ذلك إلى شجرها][١] لا إلى أرضها.

يحيى: قال: وبلغني عن أبان بن أبي عياشٍ، عن أنس بن مالك؛ أنه قال: «أنهار الجنة تجري (في غير أخدود)[٢] الماءُ واللبن والعسلُ والخمرُ وهو أيسر عليه، فطينة النهر مِسْكٌ أذْفَر[٣]، ورِضْراضُهُ[٤] الدر والياقوت، وحَافَاتُه قِبَاب اللؤلؤ»[٥].

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».
(٢) في «ر»: من غير حدود.
(٣) أذفر: طيب الرائحة. والذَّفَر بالتحريك يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف إليه، ويوصف به. ينظر: لسان العرب، النهاية في غريب الحديث (ذفر).
(٤) الرَّضراضُ: الحصى الصغار. النهاية في غريب الحديث (رضرض).
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة - كما في حادي الأرواح (ص١٢٤) - وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٦٧ رقم ٣١٦) من طريق معاوية بن قرة عن أنس ﷺ موقوفًا.
وراوه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٦٨ رقم ٣١٦) وفي حلية الأولياء (٦/ ٢٠٥) وابن مردويه - كما في حادي الأرواح (ص١٢٥) - من طريق معاوية بن قرة عن أنس عن النبي ﷺ.
قال المنذري في الترغيب (٤/ ٥١٨): رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا، ورواه غيره مرفوعًا، والموقوف أشبه بالصواب.

﴿كلما رزقوا منها من ثمرةٍ رزقًا قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل﴾ أي: في الدنيا يعرفونه بأسمائه؛ في تفسير قتادة ﴿وأتوا به متشابهًا﴾ قال الكلبي: يعني: متشابهًا في المنظر، مختلفًا في المطعم ﴿ولهم فيها أزواجٌ مطهرة﴾ من الإثم والأذى؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: أهل الحجاز يقولون للمرأة: هي زوج الرجل، وبنو تميم يقولون: زوجةُ الرجل(١).

يحيى: عن خالدٍ(٢)، عن الحسن قال: «قال رسولُ اللَّه ﷺ في نساء أهل الجنة: يدخلنها عُرُبًا أَتْرابًا، لا يحضن، ولا يلدْن، ولا يمتخطن، ولا يقضين حاجَةً»(٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿إن اللَّه لا يستحيي أن يضرب مثلًا...﴾ الآية، وذلك أن اللَّه لما ذكر في كتابه العنكبوت والنمل والذباب - قال المشركون: ماذا أراد اللَّه بذكر هذا في

---

(١) وقد جاء القرآن الكريم على لغة أهل الحجاز؛ قال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. وقال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠] وغير ذلك. ينظر لسان العرب (زوج).

(٢) في «ر»: عن مالك.

(٣) لم أقف عليه، واللَّه أعلم.

كتابه ؟! وليس يقرون أنَّ اللَّه أنزله، ولكن يقولون للنبيِّ عليه السلام: إن كنت صادقًا، فماذا أراد اللَّه بهذا مثلًا؟! فأنزل اللَّه: ﴿إن اللَّه لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضَةً فما فوقها﴾ أي: مثلًا بعوضةً «ما» في هذا الموضع زائدة[١] ﴿فما فوقها﴾ يعني: فما أكبر منها.

﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ يعني: المشركين ﴿الذين ينقضون عهد اللَّه من بعد ميثاقه﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، وتفسيره في سورة الأعراف[٢] ﴿ويقطعون ما أمر اللَّه به أن يوصل﴾ قال ابن عباس: يعني: ما أمر اللَّه به من الإيمان بالنبيين كلهم ﴿ويفسدون في الأرض﴾ أي: يعملون فيها بالشرك والمعاصي ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها فيصيروا في الجنة؛ فصاروا في النار.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كيف تكفرون باللَّه وكنتم أمواتًا﴾ أي: نُطَفًا في أصلبة[٣] آبائكم؛ في تفسير قتادة: ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام، وفي الدنيا ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني: البعث.

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، ينظر: معاني القرآن للأخفش (١٣٤)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٤٤)، الكتاب (٢/ ٣٠٥)، مغني اللبيب (١/ ٣٤٤).

(٢) يريد قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٣) مفردها: صُلْب. وتجمع أيضًا على: أَصْلُب وأَصْلاب، وصِلَبة. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (صلب).

قال محمد: تأويل «كيف» استفهام في معنى التعجب؛ إنما هو للمؤمنين؛ أي: اعجبوا من هؤلاء؛ كيف يكفرون وقد ثبتت حُجَّةُ اللَّه عليهم؟!

﴿هو الذي خلق لكم﴾ سخر لكم ﴿ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء﴾ .

قال محمد: يعني: أقبل على خَلْقِ السماء؛ كذلك جاء عن الحسن .

يحيى: وحدثنا عثمان، «أنَّ رجلًا سأل ابن عباسٍ عن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾(١) وعن قوله عزَّ ذِكْرُه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾(٢) فقال: إنه كان خلق الأرض، ثم خلق السمٰوات، ثم عاد؛ فحدا الأرض، وخلق فيها جبالها وأنهارها وأشجارها ومرعاها»(٣) .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. . .﴾ الآية، تفسير الحسن: إن اللَّه أخبر الملائكة؛ أنه جاعل في الأرض خليفة، [يكون من](٤) ولده من يسفك الدماء فيها، ويفعل كذا؛ فقالت الملائكة: ﴿أتجعل فيها من

---

(١) البقرة: ٢٩ .
(٢) النازعات: ٢٧ - ٣٠ .
(٣) رواه البخاري (٨/ ٤١٨) - كتاب التفسير، سورة السجدة - وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٦٠ - ١٦٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ١٠٥٩٤) وابن منده في التوحيد (١/ ١٠٤ - ١٠٨ رقم ١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٤٥ - ٢٤٨ رقم ٨٠٩) وغيرهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
(٤) طمس بالأصل والمثبت من «ر».

يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ أي: نصلي لك؛ في تفسير بعضهم.

قال محمد: معنى: يَسْفك: يَصُبُّ؛ تقول: سفكتُ الشيء؛ إذا صَبَبْتَهُ[١].

ومعنى «نسبح بحمدك»: أي: نبرئك من السوء ونعظمك، وكلُّ من عمل خيرًا (ل٧) أراد اللَّهَ به، فقد سبَّح اللَّه؛ أي: عظَّمه. ومعنى: ﴿نقدس لك﴾ أي: نطهر أنفسنا لك، وأصل القدس في اللغة: الطهارة.

قال اللَّه - عز وجل -: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ تفسير قتادة: علم أنه سينشأ من ذلك الخليفة أنبياء ورسلٌ، وقومٌ صالحون.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ قال مجاهد: خلق اللَّه آدم آخر ساعات النهار من يوم الجمعة بعد ما خلق الخلقَ كلهم[٢].

قال الكلبي: ثم علمه أسماء الخلق [كلهم][٢] بالسريانية اللسان الأول سرًّا من الملائكة، ثم حشر اللَّه الدوابَّ كلها، والسباع والطير وما ذرأ في الأرض، ثم قال للملائكة: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم

---

(١) ينظر: لسان العرب (سفك).
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

بأسمائهم﴾ فقال آدم عليه السلام: هذا كذا، وهذا كذا. قال قتادة: فسمَّى كل نوع باسمه. فلما أنبأهم آدم بأسمائهم قال الله للملائكة: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السمٰوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ قال الحسن وقتادة: لما قال الله - عز وجل -: ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ قالوا فيما بينهم: ما الله بخالق خلقًا هو أكرم عليه منا [ولا أعلم][(١)] وهو الذي كتموا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قال قتادة: أكرم الله آدم؛ بأن أسجد له ملائكته ﴿فسجدوا إلا إبليس...﴾ الآية، قال بعضهم: خلق الله الخلق شقيًّا وسعيدًا؛ فكان إبليس ممن خلقه شَقِيًّا؛ فلما أُمِرَ بالسجودَ ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ يخبر عز وجل أنه كان ممن خلقه شقيًّا.

﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما﴾ لا حساب عليكما فيه.

قال محمد: من كلام العرب: رغد فلان يرغَدُ إذا صار في خصبٍ وسَعَةٍ. وفيه لُغةٌ أخرى: أرغدَ[(٢)].

﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ يعني لأنفسكما بخطيئتكما، والشجرة التي نهي عنها آدم وحواء -: هي السنبلة؛ في تفسير ابن عباسٍ.

وقال قتادة: هي التين [وقيل: هي شجرة العنب][(١)].

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) ينظر لسان العرب (رغد).

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٩)﴾

﴿فأزلَّهما الشيطان عنها﴾ قال محمد: «أزلهما» هو من: الزلل[1]؛ المعنى: كسَّبهما الزَّلَّةَ والخطيئةَ.

قال يحيى: بلغنا أن إبليس دخل في الحَيَّة فكلَّمهما منها، وكانت أحسن الدواب، فمسخها اللَّه، وردَّ قوائمها في جوفها، وأمشاها على بطنها.

وبلغنا أن أبا هريرة قال: حواء هي التي دلَّت الشيطان على ما كانا نهيا عنه.

﴿وقلنا اهبطوا منها جميعًا بعضكم لبعضٍ عدو﴾ آدم ومعه حواء وإبليس والحيَّة التي دخل إبليسُ فيها لا تقدر على ابن آدم في موضع إلا لدغته، ولا يقدر عليها في موضعٍ إلا شَدَخَهَا ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ من يوم يولد إلى يوم يموت ﴿ومتاعٌ﴾ يعني: معايشهم التي يستمتعون بها ﴿إلى حين﴾ يعني: الموت ﴿فتلقَّى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه﴾ وعلى حواء.

يحيى: عن شريك، عن (عبد الملك)[2] بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: هو قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

---

(١) أي: أن من قرأها «فأزَلَّهما» فهو مأخوذ من «الزلل»، أي: أوقعهما في الزلة. وهي قراءة السبعة إلا حمزة. ومن قرأها «فأزالهما» فهو مأخوذ من أزال يُزيل، أي: نحّاهما وأزالهما. وهي قراءة حمزة. ينظر السبعة (١٥٣) التيسير (٧٣) لسان العرب (زلل).

(٢) في «ر»: عبد المبارك. وهو تحريف، وعبد الملك بن أبي سليمان ترجمته في التهذيب (١٨/ ٣٢٢ - ٣٢٩).

لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

قال محمد: قوله عز وجل: ﴿فتلقَّى﴾ معناه: قبل وأخذ.

﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ أي رسول ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم﴾ في الآخرة من النار ﴿ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ خاطب بهذا من أدرك النبي عليه السلام منهم؛ يذكرهم ما فعل [بأولهم][2] أنه أنجاهم من آل فرعون، وأنجاهم من الغرق، وظلل عليهم الغمام؛ وغير ذلك من نعمة اللّه التي لا تحصى ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾ تفسير الكلبي: بعهدي في الإيمان بمحمدٍ ﴿أوفِ بعهدكم﴾ الذي عهدت لكم من الجنة ﴿وإياي فارهبون﴾ (ل٨) هو كقوله: (فاتقون﴾[3].

قال [محمد: يقال: وَفَيْتُ][4] بالعهد وأَوْفَيْت به[5].

قوله: ﴿فارهبون﴾ أصله: فارهبوني بالياء، وحذفت لأنها رأس آية[6].

---

(١) الأعراف: ٢٣.

(٢) في الأصل: بمواليهم. والمثبت من «ر».

(٣) أي في الآية التي تليها، وهي قوله عز وجل: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) وفيها لغة ثالثة لم يذكرها المصنف وهي «وفَّى» بالتشديد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] ينظر لسان العرب (وفى).

(٦) أي: مراعاة لفواصل الآيات، وأثبت الياء في الحالين يعقوب. النشر (٢/ ٢٣٧) إتحاف الفضلاء (١٧٧).

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ يعني: القرآن ﴿مصدقًا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به﴾ يعني: [بهذا قريظة][1] والنضير؛ لأنَّ النبي ﷺ قدم عليهم «المدينة» فعصوا اللَّه، وكانوا أَوَّلَ من كفر به من اليهود ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا﴾ يعني: الآيات التي وصف اللَّه بها محمدًا ﷺ في كتابهم، فأَخْفَوْها من الأُمِّيين، وجهَّال من اليهود، وكان الذين يفعلون ذلك علماؤهم؛ كعب بن الأشرف وأصحابه، وكانت لهم مأكُلَةٌ[2] من اليهود كل عام؛ فذلك الثمن القليل؛ خافوا إن تابعوا النبي عليه السلام أن تذهب مَأْكُلتهم ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ قال قتادة: يعني: لا تخلطوا الإسلام باليهودية والنصرانية.

قال محمد: يقال لَبَسْتُ عليهم الأمرَ [إذا غمَّيْتَهُ][3]؛ فكأن معنى الآية: لا تَلْبِسُوا أمر النبيِّ عليه السلام بما تحرفون وتكتمون .

---

(١) المأكلة - بضم الكاف وفتحها لغتان - هو ما يُؤكل، وتطلق أيضًا على الطعمة والمُرْتَزَق. والجمع: مآكل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (أكل).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في الأصل: إذا أعميته (بالعين المهملة) ويقال: لَبَسَ عليه الأَمْرَ: خلطه عليه، حتى لا يعرف حقيقته، ويقال فيه: ألبس عليه الأمرُ، ولبَّس الأمرُ، ولبَّس عليه الأمرَ، والتبس عليه الأمرُ، وتلبَّس بالأمرِ، وتلبَّس بي الأمرُ. كلها بمعنى واحد. لسان العرب (لبس).

﴿الحق﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿وأنتم تعلمون﴾ أي: تجدونه مكتوبًا عندكم ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ أمرهم أن يدخلوا في دين محمدٍ عليه السلام ﴿أتأمرون الناسَ بالبر وتنسون أنفسكم﴾ أي: تتركون العمل به ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ بخلاف ما تفعلون ﴿أفلا تعقلون﴾ ما تأمرون به؛ يعني بذلك أَحْبَارهم.

قال محمد: جاء عن ابن عباس - في تفسير ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ - قال: نزلت في قوم من أحبار يهود؛ كان الرجلُ منهم يقول لمن أسلم من ذوي قَرَابته - إذا وثق به في السِّر -: اثْبُتْ على الذي أنت عليه؛ مما يأمرك به هذا الرجلُ؛ يعنون: محمدًا عليه السلام فإنه حقٌّ، ولا يفعلونه هم؛ للرياسة التي كانوا حَازُوها، والمآكل التي كانوا يأكلونها؛ فكشف اللَّه سرَّهم، وأخبر بذلك عنهم.

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي: على الصلاة، فخص الصلاة لمكانها من الدين. تفسير الحسن: استعينوا بالصبر على الدين كله. وقال مجاهد[1]: الصَّبْر - ها هنا الصَوْم؛ وليعلم أنهما عَوْنٌ على طاعة اللَّه.

قال محمدٌ: وأصل الصبر: الحبس، وإنما سُمِّيَ الصائم صابرًا؛ لحبسه نفسه عن الأَكْلِ والشرب .

﴿وإنها لكبيرةٌ﴾ يعني: الصلاة[2].

﴿إلا على الخاشعين﴾ الخشوع هو: الخوفُ الثابت في القلب .

---

(١) في «ر»: وقال بعضهم.

(٢) اختار المصنف ها هنا عود الضمير في قوله تعالى: ﴿وإنها﴾ على الصلاة، وفي عود الضمير أقوال أخر تنظر من معاني القرآن للأخفش (٨١ - ٨٢) البحر المحيط (١/ ١٨٥) مجاز القرآن (١/ ٣٩).

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿الذين يظنون﴾ [يعلمون][(١)] ﴿أنهم ملاقوا ربهم﴾ .

قال محمدٌ: الظنُّ في كلام العرب بمعنيين: شكٌ ويقين؛ قال دُرَيد بنُ الصِّمَّةِ:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُقَاتِلٍ سَرَاتُهُمْ بِالفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[(٢)]

ومعنى ظنُّوا: أي: أَيْقِنُوا.

قوله: ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾ قال قتادة: يعني: أهل زمانهم ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا﴾ أي: لا تغني.

قال محمدٌ: يقال: جَزَى عني فلانٌ، بلا هَمْزٍ؛ أي: ناب عني، وأجزأني: كفاني[(٣)] .

﴿ولا يقبل منها شفاعةٌ﴾ أي: لا تكون الشَّفَاعة إلا للمؤمنين ﴿ولا يؤخذ

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) البيت لدريد بن الصمة، وهو من بحر الطويل، ينظر: الأصمعيات (١٠٧) الحماسة (١/ ٣٩٧) شرح المفصل (٧/ ٨١) لسان العرب (ظنن).

(٣) الفرق بين الفعلين (جزى) و(أجزأ) أن الأول ثلاثي غير مهموز، والثاني رباعي مهموز، فالفرق إذن في بناء الصيغة لا في المعنى، فليُلْتفت إلى ذلك.
تنبيه: قد تسهَّل همزة (أجزأ)، فيقال فيه (أجْزَى). ينظر لسان العرب (جزى).

منها عَدْلٌ﴾ أي: لا يقبل منها فداءٌ ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي: لا أحد ينتصر لهم.

قال محمد: إنما يقال للفداء: عَدْل؛ لأنه مثل للشيء؛ يقال: هذا عدلُ هذا وعديله؛ والعِدْلُ - بكسر العين - هو: ما حُمِلَ على الظَّهر[١].

﴿وإذ نجَّيناكم من آل فرعون يسومونكم﴾ [يلونكم][٢] ﴿سوء العذاب﴾ أي: أشده ﴿يذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ فلا يقتلونهن ﴿وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم﴾ يعني: إذ نجاكم منه.

قال محمد: البَلاءُ يتصرفُ في النقل[٣] على وجوه؛ وهو ها هنا النعمة[٤].

(ل٩) ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون﴾ [ماتوا][٥] وفرعون فيهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ يعني: أوليهم[٦].

قال محمد في قوله: ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾ هو كقوله: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٧].

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) ويُجمع العِدْل على أعْدال وعُدول، والعَدِيل على أعْدال وعُدَلاء. والعَدْل ضد الظلم، أما العِدْل والعديل فهما بمعنى واحد. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (عدل).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) أي: ما نُقِل عن العرب، ويطلق على المحنة تنزل بالمرء، وعلى الغمّ والحزن، وعلى الجهد الشديد، وعلى الاختبار والامتحان، وغير ذلك. ينظر: اللسان، مختار الصحاح (بلو).

(٤) في «ر»: النقمة.

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) في «ر»: أوّلهم.

(٧) الشعراء: ٦٣ .

تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلةً﴾ تفسيره مذكورٌ في سورة الأعراف[١] ﴿وأنتم ظالمون﴾ يعني: لأنفسكم ﴿ثم عفونا عنكم﴾ يعني: التوبة التي جعلها اللَّه (لهم فقتل بعضهم نفسه)[٢] قال قتادة: أمروا أن ينتحروا بالشفار[٣] ففعلوا، فلما بلغ اللَّه فيهم نقمته سقطت الشفار من أيديهم؛ فكان ذلك للمقتول شهادة، وللحي توبةً ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي: لتشكروا.

﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ الكتاب: التوراة، والفرقان: حلالها وحرامها ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا.

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم﴾ قال محمد: الاختيار في العربية يا قوم بحذف الياء للنداء، وبقيت الكسرة لتدل عليها[٤].

﴿فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ خالقكم ﴿فتاب عليكم﴾.

قال محمد: المعنى: ففعلتم فتاب عليكم؛ وهو من الاختصار.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ

---

(١) أي: عند قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(٢) في «ر»: لكم فقتل بعضكم بعضًا.

(٣) واحدها: الشَّفْرة، وهي كل ما حُدِّد من الحديد، كحدّ السيف والسكين والموسى. وتجمع على شِفار، وشَفْر. لسان العرب (شفر).

(٤) في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ست لغات، ينظر تفصيل الكلام عليها من الدر المصون (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك﴾ أي: لن نصدقك ﴿حتى نرى اللَّه جهرةً﴾ أي: عيانًا ﴿فأخذتكم الصاعقةُ وأنتم تنظرون﴾ قال قتادة: أُميتُوا عقوبة، ثم بعثوا؛ ليستكملوا بقيةَ آجالهم ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ قال قتادة: سألوا موسى الأبنية؛ وهم في التِّيه في البرية، فظلَّلَ اللَّهُ عليهم الغمام. قال مجاهد: الغمام غير السحاب.

قال محمد: واحد الغَمَام: غَمَامةٌ؛ وهي عند أهل اللغة البَيْضَاءُ من السَّحَاب[1].

﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ قال قَتَادَةُ: المنُّ كان ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وكان أشدَّ بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل؛ فيأخذ أحدهم ما يكفيه يومه؛ فإن تعدَّى ذلك فسد، ولم يَبْقَ عنده حتى إذا كان يوم سادسهم - يعني: يوم الجمعة - أخذوا ما يكفيهم لذلك اليوم، وليوم سابعهم - يعني: السبت - فيبقى عندهم؛ لأن يوم السبت كانوا يعبدون اللَّه - جل وعز - فيه، ولا يشخصون لشيءٍ من الدنيا، ولا يطلبونه. والسَّلْوَى[2]:

---

(١) وتجمع على: غَمام، وغمائم. أما الغِمامة - بكسر الغين - فهي وثاق يُشد به فم الدابة لتُمنع من الاعتلاف، أو تُغطى به عينا الثور وهو يدور فلا يلحقه الدوار. والغُمام - بالضم - الزكام ينظر: لسان العرب (غمم).

(٢) السَّلْوى: طائر صغير من رتبة الدجاجيات، جسمه ممتلئ منضغط، وهو من القواطع التي تهاجر شتاء إلى الحبشة والسودان، ويستوطن أوربا وحوض البحر المتوسط. وواحد «السلوى»: سَلْواة. وقال الأخفش: لم أسمع له بواحد. قال: ويشبه أن يكون واحده: سَلْوى أيضًا. ينظر: مختار الصحاح ، لسان العرب ، المعجم الوسيط (سلو).

السُّمَاني[١] طائر إلى الحمرة كانت تحشرها عليهم الجنوب[٢]؛ فيذبح الرجل ما يكفيه ليومه ذلك؛ فإن تعدَّى ذلك فسد، ولم يبق عنده، إلا يوم الجمعة؛ فإنهم كانوا يذبحون ما يكفيهم ليومهم وللسبت.

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا﴾ أي: نقصونا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ينقصون بمعصيتهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ إلى قوله: ﴿وسنزيد المحسنين﴾ قال الكلبي: لما فصلت بنو إسرائيل من التِّيه، ودخلوا إلى العُمْران، فكانوا بجبال أريحا[٣] من الأردن قيل لهم: ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حيث شئتم رَغَدًا. وكان بنو إسرائيل قد خَطِئُوا[٤] خطيئة؛ فأحبَّ اللَّه أن يستنقذهم منها - إن تابوا وقال لهم: إذا انتهيتم إلى باب القرية، فاسجدوا، وقولوا: حِطَّةٌ - نحط عنكم خطاياكم ﴿وسنزيد المحسنين﴾ الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة - إحسانًا إلى إحسانهم، فأما المحسنون: فقالوا الذي أُمروا به، وأما الذين عصوا: فقالوا قولًا غير

---

(١) السُّمَاني بتخفيف الميم، وقد أخطأ من شدّدها. الواحدة: سُمَانَاة، وتجمع أيضًا على: سُمَانَيَات، ينظر: مختار الصحاح، اللسان (سمن).

(٢) أي: رياح الجنوب.

(٣) ويقال فيها: أَرِيح، وأريحاء - بالمد والقصر - نسبةً إلى أريحاء بن لمك بن أرفخشد بن سام ابن نوح ينظر: معجم ما استعجم (١/ ١٣٣ - ١٣٤)، معجم البلدان (١/ ٢١٠).

(٤) أي: أذنبوا. وخطئ وأخطأ بمعنًى.

الذي قيل لهم قالوا : [...][1] بالسريانية [قالوها استهزاءً وتبديلًا لقول][1] اللَّه.

قال اللَّه تعالى (ل١٠): ﴿فبدَّل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء﴾ يعني: عَذَابًا من السماء ﴿بما كانوا يفسقون﴾ قال يحيى: وبلغني أن ذلك العذاب الطَّاعون ، فمات منهم سبعون ألفًا.

ومعنى حطَّة: احْطُطْ عنا خطايانا[2].

قال محمد: وارتفعت بمعنى: مسألتنا حِطَّةٌ[3].

يحيى: وأخبرني صاحبٌ لي عن الأعمش، عن إبراهيم بن سعد بن مالك، عن سعد بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الطَّاعُونُ بقيَّةُ رِجْزٍ وعَذَابٍ عُذِّبَ به من كان قَبْلكم[4]؛ فإذا وَقَعَ بأَرْضٍ وأنتم بها، فلا تخرجوا منها؛ وإن وَقَعَ بأرضٍ ولستم بها، فلا تَقْدَمُوا عليها»[5].

---

(١) طمس في الأصل، وروى الطبري في تفسيره (١/ ٣٠٤) عن ابن مسعود أنه قال: «إنهم قالوا: هطى سمقا يا أزبة هزبا. وهو بالعربية: حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء». وانظر الدر المنثور (١/ ٧٦).

(٢) وفي تفسيرها أقوال أخر غير ذلك. ينظر مجمع البيان (١/ ١١٨) الدر المصون (١/ ٢٣٢) تفسير ابن كثير (١/ ٩٩).

(٣) أي: أن «حطة» ارتفعت خبرًا لمبتدأ مضمر. ينظر معاني القرآن للأخفش (٩٦) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٨) مجاز القرآن (١/ ٤١) الدر المصون (١/ ٢٣٢).

(٤) في «ر»: من كان به وباء.

(٥) رواه مسلم (٤/ ١٧٣٩ رقم ٢٢١٨/ ٩٧) من طريق الأعمش، عن حبيب، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه وأسامة بن زيد معًا .
وللحديث طرق أخرى كثيرة.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وإذ استَسْقَى مُوسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا قد علم كل أناس مَشْرَبهم﴾ قال قتادة: كان هذا وَهُمْ في البريَّةَ، اشتكوا إلى موسى الظَّمأ، فسقوا من حجر كان موسى عليه السلام يحمله [معه][1] من الجبل الطُّوراني، فكانوا إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا لكل سِبْطٍ عينٌ.

قال محمد: ومعنى السِّبْط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أبٍ واحدٍ[2].

﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تَعْثَوْا﴾ قال قتادة: يعني: لا تسيروا في الأرض مفسدين.

قال محمد: يقال: عَثِيَ يَعْثَى عُثِيًا، وعَثَى يَعْثُوا عُثُوًّا، وعاثَ يَعِيثُ عَيْثًا؛ بمعنًى واحدٍ[3]، وذلك في الإسراع في إفساد الشيء، ومن هذا قولُ عَدِيِّ ابن الرِّقَاع:

لولا الحَيَاءُ وإنَّ رَأْسِي قد عثا فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ[4]

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ويقال: السِّبط من بني إسرائيل كالقبيلة من العرب، والجمع: أسباط، وفي التنزيل ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]. ينظر لسان العرب «سبط» مختار الصحاح.

(٣) أي: أن هناك ثلاث صيغ لهذا الفعل: الناقص اليائي، والناقص الواوي، والأجوف اليائي. ينظر لسان العرب «عثو».

(٤) البيت من بحر الكامل. ينظر لسان العرب (عثو).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ...﴾ إلى ﴿وبصلها﴾ قال قتادة: لما أنزل اللَّهُ عليهم المنَّ والسَّلْوَى في التِّيه مَلُّوه[1] وذكروا عيْشًا كان لهم بمصر؛ فقال اللَّه - عز وجل - لهم: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرًا﴾ يعني: مِصْرًا من الأمصار ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ وقال الكلبي. «اهبطوا مِصْرَ»[2] بغير ألف؛ يعني: مصر بعينها[3].

قال قتادة: والفُومُ: الحبُّ الذي يختبزه الناس[4] ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ يعني: الجزية.

---

(١) في الأصل: تأوهوا. والمراد: ضجروا واشتكوا.

(٢) قرأ الجمهور بالتنوين «مصرًا»، وقرأ الحسن «مصر» بغير تنوين، وهي في بعض مصاحف عثمان وأبي. ينظر الدر المصون (١/ ٢٤١).

(٣) المصر في اللغة، يطلق على المكان عمومًا. ومصر: هي المدينة المعروفة، تُذكّر وتؤنث، وتُصرف وتمنع. والمِصْران: الكوفة والبصرة، ينظر: مختار الصحاح، لسان العرب (مصر).

(٤) وقيل: هو الثوم؛ ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن عباس: «وثومها». وقيل: هو الحنطة خاصة، وقيل: هو الحمص؛ لغة شامية. والمفرد: فومة، ويُجمع أيضًا على فُوَم، بفتح الواو. ينظر: المحتسب (١/ ٨٨) معاني القرآن للفراء (١/ ٤١) البحر المحيط (١/ ٢٣٣) لسان العرب (فوم).

قال محمد: وقد قيل الذلة: الصَّغَار[١]، والمسكنة: الخضوع[٢].

﴿وباءوا بغضب من اللَّه﴾ يعني: استوجبوا.

قال محمد: معنى باءوا في اللغة: رجعوا؛ يقال: بُؤتُ بكذا فأنا أبُوءُ به، ولا يقال: باء إلَّا بشرٍّ[٣].

﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللَّه﴾ يعني: بأمر اللَّه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿والذين هادوا﴾ يعني: تهودوا ﴿والنصارى﴾ قال قتادة: سموا نَصَارى؛ لأنهم كانوا بقريةٍ يُقَالُ لها: ناصرة[٤].

﴿والصَّابين﴾[٥] قال قتادة: هم قوم يقرءون الزَّبُور، ويعبدون الملائكة[٦].

قال يحيى: وبعضهم يقرءونها: ﴿والصابئين﴾ مهموزة[٧].

---

(١) المعنى الأول يُرْوى عن أبي عبيدة وغيره، ويُرْوى الثاني عن الحسن وقتادة. ينظر مجاز القرآن (١/ ٤٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٢) وقال الإمام الطبري: مسكنة الفقر والحاجة. ينظر تفسير الطبري (١/ ٢٤٩) مجمع التفاسير (١/ ١٣٣).

(٣) يقال: باء بكذا، وباء إلى كذا. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (بوء).

(٤) وهي قرية بالجليل من فلسطين، وتُسمَّى نَصْران، ومفرد النصارى: نَصْران للمذكر، ونَصْرانة للمؤنث. ينظر: معجم البلدان (٨/ ٢٣٧) لسان العرب (نصر).

(٥) بترك الهمز، وهي قراءة نافع. ينظر السبعة (١٥٧) التيسير (٧٤) النشر (١/ ٣٩٧).

(٦) الصابئ في اللغة: هو الذي يترك دينه، ويدين بآخر. وفرقة الصابئة؛ قوم يعبدون الكواكب، ويزعمون أنهم على ملة سيدنا نوح عليه السلام، وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ١٠٨) لسان العرب (صبأ).

(٧) وهي قراءة السبعة إلا نافعًا. ينظر: السبعة (١٥٧) التيسير (٧٤) النشر (١/ ٣٩٧).
تنبيه: القراءة بالهمز هي الأصل، ومن ترك الهمز حذفها استثقالا.

قال محمد: وأصل الكلمة من قولهم: صَبأَ نَابُهُ إذا خرج[١]؛ فكان معنى الصابئين: خرجوا من دينٍ إلى دينٍ.

والتهود أصله: التعوُّد؛ يقال للعائد: هائدٌ، ومتهوِّدٌ[٢].

﴿فلهم أجرهم﴾ يعني: من آمن بمحمدٍ ﷺ وعمل بشريعته ﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ قال محمد: القراءة ﴿ولا خوف عليهم﴾ بالرفع، والنصب جائز وقد قُرِئ بهما[٣].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ يعني: فوق رءوسكم ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ يعني: التوراة ﴿بقوة﴾ بجدٍّ ﴿واذكروا ما فيه﴾ أي: احفظوا ما فيه، واعملوا به. والطور: جبل كانوا في أصله [فاقْتُلِعَ وأَشْرَفَ][٤] (...)[٥] ففعلوا.

﴿ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل اللَّه عليكم ورحمته﴾ (ل١١) حين لمْ يعجل لكم العذاب ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ يعني: المعذَّبين.

---

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (صبأ).

(٢) أي: يقال له: «هائد» من الفعل هاد، و«متهود» من الفعل: تهوَّد. لسان العرب (هود).

(٣) قراءة الرفع هي قراءة الجمهور، وورد عن الحسن البصري ويعقوب قراءة النصب، ينظر: إتحاف الفضلاء (١٣٤)، الإعراب للنحاس (١٨٣)، البحر المحيط (١/ ٢٤٢).

(٤) بياض في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) طمس في الأصل.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ يقول هذا لعلمائهم ﴿فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين﴾ أي: صاغرين؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: وقيل: خاسئين؛ يعني مبعدين، يقال: خسأت[1] فلانًا عني وخسأت الكلب؛ أي: باعدته.

قال يحيى: واعتداؤهم: أخذهم الصيْدَ في يوم السبت، وسيأتي تفسيره في سورة الأعراف[2].

﴿فجعلناها نكالًا﴾ أي: عِبْرةً ﴿لما بين يديها﴾ قال قتادة: يعني: لما سلف من ذنوبهم قبل أن يصيدوا الحيتان ﴿وما خلفها﴾ يعني: ما بعد تلك الذنوب؛ وهو أخذهم الحيتان.

قال محمد: والهاء التي في «جعلناها» هي على هذا التأويل للفَعْلة. وقيل: المعنى جعلنا قرية أصحاب السبت[3] ﴿نكالًا لما بين يديها﴾ من القُرَى ﴿وما خلفها﴾ ليتَّعظوا بهم. واللَّه أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن

---

(١) ينظر لسان العرب (خسأ) والدر المصون (١/ ٢٥٢).
(٢) الأعراف: ١٦٣ .
(٣) وقيل: يعود الضمير على العقوبة، وقيل: على الأمة. ينظر الدر المصون (١/ ٢٥٢).

لَنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة...﴾ إلى قوله: ﴿وما كادوا يفعلون﴾.

قوله ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ قال الحسن: الفَارِضُ: الهَرِمَة، والبِكْر: الصغيرة، والعَوَانُ: بين ذلك.

قال محمد: يقال من الفارض: فَرُضَتْ تَفْرُضُ فروضًا(١).

قال يحيى: وقوله: ﴿فاقع لونها﴾ يعني: صافية الصُّفرة(٢).

قال محمد: وقوله: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ يعني: إن جنس البقر تَشَابَهَ علينا.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قال يحيى: وقوله: ﴿لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث﴾ تفسير ابن عباس: لا يُحْرَثُ عليها ولا يُسْقَى [عليها](٣).

---

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (فرض).

(٢) وقيل: خالص لونها. وقيل: سوداء شديدة السواد. وقيل غير ذلك ينظر تفسير ابن كثير (١/ ١١) كشف المشكلات (١/ ٥٣).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وقوله: ﴿مسلَّمة﴾ يعني: من العيوب؛ في تفسير قتادة. وقوله عز وجل: ﴿لا شية فيها﴾ يعني: لا سواد فيها، ولا بياض؛ في تفسير مجاهد.

قال محمد: القراءة ﴿لا شيَةَ﴾ بالنصب[1] على النَّفْي والوَشْيُ في اللغة: خَلْطُ لَوْنٍ بلون؛ تقول: وَشَيْتُ الثوبَ أشِيهِ شِيَةً ووشْيًا؛ فكأن المعنى: لا لون فيها يخالف معظم لونها؛ وهو الذي أراد مجاهد[2].

والذلولُ من الدَّواب: الخاضعة، وهي بَيِّنَةُ الذُّلِّ. والذِّل ضد الصَّعوبةَ؛ يقال: هذا جَمَلٌ ذلولٌ بَيِّنُ الذُّلِّ؛ بكسر الذال.

قال يحيى: وقوله عز وجل ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ أيْ: بيَّنْتَ، وقد حدثني سعيد، عن قتادة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنما أُمر القوم بأدنى بقرة؛ ولكنهم لما شدَّدُوا على أنفسهم، شُدِّد عليهم، والذي نفسي بيده؛ لولم يستثنوا، ما بُيِّنت لهم»[3].

يحيى: وحدثني المعلَّى، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد

---

(١) وهي قراءة الجمهور.

(٢) وقيل غير ذلك: ينظر لسان العرب (وشى).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٤٨) من طريق سعيد.
ورواه الطبري في تفسيره (١/ ٣٤٧ - ٣٤٨) عن ابن جريج مرسلاً.
ورواه الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر عن عكرمة مرسلاً. كما في الدر المنثور (١/ ٨٣).
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤١ رقم ٧٢٢) وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (١/ ١١١) - من طريق عباد بن منصور، عن الحسن عن أبي رافع، عن أبي هريرة مرفوعًا.
قال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.
وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣١٧): رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات.

ابن جبير، عن ابن عباس قال: «قتل رَجُلٌ عمه، فألقاه بين قريتين، فأعطوه ديتين فأبى أن يأخذ؛ فأتوا موسى فأوحى اللَّه إليه أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها، فشددوا فشدد اللَّه عليهم؛ ولو كانوا اعترضوا البقر أول ما أمروا، لأجزأهم ذلك».

قال محمد: ومعنى «اعترضوا»: أخذوا منها بغير تخيير.

﴿فادَّارأتم فيها﴾ يعني: أَلْقَى قَتْلَهُ بَعْضُهم على بعض.

قال محمد: ادَّارأتم أصلُه: [تَدَارَأْتُمْ][1]؛ فأُدْغمت التاء في الدال[2]؛ ومعناه: تدافعتم؛ يقال: دَرَأَ الكوكبُ بضوئه؛ أي دفع[3].

﴿فقلنا اضربوه﴾ **قال يحيى**: سمعتُ بعضهم يقول: رُمِيَ قبره ببعضها - قال قتادة: يعني: بفخذها - ففعلوا، فقام فأخبر بقاتله، ثم مات.

قال ابن عباس: طلبوها، فوجدوها عند رجل بَرٍّ بوالديه، فبلغ ثمنها مِلْءَ مَسْكِها[4] دنانير.

قال يحيى: وذكر لنا أن وليّه الذي كان يطلب دمه هو [الذي][5] قَتَلَهُ؛ فلم يُوَرَّثْ بَعْدَهُ قَاتِلٌ.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ

---

(١) في الأصل: فتدارأتم. والمثبت من «ر».

(٢) وهذه قاعدة مطردة في كل فعل على وزن «تفاعل» أو «تفعّل»، فاؤه دال. ينظر الدر المصون (١/ ٢٦٢).

(٣) في اللسان والصحاح: درأ الكوكب في مضيه؛ أي: اندفع.

(٤) أي: جلدها. لسان العرب (مسك).

(٥) من «ر».

ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوة﴾ قال يحيى: يعني بل أشدُّ قسوة[١].

قال محمدٌ: وقيل: إن الألف زائدة، والمعنى فهي كالحجارة وأشدُّ قسوة[٢]. ومثل هذا من الشعر(ل١٢):

أَلَا زَعَمَتْ لَيْلَى [بأني فاجرٌ لنفسي][٢] تُقَاهَا أَوْ عليها فُجُورُهَا[٣]

قوله - عز ذِكْره -: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه...﴾ أي: تجري ﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ يعني العيون التي لا تكون أنهارًا.

﴿وإن منها لما يهبط من خشية اللَّه﴾ قال مجاهد: كلُّ حجرٍ انفجر منه ماء أو تردى من رأس جبل فهو من خشية اللَّه[٤].

﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ يقول: هذا للنبي ﷺ وللمؤمنين أن يصدِّقوكم؛ يعني: جماعة اليهود؛ لأن الخاصَّة قد تتبع ملته ﴿وقد كان فريق

---

(١) أي: أن «أو» بمعنى «بل» على سبيل الإضراب، وهذا أحد معاني «أو». ولزيادة البيان ينظر مغني اللبيب (١/ ٧٥ - ٨٠).

(٢) ينظر مغني اللبيب (١/ ٧٥ - ٨٠) تفسير ابن كثير (١/ ١١٥).

(٣) البيت من بحر الطويل. ويروى: «وقد زعمت» بدل «ألا زعمت» وقائله: هو تَوْبة. وقد احتج به الكوفيون والأخفش والجرمي على أن «أو» بمعنى الجمع المطلق كالواو. أما المصنف فقد احتج به على أن ألف «أو» زائدة؛ فهي «واو» عنده أصلًا. ينظر: مغني اللبيب (١/ ٧٥).

(٤) ينظر تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

منهم يسمعون كلام الله﴾ قال الحسن: يعني: كتاب الله التوراة ﴿ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ حرفوا ما في التوراة من صفة محمدٍ ﷺ ودينه [﴿وهم يعلمون﴾][1].

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾ تفسير الكلبي: أتحدثونهم بما بَيَّنَ الله لكم في كتابكم من أَمْرِ نبيِّهم، ثم لا تتبعونهم، ولا تدخلون في دينهم؛ هذه حجةٌ لهم عليكم ﴿أفلا تعقلون﴾ قالوا هذا وهم يتلاومون ﴿أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ مما قال اليهود بعضهم لبعض ﴿وما يعلنون﴾.

قال محمد: جاء عن ابن عباس؛ أن هذه الآية نزلت في طوائف من أَحْبَار اليهود؛ كانوا إذا لَقُوا الذين آمنوا، قالوا: نشهد أن صاحبكم صَادِقٌ، وإنا نجد في كتابنا نَعْتَهُ وصفته ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم﴾.

﴿ومنهم أُمِّيُّون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ يعني: أحاديث ما يحدثهم قراؤهم به فيقبلونه ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ أي: هم على غير يقين إن صدقت قراؤهم صدقوا، وإن كذبت قراؤهم كذبوا.

(١) سقط من الأصل.

قال محمد: ارتفع «أميون» بالابتداء، و«منهم» الخبر[(١)]. وقد قيل: المعنى استقَّر منهم أميون[(٢)]، ومن كلامهم: فيك أمِّيةٌ: أي: جَهَالة؛ ولذلك قيل للذي لا يكتب: أُمِّيٌّ.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللَّه ليشتروا به ثمنًا قليلًا﴾ قال الكلبي: هم أحبار اليهود وعلماؤهم عمدوا إلى نعت النبيِّ ﷺ في كتابهم، فزادوا فيه، ونقصوا، ثم أخرجوه لسَفِلَتهم فقالوا: هذا نعت النبي الذي يبعثه اللَّه في آخر الزمان ليس كَنَعْتِ هذا الرجل، فإذا نظرت السَّفلة إلى محمد ﷺ لم يروا فيه النعت الذي في كتابهم الذي كتبت أحبارهم. وكانت للأحبار مأكلةٌ فقال اللَّه - عز وجل -: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللَّه ليشتروا به ثمنًا قليلًا﴾ يعني: تلك المأكلة ﴿فويلٌ لهم﴾ في الآخرة ﴿مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودةً﴾ قال قتادة: قالت اليهود: لن يدخلنا اللَّهُ النارَ إلا عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل؛ أي: إذا انقطعت تلك الأيام، انقطع عنا العذاب، قال اللَّه - عز ذكره - للنبي عليه السلام قل لهم: ﴿أتخذتم عند اللَّه عهدًا﴾ .

(١) أي: تقدم الخبر، وتأخر المبتدأ.
(٢) هذا على رأي الأخفش. ينظر الدر المصون (١/ ٢٦٨).

قال محمد: المعنى: عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار ؟!

﴿فلن يخلف اللَّه عهده أم تقولون على اللَّه ما لا تعلمون﴾ أي: إنكم لن تتخذوا عند اللَّه عهدًا، وإنكم تقولون عليه ما لا تعلمون أنه الحق.

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿بلى من كسب سيئة﴾ السيئة ها هنا: الشرك ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي: مات ولم يتب من شركه . . . الآية.

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا اللَّه﴾ قال محمدٌ: «لا تعبدون» جائز أن يكون فيه الرفع؛ على معنى ألا تعبدوا فلما سقطتْ «أن» رفع «تعبدون»[(١)] وكذلك قوله تعالى بعد هذا: ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ الرفع فيه على معنى: ألا [تسفكوا][(٢)].

﴿وبالوالدين إحسانًا﴾ أي: وصيناهم بالوالدين إحسانًا ﴿وقولوا للناس حسنًا﴾ تفسير الحسن. يأمرونهم بما أمر اللَّه [به][(٢)] وينهونهم عما نهى اللَّه عنه.

﴿ثم توليتم﴾ [أي جحدتم][(٢)] (ل١٣) ﴿إلا قليلًا منكم﴾ القليل يعني: الذين اتبعوا النبي ﴿وأنتم معرضون﴾ [عما][(٢)] جاء به النبي ﷺ .

---

(١) وفيه وجوه أخر غير هذا. ينظر الدر المصون (١/ ٢٧٥ - ٢٧٦).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ أي: لا يخرج بعضكم بعضًا ﴿ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾ .

قال محمد: ثم أقررتم يعني: اعترفتم [بصحة ما](١) قد أُخذ عليكم في العهد، وأُخذ على أوائلكُمْ ﴿وأنتم تشهدون﴾ أن هذا حقٌّ .

﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ .

[قال محمد](٢): «هؤلاء» بمعنى الذين، وقد قيل: أراد يا هؤلاء(٣) .

﴿تقتلون أنفسكم﴾ أي: يقتل بعضكم بعضًا ﴿وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم﴾ أي: تعاونون عليهم ﴿بالإثم والعدوان﴾ يعني: بالظلم.

﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرَّمٌ عليكم إخراجهم﴾ قال الحسن: نكثوا؛ فقتل بعضهم بعضًا، وأخرج بعضهم بعضًا، وكان الفداءُ مفروضًا

---

(١) طمس في الأصل.
(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) أي: على حذف حرف النداء. وفي الآية وجوه أخر. ينظر الدر المصون (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤).

عليهم أيضًا، فاختلفت أحكامهم؛ فقال اللَّه تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ يعني: الفداء ﴿وتكفرون ببعض﴾ يعني: القتل والإخراج من الدور ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يقوله ليهود المدينة ﴿إلا خزيٌ في الحياة الدنيا﴾ قال الكلبي: الخزي القتل والنفي؛ فقُتِلت قريظة، ونُفِيت النضير؛ أخزاهم اللَّه بما صنعوا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ تفسير الحسن: يعني: اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ أي: أتبعناه بهم ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ قال الكلبي: يعني: الآيات التي كان يريهم عيسى عليه السلام ﴿وأيَّدناه﴾ أعنَّاه ﴿بروح القدس﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

قال محمد: أصل القدس: الطهارة.

﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون﴾ فلما قال لهم النبيُّ عليه السلام هذا سكتوا، وعرفوا أنه وحيٌ من اللَّه عيَّرهم بما صنعوا، فقالوا: يا محمد ﴿قلوبنا غُلفٌ﴾ لا نعقل ولا نفقه ما تقول، وكانت أوعيةً للعلم، فلو كنت صادقًا سمعنا ما تقول.

قال محمدٌ: تُقرأ على وجهين: «غُلْفٌ وغُلُفٌ»[١]. وأجود القراءتين: «غُلْفٌ» بتسكين اللام، ومعناها: ذوات غُلْفٍ، الواحد منها: أغْلَفُ؛ يقال: غلفتُ السيف؛ إذا جعلته في غلاف، فهو سيف أغلف، ومنه يقال لمن لم يختتن: أغلفُ. فكأنهم قالوا: قلوبنا في أوعية مثل قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾[٢].

ومن قرأ «غُلُفٌ» فهو جمع غلاف؛ فيكون معنى هذا : أن قلوبنا أوعيةٌ للعلم فما لها لا تفهم عنك؟!

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ولما جاءهم كتاب من عند اللَّه مصدقٌ لما معهم﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ قال قتادة: كانت اليهود تستنصر بمحمدٍ ﷺ على كفَّار العرب، كانوا يقولون اللهم ائتِ بهذا النبيِّ الذي يقتُل العرب ويذلهم، فلما رأوا أنه من غيرهم حسدوهم، وكفروا به. قال اللَّه - تعالى -: ﴿فلعنة اللَّه على الكافرين﴾.

قال محمد: الاستفتاح ها هنا بمعنى الدعاء، والفُتَاحَةُ أيضًا الحكومة،

---

(١) القراءة بتسكين اللام قراءة الجمهور، وقد جوَّدها المصنف، والقراءة بضمها قراءة ابن عباس، ورويت عن أبي عمرو . ينظر: الدر المصون (١/ ٢٩٥ - ٢٩٦).
(٢) فصلت: ٥ .

يقال: فِتاحة وفُتاحة بكسر الفاء وبضمها[١]، وفاتحت الرجل: إذا حاكمته.

﴿بئس ما اشتروا به أنفسهم﴾ أي: بئس ما باعوا به أنفسهم ﴿أن يكفروا بما أنزل اللَّه بغيًا﴾ حَسَدًا ﴿أن ينزل اللَّه من فضله على من يشاء من عباده﴾.

قال يحيى: وكل شيءٍ في القرآن «اشتروا»[٢] فهو شراء، إلا هذه الآيةِ، وكل شيء في القرآن ﴿شَرَوْا﴾ فهو بيعٌ.

قال محمد: ﴿بغيًا﴾ مصدر[٣] المعنى: كفروا بغيًا لأن أنزل اللَّه الفَضْلَ على نبيه ﷺ ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾ قال قتادة: غضب اللَّه عليهم بكفرهم بالإنجيل، وغضب عليهم [بكفرهم][٤] بالقرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ

---

(١) وتُفتح الفاء أيضًا. وقيل: معنى الاستفتاح: طلب النصرة. ينظر: مختار الصحاح، ولسان العرب (فتح).

(٢) الفعل «اشترى» من الأضداد، يأتي بمعنى «اشترى» و«باع» وكذلك الفعل «شرى». لسان العرب (شرى).

(٣) وفيه وجوه أخر. ينظر الدر المصون (١/ ٣٠٠ - ٣٠١).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل اللَّه قالوا نؤمن بما أُنزِلَ علينا ويكفرون بما وراءه﴾ (ل١٤) بما بعده؛ يعني الإنجيل والقرآن (. . .)[١] ﴿وهو الحق﴾ يعني: القرآن ﴿مصدقًا لما معهم﴾ أي: التوراة والإنجيل.

قال محمد: نصب ﴿مصدقًا﴾ على الحال، وهذه حال مؤكدة[٢].

قوله تعالى: ﴿قل فلم تقتلون أنبياء اللَّه من قبل إن كنت مؤمنين﴾ وكان أعداء اللَّه يقولون: [إن][٣] آباءهم الذين قتلوا أنبياء اللَّه من قبل [وليس فيما][٤] أنزل اللَّه عليهم قتل أنبيائهم فكذَّبهم اللَّه في قولهم ﴿نؤمن بما أنزل علينا﴾ وهو تفسير الحسن.

قوله تعالى: ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ يعني: أوَّلهم ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾.

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ أي: واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم ﴿ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ قد مضى تفسيره[٥] ﴿واسمعوا﴾ قالوا: ﴿سمعنا وعصينا﴾ سمعنا ما تقول، وعصينا أمرك. قال: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾.

---

(١) طمس في الأصل بمقدار كلمة.
(٢) ينظر الدر المصون (١/ ٣٠٣).
(٣) سقطت من الأصل. وينظر تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦ - ١٢٧).
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٥) ينظر تفسير الآية (٦٣) من سورة البقرة.

قال محمد: المعنى: أُدْخِلَ في قلوبهم[١]؛ كذلك قال ابن عباس. ومن كلام العرب اشرب عني ما أقول؛ أي: اقبلْه وَعِهِ.

قال يحيى: قال الحسن: ليس كلهم تاب. وقيل: فالذين لم يتوبوا هم الذين بقي حب العجل في قلوبهم؛ وهم الذين قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية[٢].

﴿قل بئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي: لو كان الإيمان في قلوبكم، لحجزكم عن عبادة العجل. ثم رجع إليهم لقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[٣] ولقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[٤] وأشباه ذلك فقال: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أنكم من أهل الجنَّة ﴿ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم﴾ يعني: بما أسلفوا من الأعمال الخبيثة؛ لأنهم يعلمون أنهم معذَّبون؛ يعني به الخاصة الذين جحدوا وكفروا حسدًا وبَغْيًا.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ولتجدَّنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعمَّر ألف سنةٍ﴾ قال ابن عباس: الذين أشركوا هم المجوس، وذلك أن

---

(١) وقال الزجاج: وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم؛ قال: معناه: سقوا حُبَّ العجل فحذف «حب» وأقيم العجل مقامه. ينظر لسان العرب (شرب)، الدر المصون (١/ ٣٠٥).

(٢) سورة الأعراف: ١٥٢ .

(٣) البقرة: ١١١ .

(٤) البقرة: ٨٠ .

المجوس كانوا يأتون الملك بالتحية في النَّيْروز والمِهْرجان[(١)]، فيقولون له: عِشْ أيها الملك ألف سنة كلها مثل يومك هذا.

قال اللَّه - عز وجل -: ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعَمَّرَ﴾ أي: ما عُمْرُهُ بِمُبَاعِدِهِ من العذاب.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللَّه﴾ يعني: نزل القرآن ﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ من كتاب اللَّه - عز وجل.

قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن عمر بن الخطَّاب أتى نفرًا من اليهود، فلما أبصروه رحَّبوا به؛ فقال: أما واللَّه ما جئت لحبكم، ولا لرغبةٍ فيكم، ولكن جئتُ لأسمع منكم. فسألهم وسألوه؛ فقالوا له: من صاحب صاحبكم؟ قال: جبريل. قال: قالوا: ذاك عدوُّنا من أهل السماء يُطْلِعُ محمدًا على سرنا؛ وهو

---

(١) النيروز هو أكبر الأعياد القومية للفرس، ويقال فيه أيضًا: النَّوْروز، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق الحادي والعشرين من مارس من السنة الميلادية. ينظر المعجم الوسيط (نورز، نيرز).

والمهرجان: كلمة فارسية أيضًا مركبة من كلمتين: الأولى: مِهْر ومن معانيها الشمس، والثانية: جان ومن معانيها الحياة أو الروح. وعيد المهرجان هو احتفال الاعتدال الخريفي عندهم. ينظر المعجم الوسيط (مهرج).

إذا جاء جاء بالحرب والسَّنَةِ[١]، وكان صاحب صاحبنا ميكائيل، وكان إذا جاء جاء بالخِصْبِ وبالسِّلْم. فقال عمر: أتعرفون جبريل، وتنكرون محمدًا؟ وفارقهم عند ذلك وتوجَّه نحو النبي عليه السلام ليحدثه حديثه؛ فوجده قد نزلت عليه هذه الآية.

وفي رواية الكلبي: أن اليهود قالت: إن جبريل عدوٌّ لنا، فلو أن محمدًا يزعم أن ميكائيل الذي يأتيه صدقناه، وإن جبريل عدوٌّ لميكائيل؛ فقال عمر: إني أشهد أن من كان عدوًّا لجبريل، فإنه عدوٌّ لميكائيل.

قوله تعالى: ﴿أو كلما عاهدوا عهدًا نبذه﴾ أي: نقضه ﴿فريق منهم﴾ يعني: اليهود ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ كقوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ يعني: محمدًا ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ أي: لا يعملون به ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ أي: كأنهم ليس عندهم [من الله فيه عهدًا][٣].

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ

(١) السَّنة: الجدب والقحط. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (سنة).
(٢) البقرة: ٨٨.
(٣) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُۥ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾

(ل١٥) قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ يقول: نبذوا كتاب الله، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان.

قال محمد: «تتلوا»؛ أي: تروي التلاوة والرواية شيء واحد .

قوله: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ قال الكلبي: لما ابتلى الله - عز وجل - سليمان عليه السلام بما كان من أَمْرِ الشياطين، كتبت الشياطين سحرًا كثيرًا، ودفنوه تحت كرسيه، ثم لما قبض الله سليمان أتت الشياطينُ إلى أوليائهم من الإنس، فقالوا: ألا ندلُّكم على ما كان سليمان يملك به الإنس، وتدين له به الجن، وتسخر له [به][1] الرياح؟ قالوا: بلى. قالوا: احفروا تحت كرسيه، ففعلوا واستخرجوا كتبًا كثيرة، فلما قرءوها فإذا هي الشركُ بالله؛ فقال صلحاءُ بني إسرائيل: معاذ الله من هذا أن نتعلمه، وتعلمه سَفِلَةُ بني إسرائيل [وفشت الكلمة][2] لسليمان في بني إسرائيل حتى عذره الله على لسان محمدٍ ﷺ، فقال: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين﴾ يقول: اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، واتبعوا ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت.

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) هكذا في الأصل، «ر»، ولعل المراد - والله أعلم - السِّحر، أي فشا السحر، ونُسِب إلى سيدنا سليمان في بني إسرائيل، حتى عذره الله على لسان سيدنا محمد ﷺ. ينظر تفسير ابن كثير (١/ ١٩٢ - ١٩٥).

قال قتادة: السحر سحران: سحرٌ تعلمه الشياطين، وسحر يعلمه هاروت وماروت.

وقال الحسن: إن الملكين ببابل إلى يوم القيامة، وإن من عزم على تعلُّم السحر، ثم أتاهما سمع كلامهما، من غير أن يراهما.

وقال مجاهد: عجبت الملائكة من ظلم بني آدم؛ وقد جاءتهم الرسل، فقال لهم ربهم: اختاروا منكم اثنين أُنزلهما يحكمان في الأرض، فكانا هاروت وماروت، فحكما فعدلا؛ حتى نزلت عليهما الزُّهَرة في صورة أحسن امرأة تخاصم [زوجها][1] فافْتَتَنَا بها وأراداها على نفسها فطارت الزهرة؛ فرجعت حيث كانت، ورجعا إلى السماء فَزُجِرا فاستشفعا برجل من بني آدم، فقالا: سمعنا ربك يذكرك بخير، فاشفع لنا، فقال لهما: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ ثم واعدهما يومًا يدعو لهما فيه فدعا لهما فخُيِّرا بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فنظر أحدهما إلى الآخر، فقال: ألم تعلم أن أَفْواجَ عذاب اللَّه في الآخرة كذا وكذا، وفي الخلد أيضًا؟ فاختارا عذاب الدنيا؛ فهما يُعَذَّبان ببابل.

قال محمد: وقد ذكر يحيى عن غير مجاهد؛ أن المرأة التي افْتَتَنَا بها كانت من نساء أهل الدنيا. واللَّه أعلم[2].

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) قصة هاروت وماروت من الإسرائيليات، قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤١): وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد اللَّه تعالى... واللَّه أعلم بحقيقة الحال.

﴿وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة﴾ أي: بلاء ﴿فلا تكفر﴾.

قال محمدٌ: قوله ﴿فتنة﴾ معناه: ابتلاء واختبار؛ وهو الذي أراد يحيى.

قال قتادة: أخذ عليهما ألا يعلما أحدًا حتى يقولا له: إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر ﴿فيتعلَّمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن يُبَغِّضَ كُلَّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ﴿وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن اللَّه﴾ قال الحسن: من شاء اللَّه سلَّطهم عليه، ومن شاء منعهم منه ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ يعني: لمن اختاره ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ يعني: نصيبًا في الجنة، قال قتادة: قد علم أَهْلُ الكتاب في عهد اللَّه إليهم أن الساحر لا خلاق له عند اللَّه يوم القيامة ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي: ما باعوها به ﴿لو كانوا يعلمون﴾ قال الحسن: لو كانوا علماء أتقياء، ما اختاروا السحر.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند اللَّه﴾ يعني: الثواب يوم القيامة ﴿خيرٌ لو كانوا يعلمون﴾ أي: لو كانوا علماء لآمنوا بعلمهم ذلك، واتقوا ولا يوصف الكفار بأنهم علماء.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ قال الكلبي: راعنا كلمةٌ كانت العرب (تكنى بها)[1]؛ يقول الرجل لصاحبه: راعني سمعك؛ فلما سمعتهم اليهودُ يقولون هذا للنبي (ل١٦) عَلَيْهِ السَّلَامُ أعجبهم ذلك، و«راعني» في

---

(١) في «ر»: يتكلمون بها.

كلام اليهود كلمة يَسُبُّ [بها بعضهم بعضًا][(١)] فقالوا: قوموا بنا نسب محمدًا [فأعلنوا][(٢)] له السب، فكانوا يأتونه، فيقولون: يا محمد راعنا. ويضحكون، فعرفها رجل من الأنصار كان يعرف لغتهم، فقال: يا أعداء اللَّه، عليكم لعنةُ اللَّه، والذي نفسي بيده لئن سمعت رَجُلًا منكم بعد مجلسي هذا يعيدها لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها للنبي؟! فقال اللَّه للذين آمنوا: ﴿لا تقولوا﴾ لمحمد: ﴿راعنا﴾ ولكن قولوا: ﴿انظرنا﴾؛ أي: انتظرنا نتفَّهم. فقال المؤمنون: الآن لئن سمعتم بالرجل من اليهود يقول لنبيكم: راعنا - فأوجعوه ضربًا. فانتهت عنها اليهودُ بعد ذلك.

قال محمد: وذكر غير يحيى؛ أن المسلمين كانوا يقولون لرسول اللَّه ﷺ: راعِنا وأرْعِنا سمْعَك، وأصل الكلمة من راعيت الرجلَ؛ إذا تأمَّلته، وتعرَّفت أحواله [ومنه يقال: أرعني سمعك][(٣)]. وكانت اليهود يقولونها لرسول اللَّه ﷺ وهي بلغتهم سبٌّ، ويحرفونها إلى ما في قلوبهم من السَّبِّ لرسول اللَّه ﷺ والطَّعْن عليه.

قوله تعالى: ﴿واسْمَعُوا﴾ يعني: واستمعوا ما يأمركم به رسول اللَّه ﷺ ولا تكونوا كالكافرين الذين لا يقولون: انظرنا، ولا يسمعون قول رسول اللَّه ﷺ ﴿عذاب أليم﴾ أي: موجعٌ.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) في الأصل: فلبثوا.
(٣) سقطت هذه العبارة من الأصل. وينظر: اللسان، القاموس المحيط (رعى)، الدر المصون (١/ ٣٣١ - ٣٣٢).

قوله تعالى: ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ أي: ولا من المشركين ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ يعني: الوحي الذي يأتي رسول اللَّه ﷺ لا يسرهم ذلك؛ حَسَدًا لرسول اللَّه وللمؤمنين.

قال محمد: قوله: ﴿من خير من ربكم﴾ دخلت «من» ها هنا على جهة التوكيد والزيادة؛ كما تقول: ما جاءني من أحدٍ، وما جاءني أحدٌ[1].

﴿واللَّه يختص برحمته من يشاء﴾ قال الحسن: يعني: النبوة.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية﴾ أي: نبدل حكمها، ونثْبتْ خطّها: ﴿أو نُنْسها﴾ قال قتادة: يعني: ننسها رسوله؛ وقد نسي رسول اللَّه ﷺ بَعْضَ ما كان نزل من القرآن، فلم يثْبُتْ في القرآن.

قال يحيى: وتقرأ ﴿أو ننسأها﴾ مهموزة[2]؛ أي: نؤخرها؛ فلم تثبت في القرآن ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ يقول: هذه الآية الناسخة خير في زماننا هذا لأهلها، وتلك الأولى المنسوخة خير لأهلها في ذلك الزمان، وهي مثلها بَعْدُ

---

(١) وذلك على رأي سيبويه وأتباعه. أما الكوفيون والأخفش فلا يقولون بهذا، وقيل: (من) ها هنا للتبعيض. الدر المصون (١/ ٣٣٣).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ومجاهد، وابن محيصن ورويت عن عمر وابن عباس وأُبي ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٥)، السبعة (١٦٨)، التيسير (٧٦)، النشر (١/ ٢١٩)، البحر (١/ ٣٤٣).

في حقها وصدقها .

﴿ألم تعلم أنَّ اللَّه على كل شيءٍ قدير ألم تعلم أن اللَّه له ملك السمٰوات والأرض﴾ فهو يحكم فيهما بما يريد ﴿وما لكم من دون اللَّه من ولي ولا نصير﴾ يمنعكم إن أراد بكم عذابًا.

قال محمد: قوله: ﴿ألم تعلم﴾ لفظ: ﴿ألم﴾ ها هنا لفظ الاستفهام؛ ومعناه: التوقيف والتقرير[١]؛ ومعنى الآية: أن اللَّه - عز وجل - يملك السمٰوات والأرض ومن فيهنَّ؛ فهو أعلم بِوَجْهِ الصلاح فيما يتعبَّدهم به من ناسخٍ ومنسوخٍ، وغير ذلك .

قوله تعالى: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾ قال قتادة: كان الذي سألوا موسى أن قالوا: ﴿أرنا اللَّه جهرة﴾[٢].

﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ [أي: قصد][٣] الطريق.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿لو

---

(١) الدر المصون (١/ ٣٣٨).
(٢) النساء: ١٥٣ .
(٣) في الأصل: أي سواء. والمراد: وسط أو أعدل الطريق.

يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حَسَدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبيَّن لهم﴾ يعني: أن محمدًا رسول اللَّه، وأن دينه الحق ﴿فاعفوا واصفحوا﴾.

قال محمد: قوله تعالى: ﴿حسدًا من عند أنفسهم﴾ المعنى: أن كتابهم أمرهم بما هم عليه [من الشرك](١) وبَيَّن ذلك قوله تعالى: ﴿من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي اللَّه بأمره إن اللَّه على كل شيء قدير﴾ (ل١٧) قال قتادة: كانت هذه الآية قبل أن يؤمروا بقتال أهل الكتاب؛ ثم أنزل اللَّه بعد ذلك سورة براءة، وأتى فيها بأمره وقضائه؛ وهو: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ الآية(٢).

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى﴾ قالت اليهود: لن يدخل الجنَّة إلا من كان يَهُودِيًا، وقالت النَّصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا، قال اللَّه - تعالى -: ﴿قل هاتوا...﴾ قال الحسن: يعني: حجتكم ثم كذَّبهم، وأخبر تعالى أن الجنة إنما هي للمؤمنين؛ فقال: ﴿بلى من أسلم وجهه للَّه﴾ أي: أخلص دينه لِلَّه ﴿وهو محسنٌ﴾ [فله أجره ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا](٣) الآية.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ

---

(١) طمس في الأصل، وأُثبت من «ر».
(٢) التوبة: ٢٩ .
(٣) سقط من الأصل، وأُثبت من «ر».

يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيءٍ وقالت النصارى ليست اليهود على شيءٍ وهم يتلون الكتاب﴾ يعني: التوراة والإنجيل؛ أي: فكيف اختلفوا وتفرقوا [في الكتاب][1]، والكتاب واحِدٌ جاء من عند الله يصدِّقُ بعضُه بعضًا.

﴿كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ .

قال محمد: يعني من كذب من الأمم: أمة نوح وعاد وثمود وغيرهم؛ أي: إن هؤلاء أيضًا قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا؛ فيما ذكر ابن عباس .

﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

قال يحيى: فيكون حكمه فيهم أن يكذبهم جميعًا، ويدخلهم النار.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله . . .﴾ الآية تفسير الكلبي: أن الروم غزوا بني إسرائيل، فحاربوهم[2] فظهروا عليهم، فقتلوا مقاتلتهم، وسَبَوْا ذَراريهم، وأحرقوا التَّوْراة، وهدموا بيت المقدس، وألقوا فيه الجِيَفَ

---

(١) سقط من الأصل، وأُثبت من «ر».

(٢) في «ر»: فحاصروهم.

فلم يُعْمَرْ؛ حتى بناه أهل الإسلام؛ فلم يدخله رومي بَعْدُ إلا خائفًا ﴿لهم في الدنيا خِزْيٌ﴾ وهو: فتح مدينتهم روميّة[١]، وقتل مُقَاتلتهم، وسبي ذراريهم ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ولِلَّه المشرق والمغرب﴾.

قال محمد: المعنى هو: خالقهما ﴿فأينما تولوا فثم وجه اللَّه﴾ قال بعضهم: يعني: فَثَمَّ[٢] قبلةُ اللَّه.

يحيى: عن أشعث، عن عاصم بن عُبيد اللَّه العمري، عن عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة، عن أبيه «أن رسول اللَّه ﷺ [كان][٣] في سفر فنزلوا منزلًا في ليلةٍ ظلماء، فجعل أحدهم يجمع الحَصْبَاء[٤]، فيجعلها مسجدًا فيصلي، فلما أصبحوا؛ إذا هم لغير القبلة، فأنزل اللَّه - عز وجل - ﴿ولِلَّه المشرق والمغرب . . .﴾ الآية»[٥].

---

(١) وهي مدنية.

(٢) ظرف مكان بمعنى هناك. اللسان، القاموس المحيط (ثمم).

(٣) في الأصل: كانوا. والمثبت من «ر».

(٤) الحصباء: صغار الحجارة. اللسان والقاموس (حصب).

(٥) رواه أبو داود الطيالسي (١٥٦رقم ١١٤٥) وعبد بن حميد (١٣٠ رقم ٣١٦) والترمذي (٢/ ١٧٦ رقم٣٤٥، ٥/ ١٨٨رقم ٢٩٥٧) وابن ماجه (١/ ٣٢٦ رقم ١٠٢٠) والطبري في تفسيره (١/ ٥٠٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢١١ رقم ١١٢٠) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٣١) والدارقطني في سننه (١/ ٢٧٢ رقم ٥- ٧) والبيهقي في سننه (٢/ ١١) وغيرهم من طريق أشعث - وهو أبو الربيع السمان - به.

وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يُضعف في الحديث.

وقال العقيلي: وأما حديث عامر بن ربيعة فليس يُروى من وجه يثبت متنه.

وقال ابن كثير (١/ ١٥٨) بعد أن نقل كلام الترمذي: وشيخه عاصم أيضًا ضعيف، قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن معين: ضعيف لا يُحتج به. وقال ابن حبان: متروك. واللَّه أعلم.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ اللَّه ولدًا سبحانه﴾ ينزِّه نَفْسَهُ عما يقولون ﴿بل له ما في السمٰوات والأرض كلٌّ له قانتون﴾ قال الحسن: كلٌّ له قائم بالشهادة، [بأنه عبدٌ للَّه][1] ﴿بديع السمٰوات والأرض﴾ أي: ابتدعهما بغير مثالٍ ﴿وإذا قضى أمْرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

قال محمد: قوله ﴿كن فيكون﴾ المعنى: فهو يكون.

﴿وقال الذين لا يعلمون﴾ وهم مشركو العرب ﴿لولا﴾ هلَّا ﴿يكلمنا اللَّه أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ يعني: قول قوم موسى لموسى عليه السلام ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[2] وما سألوا من الآيات ﴿تشابهت قلوبهم﴾ في الكفر مثل قوله: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾[3] ﴿قد بيَّنا الآيات لقوم يوقنون﴾ يصدِّقون.

قال محمد: يعني الآيات التي أتي بها صلواتُ اللَّه عليه في نحو انشقاق القمر[4]؛ وغير ذلك من آياته.

---

(١) في الأصل: وأنه غيب.

(٢) النساء: ١٥٣.

(٣) التوبة: ٣٠.

(٤) انشقاق القمر ثابت في القرآن في قول اللَّه تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١] وهو متواتر في السنة المطهرة. انظر فتح الباري (٦/ ٦٧٣ - ٦٧٤).

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ (١١٩) وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾

قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا﴾ بشيرًا بالجنَّة، ونذيرًا من النار ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ من قرأها «تَسْأَل»[(١)] بفتح التاء تفسيره لا تسأل عن حالهم؛ فإن النبيَّ ﷺ سأل عن [أبيه][(٢)] فأنزل اللَّه - عز وجل - ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ وتُقْرأ على وجه آخر ﴿ولا تُسْأل[(٣)] عن أصحاب الجحيم﴾ أي: لا تُسْأَلُ عنهم إذا أقمت عليهم الحجة (ل١٨) قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى﴾ يعني بذلك العامَّة منهم ﴿حتى تتبع ملَّتهم﴾ .

﴿قل إن هدى اللَّه هو الهدى﴾؛ يعني: الإسلام الذي أنت عليه.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من اللَّه من ولي

(١) وهي قراءة نافع ويعقوب، ورويت عن ابن عباس وأبي جعفر الباقر. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٦)، التيسير (٧٦)، الحجة (٨٧)، السبعة (١٦٩).

(٢) في الأصل: أمه. والمثبت من «ر».
وروى عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٥٩) والطبري في تفسيره (١/ ٥١٥ - ٥١٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢١٧ رقم ١١٥١) وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي قال: «كان النبي ﷺ يسأل عن أبيه فأنزل اللَّه - عز وجل - ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾» واللفظ لابن أبي حاتم.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٧): لوكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وقال: قلت: هذا مرسل ضعيف الإسناد.
ورواه الطبري في تفسيره (١/ ٥١٦) عن داود بن أبي عاصم نحوه. قال السيوطي: معضل الإسناد ضعيف، لا يقوم به ولا بالذي قبله حجة.

(٣) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٦)، التيسير (٧٦)، الحجة (٨٧).

ولا نصير﴾ [يثبته][١] بذلك؛ وقد علم جَلَّ جلاله أنه لا يتبع أهواءهم .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ قال قتادة: هم أصحاب نبي اللَّه آمنوا بكتاب اللَّه، وأحلوا حلاله، واجتنبوا حرامه، وعملوا بما فيه.

قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ يعني: عالَم أهل زمانهم ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئًا﴾ أي: لا تُغْني ﴿ولا يقبل منها عدلٌ﴾ أي: فداء ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾ أي: إن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين ﴿ولا هم ينصرون﴾ يعني: يمنعون من العذاب.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وإذ ابتلى﴾ اختبر ﴿إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ عمل بهن؛ تفسير ابن عباس هي: المناسك.

﴿قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾ قال الكلبي: يعني: يُهْتَدَى بهديك

---

(١) في الأصل: يشبه.

وسُنَّتك، فأعجبَ ذلك إبراهيم ﴿قال ومن ذُريتي﴾ أي: ومن كان من ذُرِّيتي فليكن إمامًا [لغير][١] ذريتي قال اللَّه ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ من ذرِّيتك؛ أي: أن أجعلهم أئمة يُقْتَدى بهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس﴾ قال الحسن: يعني: يَثُوبون إليه كل عام.

قال محمد: قوله ﴿مثابة﴾ أي: معادًا؛ تقول: ثُبْتُ إلى كذا [وأثبت إلى كذا][٢]؛ أي: عُدْتُ إليه، وثاب إليه جِسْمُهُ بعد العلة؛ أي عاد.

قوله تعالى: ﴿وأمنًا﴾ قال الحسن: كان ذلك في الجاهلية؛ كان الرجل إذا جَرَّ جريرةً، ثم لجأ إلى الحرم لم يُطْلَبْ، ولم يُتَنَاوَلْ[٣] فأما في الإسلام فإن الحرم لا يمنع من حَدٍّ يجب عليه ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ يعني: موطئ قِدميه.

يحيى: عن حماد، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك؛ أن عمر بن الخطاب قال: «يا رسول اللَّه؛ لو صلينا خلف المقام. فأنزل اللَّه: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾»[٤].

قال محمد: قراءة يحيى: ﴿واتخِذوا﴾ بكسر الخاء، وقرأ بعض القُرَّاء: ﴿واتَّخَذوا﴾ بفتح الخاء[٥]؛ ومعناها: أن الناس اتخذوا هذا.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) سقط من الأصل.
(٣) أي: لم يُقَمْ عليه الحدُّ.
(٤) رواه الترمذي (٥/ ١٨٩- ١٩٠ رقم ٢٩٥٩) من طريق حماد بن سلمة به. وقال: هذا حديث حسن صحيح.
ورواه البخاري (١/ ٦٠١ رقم ٤٠٢) من طريق حميد به.
(٥) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء، وقرأ الباقون بكسرها.
ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٧)، السبعة (١٦٩)، النشر (٢/ ٢٢٢)، البحر (١/ ٣٨٤).

يحيى: عن حماد، عن الحجاج بن أرطأة، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن أُبَيّ بن كعب قال: «المقام جاء به (مَلَكٌ)[1] فوضعه تحت قدم إبراهيم».

يحيى: عن حماد، وحدثني الحجاج، عن مولًى لبني هاشم، عن ابن عباس قال: «الحجر والمقام ياقُوتَتَان من ياقوت الجنَّة».

قوله تعالى: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهِّرا بيتي﴾ قال قتادة: أي: من عبادة الأوثان، وقول الزور والمعاصي.

﴿للطائفين والعاكفين﴾ تفسير ابن عباس: الطائفون: الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون: القُعُود حوله ينظرون إليه ﴿والركع السجود﴾ الذين يصلون إليه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجْعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات﴾ قال الكلبي: يحمل [إليه][2] من الآفاقِ.

قوله تعالى: ﴿من آمن منهم بالله واليوم الآخر . . .﴾ الآية قال الحسن: لما قال إبراهيم: ﴿رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ قال الله تعالى: إني مُجيبك، وأجعله بلدًا آمنًا لمن

---

(١) في «ر»: ملك الموت. والأثر رواه الفاكهي في أخبار مكة (١/٤٤١ رقم ٩٦٤) من طريق حماد بن سلمة به بلفظ: «إن جبريل عليه السلام جاء بالمقام حتى وضعه تحت رجل إبراهيم عليه السلام».

(٢) في الأصل: إليها.

﴿آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر﴾ يوم القيامة ﴿ومن كفر﴾ فإني أمتعه ﴿قليلًا﴾ وأرزقه من الثمراتِ، وأجعله آمنًا في البلد؛ وذلك إلى قليل؛ يعني إلى خروج محمد وذلك أن الله - عز وجل - كرم محمدًا أن يخرجهم من الحرم؛ وهو المسجد الحرام.

قال: ﴿ثم أضطره﴾ عند الموت ﴿إلى عذاب النار وبئس المصير﴾.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ يعني: بنيانه.

قال محمد: قواعد البيت: أساسُهُ؛ واحدها: قاعدة وأما قواعد [النساء(١) فواحدها: قاعد، وهي العجوز](٢).

(ل١٩) قوله تعالى: ﴿ومن ذريتنا أمةً﴾ يعني: جماعة ﴿مسلمةً لك﴾ ففعل الله ذلك.

﴿وأرنا مناسكنا﴾ أي: عَلِّمنا. قال قتادة: المناسكُ: الطواف بالبيت، والسَّعْي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والإفاضة منها، والوقوف

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا...﴾ الآية [النور: ٦٠].
(٢) بياض في الأصل، والمثبت من «ر».

بجمع، والإفاضة منها، ورمي الجمار.

قال الحسن: إن جبريل أرى رسولَ اللَّه ﷺ المناسك كلها، ولكنه أَصْلٌ عن إبراهيم عليه السلام ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ يعني: في ذريته ﴿رسولًا منهم﴾ فاستجاب اللَّه له، فبعث محمدًا عليه السلام في ذرية إبراهيم يعرفون وَجْهَهُ[1] ونَسَبَهُ.

﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾ قال قتادة: الكتاب: القرآن، والحكمة: السُّنَّة ﴿ويزكيهم﴾ قال بعضهم يعني: يأخذ صدقاتهم؛ وهي الطهارة ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ العزيز في نقمته، الحكيم في أمره.

قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ أي: عجز رأيه عن النَّظر لنفسه، فَضَلَّ.

قال محمد: وقيل: المعنى: إلا من سفهت نفسُه؛ أي: جهلت.

قوله تعالى: ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا﴾ أي: اخترناه ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ وهم أهل الجنة .

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

---

(١) أي: حقيقته.

﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ أخلص.

قوله تعالى: ﴿وأوصى[١] بها إبراهيم بنيه﴾ يعني: كلمة التوحيد ﴿ويعقوب﴾ أي: وأوصى بها أيضًا يعقوب بنيه بعد إبراهيم قال: ﴿يا بني إن اللَّه اصطفى لكم الدين﴾ أي: اختار لكم الإسلام ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾ أي: لم تكونوا يومئذٍ حضورًا؛ خاطب بهذا من كان حَوْلَ النبيِّ عليه السلام من بني إسرائيل ﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون﴾ أيَّ شيءٍ تعبدون ﴿من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ وكان (الحسن)[٢] يقرؤها: «نعبد إلهك وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل»[٣] أي: وإله إسماعيل وإسحاق.

قال محمد: من قرأ بهذا فإنه كره أن يجعل العَمَّ أبًا.

قوله تعالى: ﴿إلهًا واحدًا﴾ قال محمدٌ: نصب ﴿إلهًا واحدًا﴾ على معنى: نعبد إلهَكَ في حال وحدانيته ﴿تلك أمَّةٌ قد خلت﴾ يعني: جماعة قد مَضَتْ ﴿ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ أي: إنكم إنما تسألون عن أعمالكم.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا﴾ قالت اليهود: كونوا يهودًا تهتدوا

---

(١) قرأ المدنيان وابن عامر ﴿وأَوصَى﴾ وقرأ الباقون ﴿ووصَّى﴾. النشر (٢/ ٢٢٢- ٢٢٣) وإتحاف الفضلاء (١٩٣)

(٢) في «ر»: بعضهم.

(٣) ورويت أيضًا عن ابن عباس، وابن يعمر، وأبي رجاء، وعاصم الجحدري.
ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٨)، الإعراب للنحاس (١/ ٢١٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٨٢)، البحر (١/ ٤٠٢).

وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا؛ قال عز وجل: قل يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾ أي: بل نكون على ملّة إبراهيم ﴿حنيفًا﴾ قال الحسن: الحنيفُ: المخلصُ.

قال محمدٌ: ومعنى الحنف في اللغة: الميل؛ يقال: رَجُلٌ حَنِفٌ [ورجل حنيف][1]؛ ورَجُلٌ أحنفُ[2]، وهو الذي تميل قدماه كل واحدةٍ منهما إلى أختها بأصابعها[3]؛ فالمعنى: إن إبراهيم (حَنَفَ)[4] إلى دين اللَّه.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

وقال الحسن: ثم أمر اللَّه المؤمنين أن يقولوا: ﴿آمنا باللَّه وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ يعني: يوسف وإخوته ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ قال محمد: المعنى: فإن (أتوا)[5] بتصديقٍ مثل تصديقكم في إيمانكم بكل ما أتت به الأنبياء - فقد

---

(١) سقط من الأصل، وأُثبت من «ر».

(٢) ويقال منها: رِجْلٌ أو يَدٌ حَنْفَاء.

(٣) وقيل: الحَنَفُ: الاعوجاج في الرِّجْل عمومًا.
وقيل: هو المشي على ظهر القدمين من شق الخنصر.
وقيل: هو الميل في صَدْر القَدَم.
ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حنف).

(٤) في «ر»: حنيف.

(٥) في «ر»: أمنوا.

اهتدوا. قال: ﴿وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾ قال الحسن: يعني: في تَعَادٍ[١] إلى يوم القيامة.

﴿صبغة اللَّه﴾ أي: دين اللَّه ﴿ومن أحسن من اللَّه صبغة﴾ دينًا.

قال محمدٌ: يجوز أن تكون ﴿صبغة اللَّه﴾ منصوبةً على معنى: بل تكون أهل صبغة اللَّه[٢].

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿قل أتحاجوننا في اللَّه وهو ربنا وربكم ...﴾ الآية.

قال محمدٌ: قيل: إن تأويل هذه الآية: أن اللَّه - عز وجل - أمر المسلمين أن يقولوا لليهود الذين ظاهروا من لا يوحد [اللَّه من النصارى وعبدة الأوثان، ويحتجوا عليهم بأنكم تزعمون أنكم توحدون [اللَّه وحده ونحن نوحد اللَّه، فلم ظاهرتم من لا يوحد اللَّه؟][٣] ﴿وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾.

(ل٢٠) ثم أعلموهم أنكم مخلصون دون من خالفكم.

---

(١) تُقرأ «بعاد» «وتعاد»، وكلاهما يحتمله المعنى.

(٢) وقيل: منصوبة على التمييز. ينظر: مجمع البيان (١/ ٢١٩)، البيان (١/ ١٢٦).

(٣) مطموس في الأصل، وأثبت من «ر».

قوله تعالى: ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم اللَّه﴾ قال الحسن: يعني بذلك علماءهم؛ لأنهم كتموا محمدًا عليه السلام ودينه؛ وفي دينه أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين، ولم يكونوا مشركين.

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من اللَّه﴾ أي: لا أحد أظلم منه.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ وهم مشركو العرب في تفسير الحسن ﴿ما ولَّاهم﴾ أي: ما حوَّلهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ هي بيت المقدس؛ نزلت هذه الآية بعد ما صرف النبي عليه السلام إلى الكعبة؛ فهي قَبْلها في التأليف، وهي بعدها في التنزيل؛ وذلك أن رسول اللَّه ﷺ لما حوَّله اللَّه - عز وجل - إلى الكعبة من بيت المقدس، قال المشركون: يا محمد، رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها؟ وأيضًا واللَّهِ لترجعَنَّ إلى دينهم؛ فأنزل اللَّه: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . . .﴾ الآية.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا﴾ أي: عدلًا؛ يعني: أمَّة محمد ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة بأن الرسل قد بَلَّغَتْ قومها عن ربِّها ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾ أنه قد بلغ رسالة ربه إلى أمته؛ وهذا تفسير قتادة.

قال محمد: وأنشد بعضهم:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنَامُ بحكمهم إذا نَزَلَتْ إحْدَى الليالي بمُعْظَمِ[١]

يعني: بوسط: عدلًا خيارًا[٢].

قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ يعني: بيت المقدس ﴿إلا لنعلم﴾ يعني: عِلْمَ الفعال ﴿من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى اللَّه﴾ يعني: صرف القبلة، قال قتادة: «كانت القبلة فيها بلاء وتمحيصٌ، صلَّى رسول اللَّه ﷺ مدة إقامته بمكَّة إلى بيت المقدس، وصلَّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي عليه السلام إلى المدينة، وصلى النبي ﷺ بعد قدومه المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا، ثم وجَّهه اللَّه - عز وجل - بعد ذلك إلى الكعبة؛ فقال قائلون: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ لقد اشتاق الرجل إلى مولده»[٣].

قوله تعالى: ﴿وما كان اللَّه ليضيع إيمانكم﴾ يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، قال قتادة: لمَّا صُرِفت القبلة قال قومٌ: كيف بأعمالنا التي كنا

---

(١) البيت من بحر الطويل، وقد نسبه صاحب الدر المصون إلى زهير بن أبي سلمى؛ وهو ليس في ديوانه ينظر: الطبرى (٣/ ١٤٢)، القرطبي (٢/ ١٠٤)، البحر المحيط (١/ ٤١٨)، الدر المصون (١/ ٢٩٣).

(٢) ينظر: اللسان، القاموس المحيط، مختار الصحاح (وسط).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٥١) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.

نعمل؟ فأنزل اللَّه: ﴿وما كان اللَّه ليضيع إيمانكم﴾ وقد يبتلي اللَّه - تعالى - العباد بما شاء من أمره، الأمر بعد الأمر؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه؛ وكل ذلك مقبولٌ؛ إذا كان في إيمانٍ باللَّه، وإخلاصٍ له، وتسليمٍ لقضائه.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلُّب وجهك في السماء﴾ تفسير الكلبي: «أن رسول اللَّه ﷺ قال لجبريل: وددتُ أن اللَّه صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها. فقال جبريل: إنما أنا عبدٌ مثلكُ، فادع اللَّه وسَلْهُ ثم ارتفع جبريل، فجعل رسول اللَّه ﷺ يُدِيم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل اللَّه؛ فأنزل اللَّه عليه: ﴿قد نرى تقلُّب وجهك في السماء﴾»[1]، ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ أي: تحبها ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ يعني: تلقاءه.

قال محمد: وأنشد بعضهم:

أقولُ لأمِّ زِنْبَاعٍ أقيمي ... صُدُورَ العِيسِ شَطْرَ بني تَمِيمِ[2]

يعني: تلقاء بني تميم.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٩) لأبي داود في ناسخه عن أبي العالية مرسلًا.

(٢) البيت من بحر الوافر، وهو لأبي زنباع الجذامي. ينظر اللسان (شطر) القرطبي (٢/ ١٠٨)، البحر المحيط (١/ ٤١٨).

قوله تعالى: ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آيةٍ ما تبعوا قبلتك﴾ قال محمد: يعني [الآيات التي أتى][١] الأنبياء؛ مثل الناقة والعصا [وغير ذلك؛ إن أهل الكتاب قد علموا أن ما أتى به النبي][١] (ل٢١) ﷺ حق [وأن صفته التي جاء بها في كتبهم وهم][١] يجحدون العلم بذلك؛ فلا تغني الآيات عند من يجحد ما يعرف.

﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين﴾ هذا الخطاب للنبي عليه السلام ولسائر أمته.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ قال الكلبي: لما قدم رسولُ اللَّه ﷺ المدينة، قال ابن الخطَّاب لعبد اللَّه بن سلام [إن اللَّه - تعالى - أنزل على نبيه أن أهل الكتاب ﴿يعرفونه كما][١] يعرفون أبناءهم﴾ كيف هذه المعرفة يا ابن سلام قال: نعرف نبي اللَّه بالنعت الذي نَعَتَهُ [اللَّه به][١] إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه؛ إذا رآه مع [الغلمان][٢]؛ والذي يحلف به عبد اللَّه بن سلام لأنا بمحمَّد أشدُّ معرفة مني لابني. فقال له عمر: وكيف ذلك؟ قال عَرَفْتُه بما نعته اللَّه لنا في كتابه، وأما ابني [فلا أدري][٣] ما أحدثته أمه. فقال له عمر: وفَّقك اللَّه، فقد أصبتَ وصدقتَ.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) في الأصل: الغرباء.
(٣) في الأصل: فلا أراني.

﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ يعني: الشاكين؛ أنك رسول اللَّه، ويعرفون الإسلام ﴿ولكلٍّ﴾ يعني: كل ذي مِلَّة ﴿وجهة﴾ يعني: قبلة ﴿هو موليها﴾ أي: مستقبلها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ قال قتادة: يعني: لا تُفْتَنُنَّ في قبلتكم.

قال محمد: وقيل: المعنى: فبادروا إلى ما أمرتكم به من أمر القبلة؛ وهو نحو قول قتادة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿ومن حيث خرجت﴾ يعني: من مكة ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك﴾ يعني: أن القبلة: الكعبة ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ أي: تلقاءه ونحوه.

﴿لئلا يكون للناس عليكم حُجَّةٌ﴾ تفسير الحسن: أخبره اللَّه - تعالى - أنه لا يحوّله عن الكعبة إلى غيرها أبدًا فيحتج عليه بذلك محتجُّون؛ كما احتج عليه مشركو العرب في قولهم: رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال الحسن: لا يحتجُّ بمثل تلك الحجة، إلا الذين ظلموا: ﴿فلا تخشوهم﴾ في أمري، يعني: امضوا على ما آمُركم به ﴿واخشوني﴾ في تركه .

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

﴿كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم﴾ يطهركم من الشرك ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ الكتاب: القرآن، والحكمة: السُّنة؛ يقول كما فعلت ذلك بكم ﴿فاذكروني﴾ بطاعتي ﴿أذكركم﴾ برحمتي.

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾ قد مضى تفسيره(١) ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل اللَّه أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون﴾ كيف الحياة التي هي حياة الشهداء.

قال محمد: ﴿أمواتٌ﴾ مرفوع على معنى: هم أمواتٌ، وكذلك ﴿بل أحياء﴾ المعنى: بل هم أحياء(٢).

يحيى: عن المُعَلَّى، عن عبد الرحمن بن ثروان(٣)، عن هذيل، عن عبد اللَّه ابن مسعود قال: «أرواح الشهداء في حواصل طير خُضْرٍ ترعى في الجنة؛ حيث شاءت، ثم تأوي إلى قَناديلَ معلَّقةٍ بالعرش»(٤).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ

---

(١) ينظر تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: البحر المحيط (١/ ٤٤٦) الدر المصون (١/ ٤١٢).

(٣) في «ر»: مروان. وعبد الرحمن بن ثروان أبو قيس الأودي ترجمته في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٢٠ - ٢٢).

(٤) رواه مسلم (٣/ ١٥٠٢ - ١٥٠٣ رقم ١٨٨٧) والترمذي (٥/ ٢١٥ - ٢١٦ رقم ٣٠١١) وابن ماجه (٢/ ٩٣٦ - ٩٣٧ رقم ٢٨٠١) من طريق مسروق عن ابن مسعود في سياق الظاهر أنه مرفوع، واللَّه أعلم.

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف﴾ يعني: [القتال][١]؛ في تفسير السدي.

﴿والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات﴾ يعني بنقص الأنفس: الموت ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا للَّه وإنا إليه راجعون﴾.

قال محمد: قوله: ﴿بشيءٍ﴾، ولم يقل: بأشياء - هو من الاختصار؛ المعنى: بشيءٍ من الخوف، وشيءٍ من الجوع، وشيءٍ من نقص الأموال.

وقوله: ﴿إنا للَّه﴾ أي: نحن وأموالنا لِلَّه، ونحن عبيده يصْنع بنا ما يشاء؛ يعني: ذلك صلاحٌ لنا وخير، ومعني ﴿ وإنا إليه راجعون﴾ أي: نحن مقرون [بأننا نبعث][٢] ونُعطى الثواب على تصديقنا، والصبر على ما ابتلانا به.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عبد اللَّه بن أبي خليفة قال: «كان عمر يمشي فانقطع شِسْع[٣] نعله فاسترجع[٤] فقال له رجلٌ: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: انقطع شِسْعُ نعلي فساءني ذلك، وكل ما ساءك فهو مصيبه».

يحيى: عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى والعين لا يملكها (ل٢٢) أحد صبابة المرء إلى أخيه»[٥].

---

(١) في الأصل: القتل.

(٢) بياض في «ر» والمثبت أقرب إلى القراءة والمعنى.

(٣) شِسْع النعل: هو السَّير الذي يمسك النعل بأصابع القدم. ينظر اللسان: (شسع).

(٤) أي: قال: إنا للَّه وإنا إليه راجعون.

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٥١ رقم ٦٦٦٧) عن معمر عن أيوب قال سمعت الحسن به.

=

﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾ [يعني مغفرة][1] ﴿ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ يعني: الموفقين.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إن الصفا والمروة من شعائر اللَّه﴾ .

قال محمد: الشعائر واحدها: شعيرة؛ وهي كل شيء جعله اللَّه عَلَمًا من أعلام الطاعة .

﴿ فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه﴾ أي: لا إثم عليه ﴿أن يطوَّف بهما﴾ يعني: أن يتطوف.

يحيى: عن حماد، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: «كان إساف

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٦٥) لعبد بن حميد في تفسيره أيضًا.
وعزاه في الجامع الصغير لسعيد بن منصور في سننه، ضعيف الجامع (٣٥٣٤).
ورواه وكيع في الزهد (٢/ ٤٥٨ رقم ٢٠٤) عن الحسن مختصرًا.
وروى البخاري (٣/ ٢٠٥ رقم ١٣٠٢) ومسلم (٢/ ٦٣٧ - ٦٣٨ رقم ٦٢٦) عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى».

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر»

على الصفا، ونائلة على المروة؛ وهما صنمان؛ فلما جاء الإسلام، كرهوا أن يطوفوا بهما من أجلهما، فأنزل اللَّه: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر اللَّه . . .﴾ الآية»[١].

﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ وهم أصحاب الكتاب؛ كتموا محمدًا ﷺ والإسلام ﴿أولئك يلعنهم اللَّه ويلعنهم اللاعنون﴾ تفسير الكلبي[٢]: عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: إن الكافر إذا حُمل على سريره، قال روحُه وجسدُهُ: ويلكم أين تذهبون بي، فإذا وضع في قبره ورجع عنه أصحابه، أتاه منكر ونكير؛ أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف يخدَّان[٣] الأرض بأنيابهما، ويطآن في أشعارهما، فيجلسانه، ثم يقولان له: من ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دَرَيْتَ. ثم يقولان له: ما دِينُكَ؟ فيقول: لا أدري فيقال له: لا دريت. ثم يقولان له: من نبيُّك؟ فيقول: لا أدري فيقال له: لا دريت؛ هكذا كنت في الدنيا، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة، فينظر إليها، فيقال له: هذه الجنَّةُ؛ التي لو كنت آمنت باللَّه، وصدقت رسوله - صرت إليها؛ لن تراها أبدًا. ثم يفتح له بابٌ إلى النار؛ فيقال له: هذه النار التي أنت صائر[٤] إليها، ثم يضيق عليه

---

(١) رواه الطبري في تفسيره(٢/ ٤٦) من طريق داود به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٦٧): لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٢) محمد بن السائب الكلبي متهم، قال سفيان الثوري: قال لنا الكلبي: ما حدثتُ عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب، فلا ترووه. انظر ترجمة الكلبي في تهذيب الكمال (٢٥/ ٢٤٦ - ٢٥٣).

(٣) أي: يحفران. ينظر اللسان (خدد).

(٤) في «ر»: سائر.

قبره، ثم يضرب ضربةً بمرزبةٍ[١] من حديد لو أصابت جبلًا لارْفَضَّ[٢] ما أصابت منه. قال: فيصيحُ عند ذلك صيحةً يسمعها كل شيءٍ غير الثقلين فلا يسمعُها شيء إلا لَعَنَهُ، فهو قوله عز ذكره: ﴿أولئك يلعنهم اللَّه ويلعنهم اللاعنون﴾.

قوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيَّنوا﴾ أَمْرَ محمدٍ والإسلام.

﴿فأولئك أتوب عليهم . . .﴾ الآية.

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين﴾ يعني: المؤمنين خاصة؛ في تفسير قتادة ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: لا يؤخرون بالعذاب.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

(١) المرزبّة: هي المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة، ويقال فيها أيضًا: الإرزبة. وجمعها مرازب. ينظر: اللسان، المعجم الوسيط (رزب).

(٢) أي: تفرّق وتبدّد وزال. لسان العرب، المعجم الوسيط (رفض).

﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)﴾

﴿وما أنزل اللَّه من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أي: حين لم يكن فيها نبات فأنبتت ﴿وبثَّ فيها﴾ يعني: خلق ﴿وتصريف الرياح﴾ يعني: تلْوِينَها؛ في تفسير السُّدِّي ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون.

﴿ومن الناس من يتخذ من دون اللَّه أندادًا﴾ يعني: أعدالًا[1] يعدلونهم به؛ أي: يعبدونهم ﴿يحبونهم كحب اللَّه﴾ كحبِّ المؤمنين اللَّه ﴿والذين آمنوا أشدُّ حبًا للَّه﴾ من المشركين لأوثانهم ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ أي: أشركوا ﴿إذ يرون العذاب﴾ أي: [أنك][2] ستراهم إذا دخلوا النار؛ وهنالك يعلمون أن ﴿القوة﴾ القدرة ﴿للَّه جميعًا﴾ وإن كانوا عن قدرة اللَّه وعزته في الدنيا غافلين ﴿إذ تبرأ الذين اتُّبعوا﴾ قال قتادة: وهم الرؤساء في الشرك ﴿من الذين اتَّبَعُوا﴾ وهم الضعفاء؛ اتبعوهم على عبادة الأوثان ﴿ورأوا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه ﴿وتقطَّعت بهم الأسباب﴾ يعني: ما كانوا يتواصلون به في الدنيا ﴿كذلك يريهم اللَّه أعمالهم حسرات عليهم﴾ أي: ندامةً.

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا﴾ .

قال محمد: يعني: لا تأكلوا، ولا تنفقوا مما يحرمُ عليكم .

﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي: ما يأمركم به.

قال محمدٌ: خُطُوات جمع: خُطْوَة، والخُطْوَة بالضَّمِّ: (ل٢٣) ما بين

---

(١) واحدها: عِدْل، وهو النِّدُّ والشريك. اللسان (عدل).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

القَدَمَيْنِ[١]. والمعنى: لا تتبعوا سبيل الشيطان ومسلكه. والخَطْوة بفتح الخاء: الفَعْلة الواحدة[٢].

﴿إنه لكم عدوٌّ مبين﴾ يعني: بيِّن العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على اللَّه ما لا تعلمون﴾ أنه الحق.

﴿بل نتبع ما ألفينا﴾ أي: وجدنا ﴿عليه آباءنا أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾ [ولو كانوا مهتدين ما اتبعوهم][٣].

﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً﴾ تفسير الحسن: كمثل الراعي يصيح بالغنم فترفع رءوسها لا تدري ما يقول، ثم تضع رءوسها؛ فكذلك هم إذا دعوا إلى الهدى ﴿صمٌّ بكمٌ عميٌ﴾ صمٌّ عن الحق؛ فلا يسمعونه، بكمٌ عنه؛ فلا ينطقون به، عميٌّ عنه؛ فلا يبصرونه.

قال محمد: يقال: نَعَقَ يَنْعِقُ، ونَعِقَ يَنْعَقُ لغتان[٤].

---

(١) والخَطْوة - بالفتح -: مسافة ما بين القدمين أيضًا. ويقال: الخَطْوة بالفتح واحدة الخُطَا؛ أي: أنها اسم المرَّة منه. ينظر اللسان، مختار الصحاح، القاموس المحيط (خطو).

(٢) ينظر لسان العرب (خطو) الدر المصون (١/ ٤٣٤) وفيه تفصيل ذلك.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) يقال: نعِق يَنْعَقُ، ونَعَق يَنْعِق نَعْقًا ونعيقًا ونُعَاقًا؛ أي: صاح. ينظر اللسان (نعق).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣)﴾

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ يعني: الحلال ﴿إنما حرَّم عليكم الميتة. . .﴾إلى قوله: ﴿فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ﴾ تفسير مجاهد: غير باغ؛ أي: يبغي على الناس، ولا عادٍ؛ أي: قاطع سبيل، ولا مفارق الأئمة، ولا خارج في معصية اللَّه ﴿فلا إثم عليه﴾ أي: فله الرخصة في أن يأكل.

قال يحيى: يأكل حتى يشبع، ولا يتزوَّد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)﴾

﴿إن الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من الكتاب﴾ هم أهل الكتاب الذين حرَّفوا كتاب اللَّه ﴿ويشترون به ثمنًا قليلًا﴾ يعني: المأكُلة[1] التي كانت لهم ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ أي: سوف يأكلون به النار ﴿ولا يكلِّمهم اللَّه يوم القيامة﴾ أي: لا يكلمهم بما يحبون، وقد يكلمهم ويسألهم عن

(١) أي: المأدبة، وما يعدونه لهم من طعام وشراب. ينظر لسان العرب، المصباح المنير، القاموس المحيط، الوسيط (أكل).

أفعالهم[1] ﴿ولا يزكيهم﴾ أي: ولا يطهرهم من إثمهم ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجعٌ.

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة﴾ قال الحسن: يعني: اختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أي: فما أجْرأهم على العمل الذي يدخلهم النار ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ يعني: لفي فراقٍ بعيدٍ من الحق؛ وهم أهل الكتاب.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ تفسير قتادة: يقول: ليس البر أن تكونوا نصارى؛ فتصلوا إلى المشرق، ولا أن تكونوا يهودًا؛ فتصلوا إلى المغرب إلى بيت المقدس.

﴿ولكن البر من آمن بالله﴾.

قال محمد: يعني: ولكن البر برُّ من آمن بالله .

﴿وآتى المال على حبه﴾ قال ابنُ مسعود: تؤتيه وأنت صحيح شحيح؛ تأمل الحياة، وتخشى الفقر.

---

(١) في «ر»: أعمالهم.

﴿ذوي القربى﴾ هم القرابةُ ﴿وابن السبيل﴾ يعني: [الضيف][1] ﴿وفي الرقاب﴾ يعني: المكاتَبين ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ المفروضة ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ عليه من الحق ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ قال قتادة: البأساء: البؤس والفقر، والضراء: السقم والوجع ﴿وحين البأس﴾ يعني: مواطن القتال في الجهاد.

قال محمد: قوله تعالى: ﴿والموفون﴾ يجوز أن يكون مرفوعًا، على معنى: وهم الموفون، والنعت إذا طال جاز أن يرفع بعضه، وينصب بعضه في مذاهب النحويين[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى...﴾ الآية تفسير الحسن: كان أهل الجاهلية فيهم بَغْيٌ قد كان إذا قتل من الحي منهم مملوك قتله حيٌّ آخرون، قالوا: لا نقتل به إلا حرًّا، وإذا قتل من الحي منهم امرأة قتلها حيٌّ آخرون، قالوا: لا نقتل بها إلا رجلًا، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية، ونهاهم عن البغي، ثم أنزل الله بعد ذلك في المائدة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ

(١) في «ر»: الضعيف.
(٢) في رفع «الموفون» أقوال عديدة، تراجع مفصَّلة من البحر المحيط (٢/٧) ومعاني القرآن للأخفش (١٥٦) ومجمع البيان (١/ ٢٦٢) والدر المصون (١/ ٤٤٩).

أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[١] يعني: النفس التي قَتَلَتْ بالنفس التي قُتِلَتْ؛ وهذا [في الأحرار][٢].

قوله تعالى: ﴿فمن عُفِيَ له من أخيه شيءٌ فاتباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان﴾ تفسير قتادة: يقول: من قتل عمدًا (ل٢٤) فعفي عنه وقُبِلَتْ منه الدِّية ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ [أمر المتبِّع أن][٢] يتبع بالمعروف [وأمر المؤدِّي][٢] أن يؤدي بإحسان ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ قال قتادة: كان أهل التوراة أمروا [بالحدود][٣] وكان أهل الإنجيل أمروا بالعفو، وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والدية؛ إن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا عَفَوْا، وإن شاءوا أخذوا الدية؛ إذا تراضوا عليها.

﴿ورحمة﴾ أي: رحم الله بها هذه الأمة، وأطعمهم الدِّية؛ قال قتادة: ولم [تحل][٤] لأحد قبلهم في القتل عمدًا ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ يعني: على القاتل فقتله بعد ما قبل منه الدية ﴿فله عذابٌ أليم﴾ يعني: القاتل يقتله الوالي، ولا ينظر في ذلك إلى عفو الولي .

﴿ولكم في القصاص حياةٌ﴾ أي: بقاء؛ يخاف الرجل القصاص؛ وهي بذلك حياةٌ له ﴿يا أولي الألباب﴾ العقول، يعني: المؤمنين ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا القتل.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ

---

(١) المائدة: ٤٥ .
(٢) مطموس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) في الأصل: بالقود. والمراد بالقود: القصاص. لسان العرب (قود).
(٤) في «ر»: تُجعل.

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿كتب عليكم﴾ أي: فُرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت ...﴾ الآية. قال قتادة: الخير: المال، وأمر تبارك وتعالى في هذه الآية بالوصية للوالدين والأقربين، ثم نسخ ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدسُ﴾(١) وصارت الوصية لمن لا يرث من قريب أو بعيد.

قال محمد: وقوله عز وجل ﴿حقًّا على المتقين﴾ نصب «حقًّا»؛ على معنى: كان ذلك عليهم حقًّا(٢).

﴿فمن بدله بعد ما سمعه﴾ قال الحسن: هي الوصية؛ من بدَّلها بعد ما سمعها، فإنما إثمها على من بدَّلها.

﴿فمن خاف﴾ يعني: علم ﴿من مُوصٍ جنفًا أو إثمًا﴾ الجَنَفُ: أن يوصي بِجَوْرٍ؛ وهو لا يتعمَّد الجور، والإثم: أن يوصي بجور وهو يعلم ذلك ﴿فأصلح بَيْنَهُم﴾ يعني: بين الموصَى له والورثة ﴿فلا إثم عليه﴾.

قال محمد: الجَنَفُ في كلام العرب: الميل عن الحق؛ يقال منه: جَنِفَ يَجْنَفُ(٣).

---

(١) سورة النساء: ١١.

(٢) في «ر»: وذلك حقٌ عليهم حقًّا. وفي نصب «حقًّا» أقوالٌ أخر للنحاة؛ تجدها مفصَّلة في البحر المحيط (٢/ ٢١) وإعراب القرآن (١/ ٢٣٤) ومجمع البيان (١/ ٢٦٧).

(٣) يقال: جَنَفَ يَجْنِف، جُنُوفًا، وجَنِفَ يَجْنَفُ جَنَفًا بمعنًى. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (جنف).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ تفسير قتادة: هو شهر رمضان؛ وكانوا أُمروا أن يصوموا ثلاثة أيام من كل شهرٍ، ويصلوا ركعتين غدوةً، وركعتين عشية؛ فكان ذلك بدء الصيام والصلاة.

﴿أيامًا معدوداتٍ﴾ قال محمد: يجوز أن يكون نصب ﴿أيامًا معدوداتٍ﴾ على معنى: كتب عليكم أن تصوموا أيامًا معدوداتٍ[١].

﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيام أُخَر﴾ قال محمد: يريد: فعليه عدةٌ من أيام أُخَر، ويكمل عدة ما فاته[٢].

﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾[٣] تفسير ابن عباس: قال:

(١) وفي نصب «أيامًا» أقوال أخر للنحاة، تجدها مفصَّلة في البحر المحيط (٢/ ٣١) ومجمع البيان (١/ ٢٧١) وإعراب القرآن (١/ ٢٣٥).

(٢) وفي «ر»: وعليه مثل عدة ما فاته.

(٣) قراء الجماعة «فدية طعام مسكين» بتنوين «فدية» ورفع «طعام» وتوحيد «مسكين» وقرأ هشام=

رخص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة - وهما يطيقان الصوم - أن يفطرا؛ إن شاءا، ويطعما مكان كل يوم مسكينًا.

﴿فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ يعني: الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة؛ وهما يطيقان الصوم، ثم نسخ ذلك بقوله بعد هذا: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾ قال محمد: يجوز أن يكون ﴿شهر رمضان﴾ مرفوعًا على معنى: والأيام التي كُتِبَتْ عليكم شَهْرُ رمضان[1].

﴿يريد اللَّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ أي: إنما أراد اللَّه برُخْصة الإفطار في السّفر التيسير عليكم ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا اللَّه﴾ قال محمد: يعني: ولتعظموا اللَّه، كذلك جاء عن ابن عباس ﴿على ما هداكم﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ

= كذلك إلا أنه قرأ «مساكين» جمعًا. وقرأ نافع وابن ذكوان بإضافة «فدية» إلى «طعام مساكين» جمعًا. ينظر: الحجة (٢/ ٢٠٨ ، ٢٠٩) والبحر (٢/ ٣٧) والدر المصون (١/ ٤٦٣).

(١) وفي رفعه أقوال أخر للنحاة مفصّلة في إعراب القرآن (١/ ٢٣٨) ومجمع البيان (١/ ٢٧٥) والبحر (٢/ ٣٨ - ٣٩).

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾

﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ تفسير قتادة: قال: ذُكر لنا أنه لما أنزل اللَّه -تبارك وتعالى - ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] قال رجل: كيف ندعو يا رسول اللَّه؟ فأنزل اللَّه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾.

(ل٢٥) ﴿أُحِلَّ لكم ليلة الصيام﴾ إلى قوله ﴿وابتغوا ما كتب اللَّه لكم﴾ قال قتادة: الرفث: الغشيانُ .

﴿هن لباسٌ لكم﴾ أي: سكن لكم .

﴿علم اللَّه أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ قال قتادة: كان المسلمون في أول ما فرض عليهم الصيام؛ إذا رقدوا لم يحلَّ لهم النساء، ولا الطعام، ولا الشراب بعد رقادهم؛ فكان قومٌ يصيبون من ذلك بعد رقادهم، فكانت تلك خيانة القوم أنفسهم، فتاب عليهم بعد ذلك، وأحلَّ ذلك إلى طلوع الفجر، وقال: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب اللَّه لكم﴾ تفسير مجاهد: يعني: الولد يطلبه الرجل؛ فإن كان ممن كتب اللَّه له الولد، رزقه إياه.

قال محمد: وهذا أمر نَدْبٍ لا فرض.

﴿وكلوا واشربوا حتى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ [يعني: سواد الليل، وتبين هذا من هذا][2].

قال يحيى: الفجر فجران: فأما [الذي][3] كأنه ذَنَبُ السرحان؛ فإنه لا يُحل شيئًا ولا يحرمه، وأما المستطيل الذي يأخذ بالأفق فإنه يُحل الصلاة،

---

(١) غافر ٦٠ .
(٢) من «ر».
(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

ويوجب الصيام.

قال محمدٌ: وقوله: ﴿الخيط الأبيض﴾ يعني: بياض النهار ﴿من الخيط الأسود﴾ يعني: سواد الليل؛ ويتبين هذا من هذا عند طلوع الفجر الثاني.

وقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا﴾ هو أمر إباحَةٍ ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ تفسير السدي: كان الرجلُ يعتكفُ؛ فإذا خرج من مصلَّاه، فلقي امرأته غشيها[١]، فنهاهُمُ اللَّه عن ذلك؛ حتى يفرُغ من اعتكافه ﴿تلك حدود اللَّه فلا تقربوها﴾ أي: لا تقربوا ما نهاكم اللَّه عنه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ تفسير الحسن: هو الرجلُ يأكل مال الرجل ظُلْمًا، ويجحده إياه، ثم يأتي به إلى الحكَّام، والحكَّام إنما يحكمون بالظاهر؛ فإذا حكم له، استحلَّه بحكمه.

﴿لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ أنه ليس لكم بحقٍّ.

قال محمد: قوله تعالى: ﴿وتدلوا بها إلى الحكام﴾ يعني: الأموال، وأصل الكلمة في اللغة: من قولك: أدليت الدَّلوَ؛ إذا أرسلْتها، وتقول: أَدْلَى فلان بِحُجَّته؛ أي: أرسلها[٢].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) في «ر»: فيباشرها.

(٢) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، المصباح المنير (دلو).

تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

﴿يسألـونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ قال قتادة: ذكر لنا: أنهم سألوا نبي اللَّه ﷺ لِم خُلِقَتْ هذه الأهلة؟ فأنزل اللَّه هذه الآية؛ أي: هي مواقيت للناس؛ لصومهم وإفطارهم وحجِّهم وعدَّة نسائهم ومَحِلّ دَيْنهم(١).

قوله تعالى: ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرَّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ تفسير قتادة: قال: كان هذا الحي من الأنصار إذا أَهَلَّ(٢) أحدهم لم يدخل بيتًا ولا دارًا من بابه، إلا أن يتسوَّر حائطًا تسوُّرًا، وأسلموا وهم كلهم على ذلك؛ حتى نهاهم اللَّه.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

﴿وقاتلوا في سبيل اللَّه الذين يقاتلونكم﴾ وذلك قبل أن يُؤْمَرُوا بقتال المشركين كافَّة؛ فكانوا لا يقاتلون إلا من قاتلهم ﴿ولا تعتدوا﴾ يعني: في حربكم؛ فتقاتلوا من لم يقاتلوكم، ثم أمر بقتالهم في سورة براءة(٣).

---

(١) أي: وقت حُلول الدين.

(٢) أي: رفع صوته بالتلبية. لسان العرب، مختار الصحاح (هلل).

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة: ٥].

﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ أي: وجدتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ يعني: من مكة ﴿والفتنة أشدُّ من القتل﴾ الفتنةُ ها هنا: الشرك ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ أمر الله - جلّ ذكره - نبيه عليه السلام ألا يقاتلهم فيه حتى يبدءوا بقتالٍ؛ وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم كافَّة[(١)].

﴿فإن انتهوا﴾ يعني: عن قتالكم، ودخلوا في دينكم ﴿فإن الله غفورٌ رحيم﴾.

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي: شرك[(٢)] ﴿فإن انتهوا﴾ عن شركهم ﴿فلا عدوان﴾ أي: فلا سبيل ﴿إلا على الظالمين﴾ يعني: المشركين.

قال محمد: أصل العدوان: الظلم[(٣)]، (ل٢٦) ومعنى العدوان ها هنا: الجزاء [يقول][(٤)]: لا جزاء [ظلم][(٥)] إلا على الظالمين.

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ تفسير مجاهد: قال:

---

(١) يريد قوله عز وجل: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ [التوبة: ٩] وقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة: ٢٩].

(٢) في الأصل: أي: فيه.

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (عدو).

(٤) في الأصل: يقال. والمثبت من «ر».

(٥) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

كان المشركون صَدُّوا رسول اللّه ﷺ عن البيت عام الحديبية في ذي القعدة، [فحجزوا][١] عليه بذلك، فرجعه اللّه إلى البيت في ذي القعدة من قابل[٢]، واقتصَّ له منهم، فأقام فيه ثلاثة أيام.

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ يقول: إن استحلوا منكم القتال، فاستحلوه منهم ﴿وأنفقوا في سبيل اللّه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ تفسير الحسن: يقول: إن ترككم الإنفاق في سبيل اللّه إلقاءٌ منكم بأيديكم إلى ما يهلككم عند اللّه ﴿وأحسنوا إن اللّه يحب المحسنين﴾ قال قتادة: أمرهم أن ينفقوا في سبيل اللّه، وأن يحسنوا فيما رزقهم اللّه.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿وأتموا الحج والعمرة للّه﴾ تفسير قتادة: قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنما هي حجةٌ وعمرة؛ فمن قضاهما، فقد قضى الفريضة، أو قضى ما عليه؛ فما أصاب بعد ذلك، فهو تطوع».

قال يحيى: العَامَّةُ على أن الحج والعمرة فريضتان، إلا أنَّ سعيدًا

(١) في الأصل: فتحزَّبوا. والمثبت من «ر».
(٢) أي: من العام التالي.

(أخبرنا)[(١)] عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «الحج فريضة، والعمرة تطوع»[(٢)].

والقراءة على هذا التفسير: بنصب الحج، ورفع العمرة، ومَقْرَأَةُ العامة: بالنصب فيهما[(٣)].

قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم﴾ الإحصار: أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرضٍ أو عَدُوٍّ ﴿فما استيسر من الهدي﴾ قال ابن عباس: ما استيسر من الهدي شاةٌ ﴿ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ قال عطاء: كل هدي بلغ الحرم ثم عطب[(٤)] - فقد بلغ محله، إلا هَدْي المتعةِ والمُحْصَر.

قال محمد: المحلُّ: الموضع الذي يحِلُّ [فيه النحر][(٥)]؛ وهو من: حَلَّ يَحِلُّ؛ أي: وجَب يجِبُ.

﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه ففديةٌ من صيام أو صدقة أو نسك﴾.

يحيى: عن مجاهد، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عُجْرة «أن رسول اللَّه ﷺ مَرَّ به عام الحديبية وهو محرم ، وهو يُوقد تحت

---

(١) في «ر»: حدثنا.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٣٠٤ رقم ٣) عن ابن إدريس وأبي أسامة عن سعيد - وهو ابن أبي عروبة - به.
وعزاه السيوطي في الدر (١/ ٢١٨) لعبد بن حميد في تفسيره أيضًا

(٣) الجمهور على نصب «العمرة» على العطف على ما قبلها، وقرأ علي وابن مسعود وزيد بن ثابت برفعها على الابتداء. ينظر: البحر المحيط (٢/ ٧٤- ٧٥)، الدر المصون (١/ ٤٨٤).

(٤) أي: هلك. اللسان، القاموس المحيط (عطب).

(٥) في الأصل: به المحرم. والمثبت من «ر».

قِدْرٍ له، فنكس رأسه فإذا الهوامُ تجول في رأسه، فقال: أتؤذيك هوامُّ[١] رأسك يا كعب؟ قال: نعم. فسكت النبي عليه السلام، فنزلت هذه الآية، فقال له النبي ﷺ: احلقْه، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم فَرْقًا[٢] بين ستة، أو أَهْدِ شاةً»[٣].

قال يحيى: الفَرَقُ: ثلاثة آصُعٍ[٤]، صاعٌ بين اثنين.

﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ من أهلَّ بعمرة في أشهر الحج في شوال، أو في ذي القعدة، أو في ذي الحجة، ثم حجَّ من عامه ذلك - فهو متمتِّع عليه ما استيسر من الهدي، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام في الحج.

مالك[٥] بن أنس عن الزهري، عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر، عن أبيه قال: «من يوم يُهِلُّ إلى يوم عرفة؛ فإن فاته ذلك صام أيام منى»[٦].

قوله تعالى: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نافع، عن سليمان بن يسار؛ أن عمر بن الخطَّاب

---

(١) واحدها: هامَّة؛ وهي الدابة. والمراد ههنا: الحشرات التي توجد بالرأس. اللسان، المعجم الوسيط (همم).

(٢) الفَرْقُ: مكيال معروف بالمدينة؛ وهو ستة عشر رطلًا، وقد يحرك؛ أي: يقال: فَرَق، والجمع: فُرْقان. اللسان، مختار الصحاح (فرق).

(٣) رواه البخاري (٤/ ١٦ رقم ١٨١٤) ومسلم (٢/ ٨٥٩ - ٨٦١ رقم ١٢٠١) وغيرهما من طريق مجاهد عن عبد الرحمن به.

(٤) واحدها: صاع؛ وهو مكيال يسع أربعة أمداد، ويقال فيه: صاع، وصواع. والجمع: آصُع وأَصْوُع. ينظر اللسان ، مختار الصحاح (صوع).

(٥) الموطأ (١/ ٣٣٩ رقم ٢٥٥).

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٧٦) من طريق الزهري، وله طرق وألفاظ، انظر تفسير الطبري (٢/ ٢٤٧، ٢٤٩)والدر المنثور (١/ ٢٢٣).

قال: «صام إذا رجع إلى أهله».

وقال مجاهد: إن شاء صامها في الطريق.

﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ قال عطاء: من كان منها على رأس ليلةٍ، فهو من حاضري المسجد الحرام.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿الحج أشهر معلومات﴾ هي: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة ﴿فمن فرض﴾ أي: أوجب ﴿فيهن الحج﴾ على نفسه ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ قال ابن عباس: الرفثُ: الجماع، والفسوق: المعاصي، والجدال: أن يُمَارِي بعضهم بعضًا حتى يغضبوا.

يحيى: عن حماد، عن أبي الزبير، عن طاوس؛ أن ابن الزبير قال: «إياكم والنساء؛ فإن الإعراب[١] من الرفث، والإعراب أن [يعرب][٢] لها بالقول، يقول: لو كنا حلالًا [لفعلنا كذا][٢]. قال: [فأخبرت][٢] بذلك ابن عباس فقال: صدق ابن الزبير».

(ل٢٧) ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ هو كقوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾[٣].

---

(١) وفي ابن كثير عند تفسير هذه الآية (العرابة)؛ والمعنى: الإفصاح عما بالنفس من أمور النساء.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) آل عمران: ١١٥ .

﴿وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوى﴾ تفسير قتادة: قال: كان أُنَاسٌ من أهل اليمن يحجُّون ولا يتزَّودون، فأمرهم اللَّه بالزَّاد والنفقة في سبيل اللَّه، ثم أخبرهم أن خير الزاد التقوى.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)﴾

﴿ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلًا من ربكم﴾ يعني: التجارة في الحج ﴿فإذا أفضتم من عرفاتٍ﴾ قال قتادة: أفاض[١] رسولُ اللَّه ﷺ من عرفات بعد غروب الشمس.

وقال الحسن: إن جبريل أرى إبراهيم عليه السلام المناسك كلها؛ حتى إذا بلغ إلى عَرَفَاتٍ، قال: يا إبراهيم؛ أعرفت ما رأيت من المناسك؟ قال: نعم. ولذلك سميت عرفة.

﴿فاذكروا اللَّه عند المشعر الحرام﴾ قال قتادة: هي المزدلفة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر ابن عبد اللَّه: «أن رسول اللَّه ﷺ لما صلَّى الصبح، وقف بِجَمْعٍ[٢]، ثم أَفَاضَ»[٣].

قال قتادة: إنما سُمِّي جَمْعًا؛ لأنه يجمع فيه بين المغرب والعشاء[٤].

---

(١) أي: انصرف بعد انقضاء الموقف. لسان العرب (فيض).

(٢) جَمْعٌ هي المزدلفة. القاموس المحيط (جمع).

(٣) رواه مسلم (٢/ ٨٩١ رقم ١٢١٨) من طريق جعفر بن محمد في حديث طويل بمعناه.

(٤) وقيل: سميت جَمْعًا؛ لاجتماع الناس بها. مختار الصحاح (جمع).

﴿واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾.

تفسير الحسن: من الضالين في مناسككم وحجِّكم ودينكم كله.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ وهي الإفاضةُ من عرفة. قال قتادة: كانت قريش وكل ابن أخت لهم وحليف لا يقفون بعرفة، ويقولون: نحن أهل اللَّه فلا [نخرج][1] من حرمه ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ قال السُّدي: يعني: إذا فرغتم من مناسككم ﴿فاذكروا اللَّه كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا﴾ قال قتادة: كان أهلُ الجاهلية؛ إذا قضوا مناسكهم، ذكروا آباءَهم وفعل آبائهم؛ بذلك يخطُب خطيبُهم إذا خطب، وبه يحدث محدِّثهم إذا حدث، فأمرهم اللَّه - عز وجل - إذا قضوا مناسكهم أن يذكروه كذكرهم آباءهم، أو أشد ذكرًا؛ يعني بل[2] أشد ذكرًا.

﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ أي: من نصيب؛ وهم المشركون، ليس لهم همَّةٌ إلا الدنيا، لا يسألون اللَّه شيئًا إلا لها؛ وذلك أنهم لا يقرون بالآخرة ولا يؤمنون بها.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) أي: أن «أو» بمعنى «بل»، وفيها أقوال نحوية أخر. ينظر: مغني اللبيب (١/ ٧٥ - ٨٠).

﴿ومنهم من يقول﴾ وهم المؤمنون ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة . . .﴾ الآية قال الحسن: والحسنة في الدنيا طاعةُ اللّه، وفي الآخرة الأجر. وقال بعضهم: الحسنةُ في الدنيا كل ما كان من رخاء الدنيا، ومن ذلك الزوجةُ الصالحةُ ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ أي: ثواب ما عملوا وهي الجنة.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾

﴿واذكروا اللّه في أيام معدوداتٍ﴾ قال ابن عباس: هي أيام التشريق يُذْكَر اللّه فيها، ويُرْمَى فيها الجمار، وما مضت به السُّنة من التكبير في دُبُرِ الصلوات ﴿فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ تفسير قتادة: يعني: فمنِ تعجَّل في يومين من أيام التشريق فنفر[1]، فلا إثم عليه، ومن تأخَّر إلى اليوم [الثالث][2] فلا إثم عليه.

قوله تعالى: ﴿لمن اتقى﴾.

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن منصور، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من حج هذا البيت فلمْ يرفث، ولم يفسق؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[3].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ

---

(١) أي: دفع إلى مكة. المعجم الوسيط (نفر).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) رواه البخاري (٤/ ٢٥ رقم١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم (٢/ ٩٨٣ - ٩٨٤ رقم ١٣٥٠) من طريق منصور به.

وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ وهو المنافق الذي يقر بالإيمان في العلانية ﴿ويُشْهِدُ اللَّه على ما في قلبه﴾ من الكفر والجحود بما أقرَّ به في العلانية ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي: كاذبٌ في القول ﴿وإذا تولى﴾ أي: فارقك ﴿سعى في الأرض ليفسد فيها...﴾ الآية.

قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان شديد الخصام؛ فأما إهلاكه الحرث والنسل فيعني: قطع الرحم الذي [كان](1) بينه وبين ثقيف؛ فبيَّتَهُم(2) ليلًا فأهلك مواشيهم، وأحرق حرثهم؛ وكان حسن العلانية، سيِّئ السريرة.

﴿وإذا قيل له اتق اللَّه أخذته العزة بالإثم﴾ تفسير قتادة: إذا قيل له: اتق اللَّه؛ (ل٢٨) فإن هذا الذي تصنع لا يحقُّ لك، قال: إني لأزداد بهذا عند اللَّه قُرْبَةً.

قال اللَّه: ﴿فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ والمهاد والبساط والفراش واحدٌ(3).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ

---

(1) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(2) أي: أوقع بهم بَغْتَةً ليلًا. اللسان، القاموس المحيط (بيت).

(3) وقيل: بينها اختلاف وفي ذلك تفصيل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (مهد، بسط، فرش)، والدر المصون (١/ ٥٠٨).

إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ أي: يبيع نفسه بالجهاد ﴿ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد﴾ بالمؤمنين.

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافَّة﴾ يعني: في الإسلام جميعًا ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ يعني: أمره.

﴿فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات﴾ يعني بالزلل: الكفر ﴿فاعلموا أن الله عزيز﴾ في نقمته ﴿حكيم﴾ في أمره.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾

﴿هل ينظرون﴾ أي: ما ينظرون ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ يوم القيامة ﴿في ظلل من الغمام والملائكة﴾ أي: وتأتيهم الملائكة ﴿وقضي الأمر﴾ يعني: الموت.

﴿سَلْ بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ تفسير الحسن: يعني: ما نجَّاهم الله من آل فرعون، وظلَّل عليهم الغمام وغير ذلك، وآتيناهم بيناتٍ من الهدى، بيَّن لهم الهدى من الكفر ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾ يقول: بدَّلوا ذلك، واتخذوا اليهودية والنصرانية ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ أخبر أنه ستشتدُّ نقمته على اليهود والنصارى الذين بدَّلوا دين الله.

﴿زُيِّن للذين كفروا الحياةُ الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا﴾ في طلبهم

الآخرة ﴿والذين اتقوا﴾ وهم المؤمنون ﴿فوقهم يوم القيامة﴾أي: خير منهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال بعضهم: يعني: من غير أن يحاسب نفسه؛ لأن ما عند الله لا ينقص؛ كما ينقُصُ ما في أيدي الناس.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ تفسير قتادة: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون كلهم يعمل بطاعة الله على الهدى، وعلى شريعةٍ من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحًا عليه السلام فكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض.

﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بَغْيًا بينهم﴾ أي: حَسَدًا بينهم ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ أي: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ أي: سنن الذين مضوا من قبلكم.

قال محمد: المعنى: ولما يصبكم مثل الذي أصاب الذين خَلَوْا من قبلكم؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿مسَّتْهم البأساء والضراء﴾ البأساء: البؤس، والضرَّاء: المرض والجراح ﴿وزلزلوا﴾ أصابتهم الشدَّة ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر اللَّه﴾ قال محمد: من قرأ: «حتى يقولُ» بالرفع - فالمعنى: حتى قال الرسول، ومن نصب فعلى معنى: حتى يكون من قول الرسول[1].

قال اللَّه: ﴿ألا إنَّ نصر اللَّه قريب﴾ قال الحسن: وذلك أن اللَّه وعدهم النصر والظهور[2]، فاستبطئوا ذلك؛ لما وصل إليهم من الشدة، فأخبر اللَّه النبي عليه السلام والمؤمنين؛ بأن من مضى قبلكم من الأنبياء والمؤمنين؛ كان إذا بلغ البلاء منهم هذا، عجَّلت لهم نصري؛ فإذا ابتليتم أنتم بذلك أيضًا فأبشروا؛ فإن نصري قريب.

﴿يسألونك ماذا ينفقون . . .﴾ الآية. نزلت هذه الآية قبل أن تنزل آية الزكاة، ولم يكن ذلك يومئذٍ شيئًا موقَّتًا[3].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ

---

(١) قراءة النصب هي قراءة الجمهور، أما الرفع فانفرد به نافع وحده. ينظر: السبعة (١٨١ - ١٨٢) والتيسير (٨٠) والنشر (٢/ ٢٢٧) والبحر (٢/ ١٤٠).

(٢) في «ر»: الظفر.

(٣) أي: محددًا مبيَّنًا.

كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

﴿كُتِب عليكم القتال﴾ أي: فُرض عليكم ﴿وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شرٌّ لكم﴾ قال الكَلْبي: (ل٢٩) كان هذا حين كان الجهاد فريضة ﴿واللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ قال الكلبي: علِمَ أنه سيكون فيهم من يقاتل في سبيل اللَّه، فيُستشهَد.

قال محمد: ﴿كُرْهٌ لكم﴾ معناه: مشقّة لكم، لا أنَّ المؤمنين يكرهون فرض؛ ويقال: كَرِهتُ الشيء كَرْهًا وكُرْهًا وكَرَاهَة[1]. والقراءة: «كُرْهٌ» بالضم[2]؛ وتأويله: ذو كُره لكم.

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه﴾ تفسير مجاهد: قال: «أرسل رسولُ اللَّه ﷺ رجلًا في سريَّة فمرّ بابْن الحضرمي يحمل خَمْرًا من الطائف إلى مكة، فرماه بسهم فقتله وكان بين النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين قريش عهدٌ فقتله آخر ليلة من جُمَادَى الآخرة وأول ليلةٍ[3] من رجب، فقالت قريش: أفي الشهر الحرام ولنا عهدٌ؟! فأنزل اللَّه: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير وصَدٌّ عن سبيل اللَّه وكفرٌ به﴾ أي: باللَّه ﴿والمسجد الحرام﴾ أي: وصَدٌّ عن المسجد الحرام ﴿وإخراج أهله منه﴾ يعني: النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه؛ أخرجهم

---

(١) وكراهية أيضًا. وقال الفراء: الكره بالضم: المشقة، وبالفتح: الإكراه. وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (كره).

(٢) قراءة الجمهور بالضم، وقرأ السلمي بالفتح. ينظر البحر (٢/ ١٤٣)، الدر المصون (١/ ٥٢٥).

(٣) أي: وأول يوم؛ حيث تُطلق الليلة على اليوم، وفي تفسير الطبري والدر المنثور: «يوم» في الموضعين.

المشركون من المسجد؛ كل هذا ﴿أكبر عند اللَّه﴾ من قتل ابن الحضرمي ﴿والفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿أكبر من القتل﴾»[١].

قال يحيى: وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم عامةً.

قال محمد: قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ «قتالٍ» مخفوضٌ على البدل[٢] من الشهر الحرام، المعنى: ويسألونك عن قتال في الشهر الحرام.

وقوله: ﴿قل قتال فيه كبير﴾ «قتالٌ» مرفوع بالابتداء[٣]، و«كبيرٌ» خبره.

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ أي: ولن يستطيعوا ﴿فأولئك حبطت أعمالهم﴾ أي: بطلت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل اللَّه أولئك يرجون رحمةَ اللَّه﴾ أي: يطمعون في رحمة اللَّه؛ يعني: الجنة. قال الحسن: وهو على الإيجاب؛ يقول: يفعل ذلك بهم. وقال قتادة: ذكر في الآية الأولى قصة قتل ابن الحضرمي، وما قال المشركون، وما أنزل اللَّه في ذلك، ثم أثْنَى اللَّه على أصحاب النبي ﷺ أحسنَ الثناء؛ فقال: ﴿إن الذين آمنوا . . .﴾ الآية.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٥٠) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٠) للفريابي وعبد ابن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٢) وفي خفضه أقوال نحوية أخرى، تنظر مفصَّلةً في: إعراب القرآن (١/ ٢٥٨)، مجمع البيان (١/ ٣١١)، أمالي ابن الشجري (١/ ٢٤٠)، البحر المحيط (٢/ ١٤٥).

(٣) وجُوِّز الابتداء بالنكرة ههنا؛ لأن المبتدأ خُصِّصَ بقوله: (فيه) وإذا اختصت النكرة، جاز الابتداء بها. ينظر: كشف المشكلات (١/ ١٥٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ١٤١).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ الميسر: القمار كله.وقوله: ﴿فيهما إثمٌ كبيرٌ﴾ كانوا إذا شربوا الخمر فسكروا، عدا بعضُهم على بعضٍ، وكانوا يتقامرون حتى لا يبقى لأحدهم شيءٌ، فكان يورث ذلك بينهم عداوةً.

وقوله: ﴿ومنافع للناس﴾ ما كانوا ينتفعون به من شربها وبيعها، ومن القمار قبل أن يحرمهما اللَّه، قال قتادة: ذمَّها اللَّه في هذه الآية، ولم يحرمها؛ لما أراد أن يبلغ بها من المدة وهي يومئذٍ لهم حلال، ثم أنزل اللَّه بعد ذلك آية هي أشد منها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[1] فكانوا يشربونها؛ حتى إذا حضرت الصلاة أمسكوا، وكان السُّكر عليهم فيها حرامًا، وأحلَّ لهم ما خلا ذلك، فذُكر لنا أن نبي اللَّه ﷺ قال - لما نزلت هذه الآية -: إن اللَّه قد تقرب في تحريم هذه الخمر. ثم أنزل اللَّه تحريمها في سورة المائدة، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ. . . .﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2] فجاء تحريمها في هذه الآية قليلها وكثيرها.

---

(١) النساء: ٤٣ .

(٢) المائدة: ٩٠ - ٩١ .

قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ يعني: الصدقة ﴿قل العفو﴾ تفسير الحسن: يعني: ما فضل عن نفقتك، أو نفقة عيالك.

قال يحيى: وكان هذا قبل أن تنزل آية الزكاة.

قال محمد: قوله: ﴿العفو﴾ من قرأها بالنصب فعلى معنى: قل: أنفقوا العفوَ، ومن قرأها بالرفع فعلى معنى: الذي ينفقون العفوُ[١]. والعفو في اللغة: (ل٣٠) الفضل والكثرة؛ يقال: قد عفا القوم؛ إذا كثروا[٢].

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن، عن النبي عليه السلام قال[٣]: «إن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى، ولا يلوم اللَّه على الكفاف»[٤].

قوله تعالى: ﴿كذلك يبيِّنُ اللَّه لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ تفسير [قتادة: أي: أن الدنيا][٥] دار بلاء وفناءٍ، وأن الآخرة دار جزاءٍ وبقاء.

﴿ويسألونك عن اليتامى قل [إصلاحٌ لهم خير...﴾ الآية][٥] تفسير قتادة:

---

(١) قراءة الجمهور بالنصب، وقرأ أبو عمرو وحده بالرفع. ينظر السبعة (١٨٢) والتيسير (٨٠) والنشر (٢/ ٢٢٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، المصباح المنير (عفو).

(٣) زاد في الأصل: قال رسول اللَّه ﷺ.

(٤) روى البخاري (٣/ ٣٤٥ رقم ١٤٢٧) ومسلم (٢/ ٧١٧ رقم ١٠٣٤) عن حكيم بن حزام عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى».
ورواه البخاري (٣/ ٣٤٥ - ٣٤٦ رقم ١٤٢٦ - ١٤٢٨) عن أبي هريرة.
وروى مسلم (٢/ ٧١٨ رقم ١٠٣٦) عن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

لما نزلت هذه الآية: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي [أحسن حتى يبلغَ أشده][١]﴾ اشتدت عليهم؛ فكانوا لا يخالطونهم في مطعمٍ ولا نحوه؛ فأنزل اللَّه [بعد ذلك: ﴿وإن تخالطوهم][١] فإخوانُكم واللَّه يعلم المفسد من المصلح﴾ فرخَّص اللَّه لهم.

﴿ولو شاء [اللَّه لأعنتكم﴾ أي: لترككم في المنزلة][١] الأولى؛ لا تخالطونهم؛ فكان ذلك عليكم عَنَتًا شديدًا. [والعنتُ: الضيق][١][٢].

قال محمد: قوله: ﴿فإخوانُكم﴾ القراءة بالرفع[٣]؛ على معنى: فهم إخوانُكم.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

﴿[ولا تنكحوا المشركات حتى][١] يؤمن ولأمةٌ مؤمنةٌ﴾ يتزوَّجها المسلم؛ إذا لم يجد طَوْلًا[٤] ﴿خيرٌ [من مشركة ولو أعجبتكم﴾ ثم][١] نسخ المشركات من أهل الكتاب في سورة المائدة؛ فأحلَّهن؛ فقال: ﴿[والمحصنات من الذين][١] أوتوا الكتاب من قبلكم﴾[٥] والمحصناتُ في هذه الآية: الحرائر[٦] ﴿ولا تُنكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ [فحرم][١] اللَّه أن يتزَوج المسلمةَ أحدٌ

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عنت).
(٣) قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ أبو مجلز بالنصب بفعل مقدر، وفيه أقوال أخر وتوجيه قراءتي الرفع والنصب. ينظر: البحر المحيط (٢/ ١٦٠ - ١٦١)، الدر المصون (١/ ٥٣٩).
(٤) الطَّوْل: الفضل والغنى واليسر. اللسان (طول).
(٥) المائدة: ٥ .
(٦) واحدها: حُرَّة.

من المشركين؛ فقال: ﴿ولعبدٌ مؤمنٌ﴾ تتزوَّجه المسلمة ﴿خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار﴾ يعني: المشركين يدعون إلى النار؛ أي: إلى دينهم، قال: ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرةِ بإذنه﴾ بأمره ﴿ويبيِّن آياته للناس﴾ يعني: الحلال والحرام ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي: يتذكروا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذًى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ تفسير الحسن: أن الشيطان أدخل على أهل الجاهلية في حيض النساء من الضيق ما أدخل على المجوس؛ فكانوا لا يجالسونهن في بيت، ولا يأكلون معهن، ولا يشربون؛ فلما جاء الإسلام سأل المسلمون رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله: ﴿قل هو أذًى﴾ أي: قَذَرٌ ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن﴾ يعني: المُجَامَعَة ﴿حتى يطهرن﴾ يعني: حتى يرين البياض[1] ﴿فإذا تطهرن﴾ يعني: اغتسلن ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ قال ابن عباس: يعني: من حيث أمركم الله أن تجتنبوهن. وقال السدي: (من حيث) يعني: في حيث أمركم الله؛ يعني: في الفرج ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ من الذنوب .

---

(١) أي يرين القَصَّة البيضاء، وهو أن تخرج القطنة أو الخرقة التي تحتشي بها الحائض كأنها قصة بيضاء لا يخالطها صفرة. وقيل: القصة شيء كالخيط الأبيض يخرج بعد انقطاع الدم كله. النهاية (٤/ ٧١).

﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: «قالت اليهودُ: إن الرجل إذا أتى امرأته من خلفها، جاء ولده أحْوَلَ؛ فأنزل الله: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾؛ إن شئتم من بين يديها، وإن شئتم من خلفها؛ غير أن السَّبِيلَ موضعُ الولد»(١).

قال محمد: قوله: ﴿حرث لكم﴾ كنايةٌ، وأصل الحرث: الزرع(٢)؛ أي: هو للولد كالأرض للزرع.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن قتادة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن [جده](٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللُّوطية الصغرى»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٣٧ رقم ٤٥٢٨)و مسلم (٢/ ١٠٥٨ - ١٠٥٩ رقم ١٤٣٥)-من طريق محمد بن المنكدر به.

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (حرث).

(٣) كأنها في الأصل: جرير. وهو خطأ، والمثبت من «ر».

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٨٢، ٢١٠) والطيالسي (٢٩٩ رقم ٢٢٦٦) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٠٣) والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٣٢٠ رقم ٨٩٩٧) والبزار - كشف الأستار (٢/ ١٧٢- ١٧٣ رقم ١٤٥٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ٤٤) والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ١٩٨) من طريق قتادة.

وقال البزار: لا أعلم في هذا الباب حديثًا صحيحًا.

ورواه النسائي في الكبرى (٥/ ٣١٩ رقم ٨٩٩٦) من طريق زائدة بن أبي الرقاد الصيرفي، عن عامر الأحول، عن عمرو بن شعيب به. وقال النسائي: زائدة لا أدري من هو، هو مجهول، ووجدت في موضع آخر: عاصم الأحول.

ورواه النسائي (٥/ ٣٢٠ رقم٨٩٩٨، ٨٩٩٩) من طريق سفيان، عن حميد الأعرج، عن عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمرو موقوفًا.

ورواه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٣) - عن يزيد بن هارون، عن حميد =

يحيى: عن عبد القدوس بن [حبيب][(١)] عن الحسن، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأتوا النساء في مواضع حشوشهن[(٢)] »[(٣)].

= الأعرج، عن عمرو بن شعيب. عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفًا.

ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (رقم ٢٠٩٥٦) عن معمر، عن قتادة، عن ابن عمرو موقوفًا.

ورواه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٦٣ رقم ٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٠٣) والطحاوي في شرح المعاني (٣/ ٤٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب المراغي، عن ابن عمرو موقوفًا.

وقال البخاري في التاريخ الأوسط (١/ ٢٧٣): والمرفوع لا يصح.

وقال ابن كثير (١/ ٢٦٣) عن هذا الموقوف: وهذا أصح، والله أعلم.

وقال ابن حجر في التلخيص (٣/ ٣٧٢): والمحفوظ عن عبد الله بن عمرو قوله.

(١) كأنها في «الأصل»: حنيف. والمثبت من «ر» وعبد القدوس بن حبيب هو أبو سعيد الشامي، متروك الحديث، ترجمته في التاريخ الكبير (٦/ ١١٩ - ١٢٠) والجرح والتعديل (٦/ ٥٥ - ٥٦) وتاريخ دمشق (٣٦/ ٤١٦ - ٤٢٦).

(٢) واحدها: حُشٌّ؛ وهو الكنيف. والمراد ههنا: الدبر. ينظر اللسان ، مختار الصحاح (حشش).

(٣) روى ابن عدي في الكامل (٤/ ١٦٠) من طريق محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأتوا النساء في أعجازهن ولا في أدبارهن».

قال ابن عدي: وابن حمزة هذا ليس بالمشهور. ونقل تضعيف زيد عن النسائي.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٦٤): محمد بن حمزة وهو الجزري وشيخه فيهما مقال.

وروى أبو بكر الأثرم في سننه - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٤) - والدولابي في الكنى (٢/ ١٦٨ رقم ٢٣٢٥) من طريق أبي القعقاع الجرمي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «محاش النساء حرام».

ورواه سعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في سننه (٨/ ١٩٩) - من هذا الطريق موقوفًا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٧٣)لعبد بن حميد والدارمي موقوفًا أيضًا.

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٦٤) عن الموقوف: وهو أصح.

وفي تحريم أدبار النساء أحاديث كثيرة، تجدها في تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٠ - ٢٦٥) =

[قوله تعالى: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يعني: الولد.

يحيى: عن قرة بن خالد، عن الحسن، [عن][1] صعصعة، عن أبي ذر][2] (ل٣١) قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا حنثًا، إلا أدخلهما [اللَّه][3] الجنة بفضل رحمته إياهم»[4].

يحيى: عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لأن أقدم سُقْطًا[5] أحبّ إليّ من أنْ أخلف مائة فارس؛ كلُّهم يُقَاتل في سبيل اللَّه»[6].

= والدر المنثور (١/ ٢٧١ - ٢٧٥).

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٨): قد تيقنا بطرق لا محيد عنها نهي النبي ﷺ عن أدبار النساء، وجزمنا بتحريمه، ولي في ذلك مصنف كبير. اهـ.

وقال أيضًا في السير (٥/ ١٠٠): وقد أوضحنا المسألة في مصنف مفيد، لا يطالعه عالم إلا ويقطع بتحريم ذلك.

(١) في «ر»: بن. وهو خطأ.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣، ١٥٩) وأبو عوانة (٤/ ٥٠١ رقم ٧٤٨٢) وابن حبان (١/ ٥٠٢ - ٥٠٣ رقم ٤٦٤٥) من طريق قرة بن خالد به.

ورواه الإمام أحمد (٥/ ١٥١، ١٦٤) والبخاري في الأدب المفرد (٦٢ رقم ١٥٠) والنسائي (٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥ رقم ١٨٧٣) وأبو عوانة في صحيحه (٤/ ٥٠١ - ٥٠٢ رقم ٧٤٨٣ - ٧٤٨٥) والبزار (٩/ ٣٤٩ - ٣٥١ رقم ٣٩٠٩ - ٣٩١٤) وابن حبان (٧/ ٢٠٢ رقم ٢٩٤٠) والطبراني في الكبير (٢/ ١٥٤ - ١٥٥ رقم ١٦٤٤) والبيهقي في سننه (٩/ ١٧١) وغيرهم من طريق الحسن به.

(٥) السُّقْطُ: هو الجنين يسقط من بطن أمه قبل تمامه؛ ذَكرًا كان أو أنثى. لسان العرب، المعجم الوسيط (سقط).

(٦) ذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٥٢٠) بهذا اللفظ، فقال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أجد فيه ذكر «مائة فارس» وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «لسقط أقدمه بين يدي أحب إليّ من فارس أخلفه خلفي». اهـ.

فتعقبه الزبيدي فقال: بل رُوي ذلك من حديث حميد بن عبد الرحمن الحميري مرسلًا =

﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾ بالجنة .

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾

= بلفظ: «لأن أقدم سقطًا أحب إلي من مائة مستلئم» رواه كذلك أبو عبيد في الغريب والبيهقي في الشعب (٧/ ١٣٧ رقم ٩٧٥٩) وحديث أبي هريرة المذكور رواه أيضًا أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن أبي هريرة، ويزيد بن عبد الملك ضعيف، قاله الذهبي في الكاشف. اهـ. من تخريج أحاديث الإحياء (٦/ ٢٦٠٦ رقم ٤٠٢٢).

قلت: هو في سنن ابن ماجه (١/ ٥١٣ رقم ١٦٠٧) ويزيد بن رومان لم يُدرك أبا هريرة، قاله المزي في تحفة الأشراف (١٠/ ٤١٩).

وقد اضطرب يزيد بن عبد الملك في إسناد هذا الحديث: فرواه ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٠٣) والعقيلي (٤/ ٣٨٥) - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٩٠٦ رقم ١٥١٤) - وابن عدي (٩/ ١٣٦) من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة.

وقال العقيلي عن يزيد النوفلي: ولا يتابع على حديثه إلا من جهة لا تصح.

وقال ابن عدي: وهذا أيضًا يزيد بن عبد الملك يرويه.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ والحمل فيه على يزيد النوفلي، قال أحمد: عنده مناكير. قال النسائي: متروك الحديث. وقال أحمد بن صالح: ليس حديثه بشيء.

ورواه ابن عدي (٩/ ١٣٨ - ١٣٩) وتمام الرازي في فوائدة (١/ ٣٤٥ رقم ٨٨٤) من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد، عن عمر بن الخطاب.

وقال ابن عدي: وهذه الأحاديث بهذه الأسانيد لا يرويها عن يزيد بن خصيفة غير يزيد بن عبد الملك، و الحديث الآخر بهذا الإسناد «السقط أقدمه أمامي» فقد أمليته في أحاديث يزيد هذا في رواية معن عنه، فقال: عن سليمان - كذا، و الصواب سهيل - عن أبيه عن أبي هريرة. ويزيد هذا مضطرب الحديث لا ينضبط ما يرويه فقال مرة: عن سهيل، وقال مرة: عن يزيد بن خصيفة. اهـ.

﴿ولا تجعلوا اللَّه عرضةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ تفسير الحسن: كان الرجل يقال له: لم لا تبرَّ أباك أو أخاك أو قرابتك أو تفعل كذا لخيرٍ؟! فيقـــول: قد حلفتُ باللَّه لا أبرُّه، ولا أَصِلُه، ولا أصلح الذي بيني وبينــه؛ يَعْتَلُّ[١] باللَّه؛ فأنزل اللَّه ﴿ولا تجعلوا اللَّه عُرْضَةً لأيمانكم﴾ يعني: الحلف؛ أي: لا تعتلُّوا باللَّه.

قال محمد: المعنى: لا تجعلوا اللَّه بالحلف به مانعًا لكم من أن تبروا. وهو الذي أراد الحسن.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «يا عَبْدَ الرحمن بن سَمُرَة؛ إذا حلفت على يمين فرأيت خيرًا منها، فَأْتِ الذي هو خير وكفِّر عن يمينك»[٢].

﴿لا يؤاخذكم اللَّه باللغو في أيمانكم﴾.

يحيى: عن همام[٣]، عن عطاء قال: «دخلتُ مع عُبَيْد بن عمير على عائشة، فسألها عبيدٌ عن هذه الآية. فقالت: هو قول أحدكم: لا واللَّه، وبلى واللَّه».

وقال الحسن وقتادة: وهو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على الشيء؛ وأنت ترى أنه كذلك؛ فلا يكون كما حلفت عليه.

﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبتْ قلوبُكم﴾ تفسير قتادة: يعني: ما تعمدتم به

---

(١) أي: يحتج أنه أقسم باللَّه، والاعتلال: الاحتجاج. ينظر اللسان، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (علل).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٦١٦ رقم ٦٧٢٢) ومسلم (٣/ ١٢٧٣ - ١٢٧٤ رقم ١٦٥٢) من طريق الحسن به.

(٣) في «ر»: هشام.

المأثم؛ وهذا فيه الكفارة.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)﴾

قوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ أي: يحلفون ﴿تربص أربعة أشهر...﴾ الآية. كانوا في الجاهلية، وفي صدرٍ من الإسلام يغضب أحدهم على امرأته، فيحلف بالله لا يقربها[١] كذا وكذا فيدعها لا أيِّمًا[٢] ولا ذاتَ بَعْلٍ؛ فأراد الله أن يعصم المؤمنين عن ذلك بحدٍّ يحُدُّه لهم؛ فحدَّ لهم أربعة أشهر.

﴿فإن فاءوا﴾ تفسير الحسن: يعني بالفَيْء: الرجوع إلى الجماع ﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)﴾

﴿والمطلقات يتربَّصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ والأقراء: الحيض؛ في قول أهل العراق، وفي قول أهل المدينة: الأطهار[٣].

قال قتادة: جعل عدة المطلقة في هذه الآية ثلاث حيضٍ، ثم نَسَخَ منها المطلقة التي لم يدخل بها زوجُها؛ فقال في سورة الأحزاب: ﴿يا أيها الذين

(١) في «ر»: لا يأتيها.
(٢) الأيِّم: العَزَبُ؛ رجلًا كان أو امرأة، تزوَّج من قبل، أو لم يتزوج. ويقال للمرأة: أيِّم، وأيِّمة. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (أيم).
(٣) لسان العرب، المصباح المنير (قرأ).

آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾[١] فهذه ليست عليها عدة.

ونسخ أيضًا من الثلاثة قروء التي لا تحيض من صِغَرٍ أو كبرٍ والحامل؛ فقال: ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾[٢] فهذه للعجوز التي لا تحيض ﴿إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ فهذه التي لم تحض أيضًا ثلاثة أشهر.

قال: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ فهذه أيضًا ليست من القروء في شيء أجلها أن تضع حملها.

قال محمد: القروء: واحدها قُرْءٌ؛ يقال: أقرأت المرأة وقرأتْ ؛ إذا حاضت، أو طهرت؛ وإنما جعل الحيضُ قرءًا، والطُّهر قرءًا؛ لأن أصل القرء في كلام العرب: الوقت؛ يقال: رجع فلانٌ لقرئه؛ أي: لوقته الذي كان يرجع فيه؛ فالحيض يأتي لوقتٍ، والطهر يأتي لوقت[٣] واللَّه أعلم بما أراد.

﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق اللَّه في أرحامهن﴾ تفسير مجاهد قال: لا يحلُّ للمطلقة أن تقول إني حائض، وليست بحائض [أو تقول: إني حبلى وليست بحبلى، أو تقول: لست بحائض وهي حائض][٤] أو تقول: لست بحبلى، وهي حُبْلَى؛ لِتَبِينَ من زوجها قبل أن تنقضي العدة، وتُضِيف الولد إلى الزوج الثاني، وتستوجب الميراث؛ إذا مات الرجل [فتقول: لم تنقض عدتي][٤] وقد انقضت عدتها، والنفقة في الحمل.

---

(١) الأحزاب: ٤٩ .

(٢) الطلاق: ٤ .

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قرأ).

(٤) طمس في الأصل، وأثبت من «ر».

(ل٣٢) ﴿وبعولتهن﴾ يعني: الأزواج ﴿أحق بردهن في ذلك﴾ في العدة التطليقة والتطليقتين ﴿إن أرادوا إصلاحًا﴾ يعني: حسن الصُّحْبة ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ يعني: فضيلة في الحق .

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

﴿الطلاق مرتان﴾ **قال يحيى**: بلغنا أن أهل الجاهلية لم يكن لهم حدّ في الطلاق، كان يطلق أحدهم العَشْرَ وأقل من ذلك وأكثر، فجعل اللَّه حَدَّ الطلاق ثلاثًا، ثم قال: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان﴾ وبلغنا أن رجلًا قال: «يا رسول اللَّه، قول اللَّه: ﴿الطلاق مرتان﴾ فأين الثالثة؟ قال: قوله تعالى: ﴿أو تسريح بإحسان﴾»[1].

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (٤/ ٤ رقم ٢) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٢) - والبيهقي في سننه (٧/ ٣٤٠) من طريق عبد الواحد بن زياد عن إسماعيل بن سميع الحنفي عن أنس بن مالك.
قال الدارقطني: كذا قال «عن أنس» والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مرسل عن النبي ﷺ.
وقال البيهقي: كذا قال عن أنس ﷺ، والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين عن النبي ﷺ مرسلا، كذلك رواه جماعة من الثقات عن إسماعيل.
قلت: حديث أبي رزين المرسل رواه أبو داود في مراسيله (١٨٩ رقم ٢٢٠) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٩٣) وسعيد بن منصور في سننه (١/ ٣٤٠ - ٣٤١ رقم١٤٥٦، ١٤٥٧) والحارث بن أبي أسامة - كما في إتحاف الخيرة (٤/ ١٥٣ رقم ٣٣٢٤) والطبري في تفسيره (٢/ ٤٥٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤١٩ رقم ٢٢١٠) والبيهقي (٧/ ٣٤٠)، وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه في تفسيريهما - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٢) - ووكيع وابن المنذر والنحاس - كما في الدر المنثور (١/ ٢٨٧). =

قال محمدٌ: القراءة (فإمساكٌ) بالرفع[١] على معنى: فالواجب عليكم إمساكٌ بمعروف، أو تسريح بإحسان. ومعنى (بمعروف) بما يعرف من إقامة الحق؛ في إمساك المرأة وقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ معناه: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة تطليقتان.

﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود اللَّه﴾ يعني: أمر اللَّه في أنفسهما؛ وذلك أنه يُخاف من المرأة في نفسها إذا كانت مبغضةً لزوجها فتعصي اللَّه فيه، ويخاف من الزوج إن لم يطلقها أن يتعدَّى عليها.

قال محمد: الذي يدلُّ عليه تفسير يحيى: أن القراءة كانت عنده [يُخَافا] بضم الياء، وكذلك قرأها أبو جعفر وحمزة. وقرأها نافع وغير واحدٍ [يَخَافا] بالفتْح[٢]؛ ذكره أبو عبيد[٣].

قال أَبو عُبَيْدٍ: والقراءة عندنا بضم الياء؛ لقوله تعالى: ﴿فإن خفتم﴾ فجعل الخوف لغيرهما، ولم يقل: فإن خافا[٤].

= ورواه الدارقطني في سننه (٤/ ٣- ٤ رقم ١) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٢) - من طريق قتادة عن أنس.

قال البيهقي في سننه (٧/ ٣٤٠): ورُوي عن قتادة عن أنس ﷺ وليس بشيء.

(١) وهي قراءة الجمهور، ولم يقرأ أحد بالنصب، وإن كان جائز في العربية نصبه على المصدر. وفي توجيه قراءة الرفع أقوال نحوية أخر غير القول المذكور ههنا. فلتراجع مفصَّلة لمن أرادها من: إعراب القرآن (١/ ٢٦٤)، مجمع البيان (١/ ٣٢٨)، البحر المحيط (٢/ ١٩٦).

(٢) ينظر السبعة (١٨٣)، التيسير (٨٠)، النشر (٢/ ٢٢٧).

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري مولاهم، البغدادي، أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، وله اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر. توفي بمكة (٢٢٤هـ) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٥٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠)، بغية الوعاة (٣٧٦)، إنباه الرواة (٢/ ١٣).

(٤) وفي توجيه ضم الياء أقوال نحوية أخر تنظر من: معاني القرآن للفراء (١/ ١٤٥ - ١٤٦)، إعراب القرآن (١/ ٢٦٥)، مجمع البيان (١/ ٣٢٨)، البحر (٢/ ١٩٧ - ١٩٨).

قال قتادة: خاطب بهذا الولاة ﴿ألا يقيما حدود اللَّه فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود اللَّه﴾ يعني: سُنَّة اللَّه وأمره في الطلاق ﴿فلا تعتدوها﴾ أي: لا تتعدوها إلى غيرها ﴿ومن يتعد حدود اللَّه فأولئك هم الظالمون﴾ لأنفسهم.

قال محمد: ومعنى حدود اللَّه: ما حدَّه مما لا تجوز مُجاوزته إلى غيره، وأصل الحد في اللغة: المنع؛ يقال: حددتُ الدار؛ أي: بيَّنت الأمكنة التي تمنع غيرها أن يدخل فيها، وحددتُ الرَّجُلَ أقمت عليه الحدَّ، والحدُّ: هو الذي يمتنعُ به الناسُ من أن يدخلوا فيما يجلب إليهم العقوبة[١].

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها﴾ يعني: الثالثة ﴿فلا تحل له من بَعْدُ حتى تنكح زوْجًا غيره﴾.

يحيى: عن سعيدٍ، عن قتادة: «أن تميمة بنت عُبَيْد بن وهبٍ القرظيَّة طلقها زوجها، فخلف عليها عبد الرحمن بن الزبير فطلقها، فأتت رسولَ اللَّه ﷺ فسألته؛ هل ترجع إلى زوْجها الأول. فقال لها: هل غشيك؟ فقالت: ما كان، ما عنده بأغنى عنه من هُدْبة ثوبي[٢]؛ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: لا، حتى تذوقي من عُسَيْلةِ غيره[٣]. فقالت: يا رسول اللَّه، قد غشيني. فقال: اللهم إن كانت كاذبةً فاحْرِمْها إياه. فأتتْ أبا بكرٍ بعده فلم يُرَخِّص لها، ثم أتت عمر فلم يُرخِّص لها»[٤].

---

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير، مختار الصحاح (حدد).

(٢) الهُدْبة - ويقال فيه: الهدب -: طَرَفُ الثوب. وقد كَنَتْ به ههنا عن ارتخاء آلة الجماع وضَعْفها.

(٣) كناية عن المجامعة.

(٤) رواه سعيد بن أبي عروبة في كتاب النكاح له عن قتادة - عزاه له ابن حجر في الفتح (٩/ ٣٧٤) ومن طريقه رواه ابن منده في معرفة الصحابة، كما في الإصابة (١٢/ ١٦٥ رقم ٢٠٣).
ورواه البخاري (٩/ ٢٧٤ رقم ٥٢٦٠) ومسلم (٢/ ١٠٥٥ - ١٠٥٧ رقم ١٤٣٣) عن عائشة دون آخره.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

﴿فإن طلقها فلا جُنَاحَ عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ يعني: إن أيقنا أن يُقِيمَا حدود الله. تفسير بعضهم: يقول: ﴿فإن طلقها﴾ يعني: الزوج الأخير ﴿فلا جناح عليهما﴾ على المرأة والزوج الأول الذي طلقها ثلاثًا ﴿أن يتراجعا﴾ إن أحبًا.

وفي تفسيرهم: فإن طلقها، أو مات عنها، فلا جناح عليهما أن يتراجعا.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن...﴾ إلى قوله: ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾.

يحيى: عن الجهم بن وَرَّاد؛ أن رجلًا على عهد النبي عليه السلام قال لامرأته: لأطلقنك، ثم [لأحبسنك][1] تسع حيض لا تقدرين على أن تتزوجي غيري. قالت: وكيف ذلك؟! قال: أطلقك تطليقة، ثم [أدعك][1] حتى إذا كان عند انقضاء عدتك راجعتك، ثم أطلقك أخرى، فإذا كان عند انقضاء عدتك راجعتك ثم أطلقك ثم [تعتدين من][3] ثلاث حيضٍ، فأنزل الله (ل٣٣) هذه الآية ﴿وإذا طلقتم النساء...﴾ إلى آخرها.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال يحيى: فإذا انقضت العدةُ قبل أن يراجعها، فهو تسريح.

﴿ولا تتخذوا آيات اللَّه هزوًا﴾ .

يحيى: عن سليمان بن أرقم، عن الحسن، عن أبي الدرداء قال: «كان الرجل يطلق؛ فإذا سئل، قال: كنتُ لاعبًا. ويتزوَّج؛ فإذا سئل، قال: كنت لاعبًا. ويعْتق؛ فإذا سئل، قال: كنت لاعبًا، فأنزل اللَّه: ﴿ولا تتخذوا آيات اللَّه هُزوًا﴾ وقال رسول اللَّه ﷺ: من طلَّق لاعبًا أو تزوَّج لاعبًا أو أعتق لاعبًا فهو جائِزٌ»[1].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٤/ ٢٨٨) وابن عدي في الكامل (٦/ ١٩٠) كلاهما من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء.
وقال الهيثمي في المجمع: وفيه عمرو بن عبيد، وهو من أعداء اللَّه.
وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٨١) وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقوفًا عليه.
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٨١ رقم ٥) من طريق عمرو عن الحسن مرسلاً.
ورواه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٨٢) من طريق سليمان بن أرقم عن الحسن مرسلاً.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٢٥ - ٤٢٦ رقم ٢٢٤٨) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا.
وروى ابن أبي شيبة (٤/ ٨١ رقم ١) وعبد الرزاق (٦/ ١٣٣ - ١٣٤ رقم١٠٢٤٥، ١٠٢٤٦) من طريق الحسن عن أبي الدرداء قال: «ثلاث اللاعب فيهن كالجاد: النكاح، والطلاق، والعتاقة».
ورواه أحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٤/ ٤٥ رقم ٣١٣٩/ ١) - وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٢٨١) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن عبادة بن الصامت.
قال الحافظ ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٣/ ٢١٥) إسماعيل ضعيف، والحسن لم يسمع من عبادة . واللَّه أعلم.
ورواه الحارث بن أبي أسامة - كما في إتحاف الخيرة (٤/ ٤٥ رقم ٣١٣٩/ ٢) - من طريق ابن لهيعة عن عبيد اللَّه بن أبي جعفر عن عبادة بن الصامت نحوه.
وهذا إسناد منقطع ضعيف. =

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ يعني: انقضاء العدة ﴿فلا تعضلوهُنَّ﴾ أي: تحبسوهن ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ ﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾ يعني: لقلب الرجل، وقلب المرأة.

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن «أن معقل بن يسار زوَّج أخته رجلا، فطلَّقها الرجل تطليقة، فلما انقضت عدتها خطبها، فأرادت أن تتزوَّجه، فغضب معقل، وقال: زوَّجتُه ثم طلقها؛ لا ترجع إليه؛ فأنزل اللَّه هذه الآية؛ إلى قوله: ﴿واللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون﴾»(1) أي: علم اللَّه حاجته إليها، وحاجتها إليه.

= وروى عبد الرزاق في المصنف (٦/ ١٣٤ - ١٣٥ رقم ١٠٢٤٩) عن إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم أن أبا ذر قال قال رسول اللَّه ﷺ: «من طلق وهو لاعب فطلاقه جائز، ومن أعتق وهو لاعب فعتاقه جائز، ومن أنكح وهو لاعب فنكاحه جائز».

وإبراهيم بن محمد متروك.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٨١) بعد أن ذكر أغلب هذه الطرق: والمشهور في هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك عن عطاء عن ابن ماهك عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة» وقال الترمذي: حسن غريب.

(1) رواه الترمذي (٥/ ٢٠١ رقم ٢٩٨١) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن عن معقل بن يسار، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجه عن الحسن. ورواه البخاري (٨/ ٤٠ رقم ٤٥٢٩، ٩/ ٨٩ رقم ٥١٣٠، ٩/ ٣٩٢ - ٣٩٣ رقم ٥٣٣٠، ٥٣٣١) من طرق عن الحسن.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

﴿والوالدات﴾ يعني: المطلقات؛ في تفسير مجاهد ﴿يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ تفسير قتادة: قال: أنزل اللَّه في أول هذه الآية ﴿حولين كاملين﴾ ثم أنزل اليُسْر والتخفيف؛ فقال: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ﴿وعلى المولود له﴾ يعني: الأب ﴿رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ على قدر مَيْسَرَتِهِ ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾ تفسير قتادة: قال: نهى اللَّه الوالد أن ينزعه[1] من أمه؛ إذا رضيت أن تُرْضِعَه بما كان مسترضعًا به غيرها، ويدفعه إلى غيرها، ونُهِيت الوالدةُ أن تقذف الولد إلى زوجها؛ إذا أعطاها ما كان مُسْتَرضِعًا غيرها [وتدفعه إلى غيرها][2].

﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ تفسير قتادة: قال: على وارث المولود إن كان المولود لا مال له ﴿مثل ذلك﴾ أي: مثل الذي كان على والده لو كان حيًّا من أَجْر الرضاع. وقال الحسن: وعلى الرجال دون النساء، وتفسير ابن عباس: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ قال: هو في الضرار ﴿فإن أرادا فصالًا﴾ يعني: فطامًا ﴿عن تراضٍ منهما وتشاوُرٍ﴾ قبل انقضاء الحولين بعد أن يستطيع الفطام، ولا يدخل عليه فيه ضرورة ﴿فلا جُناح عليهما﴾.

---

(١) أي: ينزع الوالدُ الولدَ من أمّه.

(٢) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي: لأولادكم ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ تفسير مجاهد: حساب ما رضع الصبي؛ إذا تراضيا أن يسترضعا له إذا خافا الضَّيْعة عليه.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾ وفي العشر يُنْفَخُ في الولد الروح، فنَسَخَت هذه الآيةَ الآيةُ التي بعدها في التأليف ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾(١) وهي قبل هذه في التنزيل، وَوُضِعت(٢) في هذا الموضع. قال الحسن: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام فيقول: يا محمد، إن الله يأمرك أن تضع آية كذا بين ظَهْرَاني آية كذا وكذا من السورة.

يحيى: عن يزيد بن إبراهيم، عن محمد بن سيرين، عن مالك بن عمرو، عن عبد الله بن مسعود؛ أنه قال: «نسخ من هذه الآية الحامل المتوفى عنها زوجها؛ فقال في سورة النساء القصرى(٣) : ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾(٤)» .

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: انقضت العدة ﴿فلا جناح عليكم﴾ أي: فلا إثم عليكم ﴿فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ قال مجاهد: يريد النكاح الحلال.

---

(١) البقرة: ٢٤٠ .

(٢) في «ر»: ووجهت.

(٣) يعني : سورة الطلاق.

(٤) الطلاق: ٤ .

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم﴾ يعني: أسرَرْتُم في أنفسكم، قال عكرمة: التعريض أن يقول: أنت في [نفسي][1] (ل٣٤) وتقول هي: ما يُقدر من أمر يكن؛ من غير أن يُوَاعِدَهَا ألا تنكح غيره، ﴿علم اللَّه أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرًّا﴾ تفسير قتادة: يقول: لا تأخذوا ميثاقها في عدتها ألَّا تنكح زوجًا غيره ﴿إلا أن يقولوا قولًا معروفًا﴾ هو التعريض ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ يعني: انقضاء العدة ﴿واعلموا أن اللَّه يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ يعني: في أن تزوجوهن في العدة وفي جميع الأشياء بعد.

قال محمد: قوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ المعنى: على عقدة النكاح، فاختصر على.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) في الأصل: فؤادي، والمثبت من «ر».

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ يعني: تجامعوهن ﴿أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ الموسع: الذي وُسعَ عليه في الرزق، والمقتر: المقُتَّر عليه ﴿متاعًا بالمعروف﴾ .

يحيى: وليس في المتعة أمرٌ مؤقَّت، إلا ما أحب لنفسه من طلب الفضل في ذلك، وقد كان في السَّلف من يُمتِّع بالخادم، ومنهم من يمتع بالكُسْوَة، ومنهم من يمتع بالطعام.

قال محمد: ﴿متاعًا﴾ يجوز أن يكون النصب فيه على معنى: ومتعوهن متاعًا[1] ويقال: أوسع الرجلُ؛ إذا استغنى، وأقتر؛ إذا كان مقترًا عليه، وأصل الإقتار: الضيق[2].

﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي: تجامعوهن ﴿وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ .

قال محمدٌ: القراءة (فنصفُ) بالرفع؛ على معنى: فعليكم نصف ما فرضتم[3].

قال سعيد بن المسيب: كان لها المتاعُ في سورة الأحزاب[4]؛ فنسختها هذه الآية؛ فصار لها نصف الصداق ﴿إلا أن يعفون﴾ يعني: النساء ﴿أو يعفو

---

(١) وفي نصبه أقوال أخر. ينظر: مجمع البيان (١/ ٣٤٠)، البحر المحيط (٢/ ٢٣١).
(٢) ينظر لسان العرب ومختار الصحاح والمصباح المنير (وسع، قتر).
(٣) وقرئ أيضًا بالنصب. وفي توجيه قراءة الرفع أقوال أخر. ينظر: معاني القرآن للأخفش (١٧٧)، إعراب القرآن (١/ ٢٧١)، مجمع البيان (١/ ٣٤١)، البحر (٢/ ٣٤).
(٤) الأحزاب: ٤٩ .

الذي بيده عقدة النكاح﴾ قال شريح: هو الزوج؛ إن شاء عفا عن نصف الصداق، فأعطى المرأة الصداق تامًّا، وإن شاءت المرأة عَفَتْ عن نصف الصداق، فسلمت الصداق كله للزوج.

يحيى: وكان الحسن يقول: الذي بيده عقدة النكاح هو الولي.

﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ يقول ذلك من التقوى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ أي: لا تتركوه.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿حافظوا على الصلوات﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها وسجودها ﴿والصلاة الوسطى﴾ وهي في الخَمْس.

يحيى: عن عثمان، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي قال: «سُئِل رسولُ اللَّه ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاةُ العصر التي فرط فيها نبيُّ اللَّه سليمان ﷺ»[1].

---

(١) رواه مسدد في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (٢/ ١٢٤ رقم ١١٧٢/ ١) - من طريق محمد ابن إسحاق عن أبي إسحاق الهمداني به.
وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف؛ لضعف الحارث بن عبد اللَّه الهمداني الأعور، وتدليس محمد بن إسحاق.
ورواه ابن عدي في الكامل (٨/ ١٩٠) من طريق مقاتل بن سليمان عن أبي إسحاق السبيعي به.
قال ابن حجر في تخريج الكشاف (٢١ رقم ١٧٥): وفي إسناده مقاتل بن سليمان، وهو ساقط، ورواه ابن أبي شيبة من رواية أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعًا، وهو أشبه بالصواب. اهـ.
ورواه الدمياطي في كشف المغطى (٤٤ - ٤٥ رقم ٤٩) من طريق الدارقطني عن محمد بن =

﴿وقوموا لِلَّه قانتين﴾أي: مطيعين.

قال محمد: معنى ﴿قانتين﴾ هنا: أي: ممسكين عن الكلام؛ وأصل القنوت: الطاعة(١).

﴿فإن خفتم فرجالًا أو ركبانًا﴾ تفسير قتادة قال: هذا عند الضِّراب

= سعيد بن غالب، عن محمد بن كثير الكوفي، عن الأجلح بن عبد اللَّه عن أبي إسحاق به مرفوعًا.

ورواه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٥٤) من طريق مصعب عن الأجلح عن أبي إسحاق به موقوفًا.

ورواه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٥٤) والدمياطي في كشف المغطى (٤٢ - ٤٤ رقم ٤٧، ٤٨) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق به موقوفًا.

ورواه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٥٤) من طريق عنبسة عن أبي إسحاق به موقوفًا.

قال الدارقطني في العلل (٣/ ١٥٢ - ١٥٣ رقم ٣٢٤) لما سُئل عن هذا الحديث: يرويه يعقوب بن محمد الزهري عن ابن عيينة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ.

ووقفه غيره عن ابن عيينة.

وكذلك رواه إسرائيل وغيره عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: «صلاة الوسطى: صلاة العصر».

ورواه محمد بن إسحاق عن أبي إسحاق فرفعه، وتابعه محمد بن كثير الكوفي عن الأجلح عن أبي إسحاق فرفعه أيضًا.

والموقوف أصح. اهـ.

قلت: ورجح الوقف الترمذي في جامعه (٣/ ٢٩١ رقم ٩٥٧، ٩٥٨، ٥/ ٢٥٦ رقم ٣٠٨٨، ٣٠٨٩).

وروى البخاري (٦/ ١٢٤ رقم ٢٩٣١) ومسلم (١/ ٤٣٦ - ٤٣٧ رقم ٦٢٧) عن عبيدة السلماني عن علي قال: «لما كان يوم الأحزاب قال رسول اللَّه ﷺ: ملأ اللَّه قبورهم وبيوتهم نارًا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس».

وقال الدمياطي في كشف المغطى (٢٤): هذا حديث كبير جليل خطير، نبيل عالٍ غير عليل، حسن صحيح، وهو نص صريح، كوفي المخرج، مجمع على صحته.اهـ.

قلت: وله طرق أخرى صحيحة عن علي.

(١) ينظر لسان العرب والمصباح المنير ومختار الصحاح (قنت).

بالسُّيوف؛ راكبًا كنت، أوْ ساعيًا، أوْ ماشيًا؛ إن استطعت فركعتين، وإلا فركعة تومئ برأسك إيماءً أينما توجَّهت.

قال يحيى: وبلغني أنه إذا كان الأمر أشدَّ من ذلك، كبَّر أربع تكبيرات.

قال محمد: قوله: ﴿فرجالًا أو ركبانًا﴾ معناه: فصلُّوا رجالًا أو ركبانًا، و﴿رجالًا﴾ جمع راجل[1]؛ كما قالوا: صاحِبٌ وصحابٌ، والخوف ها هنا؛ باليقين لا بالظن.

﴿فإذا أمنتم فاذكروا اللَّه كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ يعني: فصلُّوا لِلَّه تعالى.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيَّةً لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾ تفسير قتادة: قال: كانت المرأة إذا توفِّي عنها زوجها ينفق عليها من ماله حَوْلًا ما لم تخرج؛ فإن خرجت، فلا نفقة لها؛ فنسخ الحول في قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهرٍ وعشرًا﴾[2] (ل٣٥) ونسخ النفقة في الحول في هذه الآية: ﴿ولهن الربع مما

---

(١) والراجل: الذي يسير على رجليه، ويجمع على (رِجَال، ورَجَّالة) ينظر: لسان العرب، والقاموس المحيط (رجل).

(٢) البقرة: ٢٣٤ .

تركتم إن لم يكن لكم ولدٌ فإن كان لكم ولدٌ فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصيَّةٍ توصون بها أو دين﴾[١].

قال محمدٌ: تقرأ ﴿وصية﴾ بالرفع والنصب؛ فمن نصب أراد: فليوصوا وصيةً، ومن رفع فعلى معنى: فعليهم وصية[٢]. ونصب ﴿متاعًا﴾ بمعنى: متِّعوهن متاعًا[٣].

قوله: ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ يعني: أن يتزينَّ، ويتشوَّفن[٤]، ويلتمسن الأزواج.

﴿وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين كذلك يبيِّن اللَّه لكم آياته لعلكم تعقلون﴾ أي: لكي تعقلوا.

قال محمد: قوله ﴿حقًّا﴾ نصب على معنى: يحق حقًّا[٥].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

---

(١) النساء: ١٢ .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر بن عاصم بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: السبعة (١٨٤) والتيسير (٨١) والنشر (٢/ ٢٢٨).

(٣) وفيه أقوال أخر في توجيه النصب ينظر: إعراب القرآن (١/ ٢٧٥) والبحر (٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦) والدر المصون (١/ ٥٩١).

(٤) في «ر»: يتشرفن.

(٥) وفي توجيه النصب أقوال أخر ينظر: البحر (٢/ ٢٤٦ - ٢٤٧) وإعراب القرآن (١/ ٢٧٥ - ٢٧٦).

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوفٌ...﴾ الآية. تفسير قتادة: هم قومٌ فرُّوا من الطاعون، فمقتهم اللَّه على فرارهم من الموت ﴿فقال لهم اللَّه موتوا﴾ فأماتهم اللَّه عقوبةً، ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم.

قال الكلبي: وكانوا ثمانية آلافٍ، فأماتهم اللَّه، فمكثوا ثمانية أيام.

قال محمد: وقوله: ﴿ألم تر﴾ هو على جهة التعجُّب؛ كقوله: ألم تر إلى ما صنع فلان؟!

﴿من ذا الذي يقرض اللَّه قرضًا حسنًا﴾ أي: حلالًا محتسبًا ﴿فيضاعفه له أضعافًا كثيرة﴾ قال الحسن: هذا في التطوُّع، وكان المشركون يخلطون أموالهم بالحرام؛ حتى جاء الإسلام فنزلت هذه الآية، فأُمِرُوا أن يتصدقوا من الحلال، ولما نزلت قالت اليهود: هذا ربكم يستقرضكُمْ، وإنما يستقرض الفقير؛ فهو فقير ونحن أغنياء، فأنزل اللَّه ﴿لقد سمع اللَّه قول الذين قالوا إن اللَّه فقيرٌ ونحن أغنياء﴾(١).

قال محمدٌ: أصل القرض ما يفعله الرجل ويعطيه؛ ليجازى به، والعرب تقول: لك عندي قرضٌ حسن، وقرض سيئ(٢).

وقوله: ﴿فيضاعفه﴾ من قرأه بالرفع فهو عطف على ﴿يقرضُ﴾ ومن نصب فعلى جواب الاستفهام(٣) ﴿واللَّه يقبض ويبسط﴾ يقبض عمَّن يشاء، ويبسط

(١) آل عمران: ١٨١ .

(٢) ينظر لسان العرب، المصباح المنير، مختار الصحاح (قرض).

(٣) قرأ عاصم وابن عامر بالنصب، والباقون بالرفع. ينظر: السبعة (١٨٤ - ١٨٥) التيسير (٨١)، النشر (٢/ ٢٢٨).

وفي توجيه قراءة الرفع والنصب أقوال نحوية تنظر من: إعراب القرآن(١/ ٢٧٦) مجمع البيان (١/ ٣٤٨)، البحر (٢/ ٢٥١ - ٢٥٢).

الرزق لمن يشاء ﴿وإليه ترجعون﴾ يعني: البعث.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

﴿ألم تر إلى الملإ﴾ يعني: الأشراف ﴿من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل اللَّه﴾.

قال محمد: القراءة ﴿نقاتِلْ﴾ بالجزم؛ على جواب المسألة[1].

قال الكلبي: إن بني إسرائيل مكثوا زمانًا من الدَّهر ليس عليهم ملكٌ، فأحبوا أن يكون عليهم ملك يقاتل عدوَّهم، فمشَوْا إلى نبي لهم من بني هارون يقال له: إشمَويل[2]، فقالوا له: ﴿ابعث لنا ملكًا نقاتل في سبيل اللَّه﴾ فقال لهم نبيهم: ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل اللَّه وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ وكان عدوُّهم من قوم جالوت ﴿فلما كُتِب عليهم القتال تولوا إلا قليلًا منهم...﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ

---

(١) قرأ الجمهور (نقاتلْ) أي: بالنون والجزم، وفيه قراءة أخرى: ﴿يقاتلُ﴾ أي: بالياء والرفع. وقرئ بالنون والرفع.
ينظر: البحر (٢/٢٤٨ - ٢٤٩)، الدر (١/٥٩٨)، والسبعة (١٨٦)، والتيسير (٨١)، والنشر (٢/ ٢٣٠).

(٢) هكذا في الأصل، و«ر» وفي ابن كثير: شمويل.

عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾

﴿وقال لهم نبيهم إن اللَّه قد بعث لكم طالوت ملكًا﴾ وكان طالوت من سبط قد عملوا ذنبًا عظيمًا، فَنُزِعَ منهم الملك في ذلك الزمان فأنكروه ﴿وقالوا أنَّى يكون له المُلْكُ علينا﴾ وهو من سبط الإثم؛ يعنون: الذنب الذي كانوا أصابوا ﴿ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعةً من المال قال إن اللَّه اصطفاه عليكم﴾ اختاره لكم ﴿وزاده بسطةً في العلم والجسم﴾ وكان طالوت أَعْلَمَهُمْ يومئذٍ وأطولهم.

قال محمد: قوله ﴿بسطةً﴾ أي: سعة؛ من قولك: بسطتُ الشيء؛ إذا فرشته[1] ووسَّعته[2].

قال الكلبي فقالوا: ائتنا بآية نعلم أن اللَّه اصطفاه علينا ﴿وقال لهم نبيهم إنَّ آية﴾ علامة ﴿ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾ **قال يحيى**: يعني: رحمة من ربكم، في تفسير بعضهم.

قال محمد: وقيل: سكينة فعيلة؛ من: السكون[3]؛ المعنى: فيه ما تسكنون؛ إذا أتاكم.

---

(١) في «ر»: فتحته.
(٢) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، المصباح المنير (بسط).
(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (سكن).

﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ وكان فيه عصا موسى ورضاض[١] الألواح وقفيز[٢] مَنٍّ كان موسى عليه السلام (ل٣٦) تركه عند فتاه يوشع بن نون وهو في البريّة.

في تفسير بعضهم: فأقبلت به الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فأصبح في داره. قال الحسن: وكان التابوت من خشبٍ.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

﴿فلما فصل طالوت بالجنود...﴾ إلى قوله: ﴿إلا قليلًا منهم﴾ قال الكلبي: لما سار بهم طالوت، اتخذ بهم مفازة[٣] من الأرض فعطشوا فقال لهم نبيهم ﴿إن اللَّه مبتليكم﴾ أي: مختبركم ﴿بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه﴾ يعني: ومن لم يشربه ﴿فإنه مني إلا من اغترف غرفةً بيده فشربوا منه إلا قليلًا منهم﴾ جعلوا يشربون منه ولا يروون، وأما القليل فكفتهم الغرفة، ورجع الذين عصوا وشربوا.

---

(١) هو الفُتات والدُّقاق.لسان العرب (رضض).

(٢) هو مكيال كان يكال به قديمًا، ويختلف مقداره في البلاد، ويعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلو جرامًا.
ينظر : لسان العرب ، المعجم الوسيط (قفز).

(٣) أي: صحراء.

قال يحيى: ﴿غرفة﴾ تُقرأ بفتح الغين ورفعها؛ فمن قرأها بالنصب[١]؛ يعني: غرفته التي اغترف مرةً واحدة، ومن قرأها بالرفع[٢]؛ أراد: الغرفة ملء[٣] اليد.

﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ قال الكلبي: وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا بِعدَّةِ أهل بدر ﴿قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالُوتَ وجنوده قال الذين يظنون﴾ [يعلمون][٤] ﴿أنهم ملاقو اللَّه كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرةً بإذن اللَّه واللَّهُ مع الصابرين﴾ قيل للحسن: أليس القوم جميعًا كانوا مؤمنين الذين جاوزوا؟! قال: بلى، ولكن تفاضلوا بما شحَّت أنفسهم من الجهاد في سبيله.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا﴾ يعني: أنزل علينا ﴿صبرًا وثبت أقدامنا﴾ أي: واجعل لنا الظَّفرَ عليهم .

﴿فهزموهم بإذن اللَّه وقتل داود جالوت وآتاه اللَّه الملك والحكمة﴾ قال

---

(١) أي: بفتح الغين.
(٢) أي: بضم الغين.
(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع بفتح الغين، وقرأ الباقون بضمها. ينظر : السبعة (١٨٧)، التيسير (٨١)، النشر (٢/ ٢٣٠).
(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

محمد: يعني: آتى اللَّه داود؛ لأنه مُلِّك بعد قتله جالوت ﴿وعلمه مما يشاء﴾ يعني: الوحي الذي كان يأتيه من اللَّه ﴿ولولا دفاع[1] اللَّه الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ تفسير قتادة: يبتلي المؤمن بالكافر، ويعافِي الكافر بالمؤمن.

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: ولولا دفاع اللَّه الكافرين بالمسلمين، لَكَثُر الكفر؛ فنزلت بالناس السُّخطة فاستؤصل أهل الأرض. ونصب ﴿بعضهم﴾ بدلًا من ﴿الناس﴾ المعنى: ولولا دفاع اللَّه بعض الناس ببعض[2].

﴿تلك آيات اللَّه نتلوها عليك بالحق﴾ قال محمد: معنى آيات اللَّه ها هنا: أعلامه التي تدل على توحيده، و﴿تلك﴾ بمعنى هذه.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ قال الحسن: يعني: بما آتاهم اللَّه من النبوة والرسالة ﴿منهم من كلم اللَّه ورفع بعضهم دَرَجَات﴾ قال

---

(١) هكذا قرأ المصنِّف (دفاع)؛ وهي قراءة نافع. وقرأ الباقون (دفع). ينظر: السبعة (١٨٧)، والتيسير (٨٢) والنشر (٢/ ٢٣٠).

(٢) وفيه أقوال أخر للنحاة. ينظر: إعراب القرآن (١/ ٢٧٩ - ٢٨٠) ومجمع البيان (١/ ٣٥٦) والبحر (٢/ ٢٦٩).

الحسن: يعني: في الدنيا على وجه ما أُعْطوا ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ قال محمد: يريد الأعلام التي تدل على إثبات نبوته من إبراء الأكمه[1] والأبرص[2]، وإحياء الموتى[3]، وغير ذلك ممَّا آتاه اللَّه، وقوله: ﴿تلك الرسل﴾ يريد: الجماعة ﴿وأيَّدناه﴾ يعني: عيسى عليه السلام أعنَّاه ﴿بروح القدس﴾ وروح القدس جبريل ﴿ولو شاء اللَّه ما اقتتل الذين من بعدهم﴾ قال قتادة: يعني: من بعد موسى وهارون.

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ يعني: الزكاة ﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خُلةٌ﴾ قال قتادة: ﴿ولا خلة﴾ أي: ولا صداقة[4]، إلا للمتقين ﴿ولا شفاعة﴾ أي: للمشركين ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ لأنفسهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

﴿اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ قال الحسن: القائم على كل نفسٍ بكسبها يحفظ عليها عملها حتى يجازيها به ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ قال الحسن: السِّنَةُ: النُّعَاس، والنَّوْم؛ يعني: النوم الغالب.

---

(١) الأكمه هو: الأعمى.
(٢) الأبرص هو: المصاب بالبرص، وهو داء يصيب الجلد فيتركه أبيض على غير لونه.
(٣) يريد قوله تعالى: ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن اللَّه﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقوله: ﴿وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني...﴾ الآية [المائدة: ١١٠].
(٤) في «ر»: ولا صدقة.

قال محمد: يقال: وَسِن الرجل يوسن وَسَنًا؛ إذا نعس[1].

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ كقوله: ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾[2] (ل٣٧) وكقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[3].

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الحسن: يعني: أول أعمالهم وآخرها ﴿ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء﴾ يعني: ما يعلمُ الأنبياء من الوحي ﴿وسع كرسيه السمٰوات والأرض﴾ [قال قتادة: يعني: ملأ كرسيه السمٰوات والأرض][4].

يحيى: عن المُعَلَّى بن هلال، عن عمار الدُّهني، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «إن الكرسي الذي وسع السمٰوات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قَدْرَ العرش إلا الذي خلقه»[5].

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (وسن).

(٢) سورة يونس آية: ٣ .

(٣) سورة الأنبياء آية: ٢٨ .

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٣٠٥ رقم ٣٧) بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٥٤ رقم ١٠٢٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩ رقم ١٢٤٠٤) وابن بطة في الإبانة - المختار من الإبانة (٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٢٦٩) من طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني به.
وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٣): ورجاله رجال الصحيح.
ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٠١ رقم ٥٨٦، ١/ ٣٠٣ - ٣٠٤ رقم ٥٩٠، ٢/ ٤٥٤ رقم ١٠٢٠، ٢/ ٤٧٦ - ٤٧٧ رقم ١٠٩١) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي (١/ ٣٩٩ - ٤٠٠، ٤١٢، ٤٢٣) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩ رقم ١٥٦ - ١٥٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩١ رقم ٢٦٠١) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش (٧٩ رقم ٦١) والدارقطني في الصفات (٣٥ - ٣٦ رقم ٣٦) وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٢ - ٥٥٣ رقم ١٩٦، ٢/ ٥٨٢ رقم ٢١٦، ٢/ ٥٨٤ رقم ٢١٧) وابن منده في الرد على الجهمية (٤٤ - ٤٥ رقم ١٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٢) والخطيب =

﴿ولا يئوده حفظهما﴾ قال مجاهد: أي: لا يثقل عليه.

قال محمد: يقول: آدَهُ الشيء يَئُودُهُ، وفيه لغةٌ أخرى: وَأَدَهُ يَئِدُه[1].

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ تفسير سعيد بن جبير: قال: كان قومٌ من أصحاب النبي عليه السلام استرضعوا أولادهم في اليهود في الجاهلية، فكبروا على اليهودية؛ فلما جاء الإسلام، وأسلم الآباء، أرادوا أن يكرهوا أبناءهم على الإسلام فأنزل اللَّه: ﴿لا إكراه في الدين قد تبَّين الرشد من الغي﴾ يعني: الهدى من الضلالة ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ بالشيطان ﴿ويؤمن باللَّه فقد استمسك بالعروة الوُثْقَى لا انفصام لها﴾ أي: لا انقطاع لها.

= في تاريخه (٩/ ٢٥١ - ٢٥٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٩٦ رقم ٧٥٨) وغيرهم من طريق عمار الدهني عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ورواه شجاع بن مخلد عن أبي عاصم عن سفيان الثوري، عن عمار الدهني، بهذا الإسناد مرفوعًا، خرجه ابن منده في الرد على الجهمية (٤٤ - ٤٥ رقم ١٥) والخطيب في تاريخه (٩/ ٢٥١) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٢ رقم ٤) وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٩).

قال ابن الجوزي: وهم شجاع في رفعه.

وقال الذهبي في الميزان (٢/ ٢٦٥): أخطأ شجاع فرفعه.

وأشار إلى ذلك ابن منده والخطيب وغيرهما.

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (وأد).

﴿اللَّه ولي الذين آمنوا﴾ قال الحسن: وليُّ هداهم وتوفيقهم ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ من الهُدَى إلى الضلالة .

قال محمد: والطَّاغوت ها هنا واحِدٌ في معنى جماعةٍ؛ وهذا جائز في اللغة(١)؛ إذا كان في الكلام دليلٌ على الجماعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه اللَّه الملك﴾ الذي حاجَّ إبراهيم في ربه هو نُمْرُوذُ؛ في تفسير قتادة. قال قتادة: وهو أول ملك تجبَّر في الأرض، وهو صاحب الصرح [الذي بُني](٢) ببابل ﴿إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾ قال قتادة: ذُكر لنا أن نُمْرُوذ دعا برجلين فقتل أحدهما، واسْتَحْيَى الآخر؛ فقال: أنا أحيي وأميت؛ أي: أستحيي من شئت، وأقتل من شئت ﴿قال إبراهيم فإن اللَّه يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فَبُهِتَ الذي كفر﴾ قال محمد: يعني: انقطعت حُجَّته ﴿واللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: المشركين الذين يلقون اللَّه بشركهم؛ أي: لا يهديهم إلى الحجّة، ولا يهديهم من الضلالة إلى دينه.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ

---

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (طغى).
(٢) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾

﴿أو كالذي مرَّ على قريةٍ﴾ قال محمد: المعنى: هل رأيت كذلك أو كالذي مرَّ على قرية؟! على طريق التعجُّب .

﴿وهي خاويةٌ على عروشها﴾ قال محمد: يعني: وهي خرابٌ على سقوفها، والأصل في ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها .

﴿قال أنى يحيي هذه اللَّه بعد موتها﴾ قال قتادة: هو عزير، والقرية بيت المقدس بعد ما خرَّبه بُخْتُنَصَّر، فقال: أنَّى تُعْمَرُ هذه بعد خرابها؟! ﴿فأماته اللَّه مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثتُ يومًا أو بعض يوم﴾ ذُكر لنا أنه مات ضُحَى، وبُعِثَ قبل غروب الشمس، فقال: لبثت يومًا، ثم التفت، فرأى بقية من الشمس من ذلك اليوم، فقال: أو بعض يوم ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ﴾ أي: لم يتغيَّرْ. قال الكَلْبي: كان معه سلتان: سلةٌ من تين، وسلةٌ من عنب، وزِقٌّ[1] فيه عصير. ﴿وانظر إلى حمارك﴾ فنظر إلى حماره فإذا هو عظامٌ بالية، فرأى العظام قد تحرَّكت، وسعى بعضها إلى بعض، وجاء الرأس إلى مكانه، ثم رأى العصب والعروق أُلقيت عليها، ثم وُضع عليها اللحم، ثم بُسط عليها الجلد، ثم نُفخ فيه الروح؛ فإذا هو قائم ينهق فخرَّ عُزَير ساجدًا ﴿قال أعلم أن اللَّه على كل شيءٍ قدير﴾ .

(١) أي: إناء. ينظر: لسان العرب، الوسيط (زقق).

قال يحيى: قرأها قوم [﴿ننشزها﴾ بالزاي، وقوم آخرون: ﴿كيف ننشرها﴾ وهو أجود الوجهين][١] وتصديقه في كتاب الله ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾[٢].

(ل٣٨) قال محمد: من قرأ ﴿ننشزها﴾ بالزاي[٣]، فالمعنى: نُحرِّك بعضَها إلى بعض ونزعجه[٤]؛ ومنه يقال: نشزت المرأة على زوجها[٥].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى...﴾ الآية.

قال يحيى: بلغنا أن إبراهيم عليه السلام خرج يسير على حمارٍ له؛ فإذا هو بجيفة دابة يقع عليها طَيْر السماء، فيأخذ منها بضعة بضعة، وتأتيها سباع البر؛ فتأخذ منها عضوًا عضوًا، ويقع من أفواه الطير اللحم، فتأخذه الحيتان.

فقام إبراهيم عليه السلام متعجِّبًا، فقال: يا ربِّ، أرني كيف تحيي الموتى؟! ﴿قال أو لم تؤمن قال بلى﴾ يارب، قد آمنت، ولكن لأعلم؛ حتى يطمئن قلبي - يعنـي: يسكن - كيف تجمع لحم هذه الدابة بعد ما أرم[٦].

فقال له: ﴿فخذ أربعة من الطير فصُرْهُنَّ إليك﴾ قال محمد: يعني:

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) سورة عبس: ٢٢.
(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع «ننشرها» بالراء، وقرأ الباقون «ننشزها» بالزاي. ينظر: السبعة (١٨٩)، التيسير (٨٢)، النشر (٢/ ٢٣١).
(٤) ينظر الدر المصون (١/ ٦٢٧).
(٥) ينظر: لسان العرب، المصباح المنير (نشز).
(٦) أي: فسد، وصار رِمَّةً. ينظر لسان العرب (أرم، رمم) وكُتبت في الأصل: أرى. وهو خطأ.

فضمَّهن إليك؛ تقول: صُرْتُ الشيء فانصار؛ أي: أملته فمال[١] .

﴿ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا﴾ قال محمد: يعني: فقطِّعهن، ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا؛ فاختصر «فقطِّعهن».

﴿ثم ادعهنَّ يأتينك﴾ قل: تعالين بإذن اللَّه يأتينك ﴿سعيًا﴾ أي: مشيًا على أرجلهن.

قال يحيى: فأخذ أربعة أطيار مختلفة ألوانها وأسماؤها وريشها، أخذ ديكًا وطاوسًا وحمامةً وغرابًا؛ فقطع أعناقها[٢]، ثم خلط ريش بعضها ببعضٍ، ودماء بعضها ببعض، ثم فرَّق بينها على أربعة أَجْبُل؛ فنوديت من السماء بالوحي أيتها العظام المتفرقة، وأيتها اللحوم المتمزِّقة، وأيتها العروق المتقطِّعة اجتمعي يرجع اللَّه فيك أرواحك، فجعل يجري الدم إلى الدم، وتطير الريشة إلى الريشة، ويَثِبُ العظم إلى العظم؛ فعلق عليها رءوسها، وأدخل فيها أرواحها؛ فقيل: يا إبراهيم إن اللَّه حين خلق الأرض وضع بيته في وسطها، وجعل الأرض أربع زوايا، والبيت أربعة أركان؛ كل ركن في زاوية من زوايا الأرض؛ فأرسل عليها من السماء أربعة أرياح: الشَّمال[٣]، والجَنُوب[٤]، والدَّبور[٥]، والصَّبا[٦]؛ فإذا نفخ في الصور يوم القيامة، اجتمعت أجسادُ القتلى والهَلْكى من أربعة أركان الأرض، وأربع زواياها كما اجتمعت أربعة

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (صير).
(٢) في الأصل: أعناقهما. على التثنية. وهو خطأ. وفي «ر»: أعناقهن.
(٣) الشمال: الريح التي تهب من جهة الشمال؛ ولذا سميت بها.ينظر اللسان (شمل).
(٤) الجنوب: الريح التي تهب من جهة الجنوب؛ ولذا سميت بها.ينظر اللسان (جنب).
(٥) الدبور: الريح التي تهب من المغرب. ينظر اللسان، الوسيط (دبر).
(٦) الصَّبا: الريح التي تهب من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار. ينظر: اللسان، الوسيط (صبو).

أطيار من أربعة أجْبُلٍ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللَّه . . .﴾ الآية.

يحيى: عن المعلَّى بن هلال، عن عثمان بن عطاءٍ، عن أبيه قال: بلغنا أنه مَنْ جهَّز غيره بماله في سبيل اللَّه، كان له بكل درهَم سبعمائة ضعف، ومن خرج بنفسه وماله - كُتِبَ له بكل درهمٍ سبعمائة ضعف، وبكل ضعفٍ سبعون ألف ضعف.

﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللَّه﴾ يعني: في طاعة اللَّه ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أذًى لهم أجرهم عند ربهم﴾ تفسير قتادة: قال: علم اللَّه أنَّ ناسًا يمنُّون في عطيَّتهم، فنهى عن ذلك.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

﴿قولٌ معروفٌ﴾ أي: حسنٌ ﴿ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى﴾ أي: يمنُّ بها على من تصدق عليه بها.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتِكم بالمن والأذى﴾ تفسير الحسن: قال: كان بعض المؤمنين يقول: فعلت كذا، وانفقت كذا؛ فقال اللَّه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ فيصير مثلكم فيما يحبطه اللَّه من أعمالكم ﴿كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باللَّه واليوم الآخر﴾ وهو المنافق ﴿فمثله كمثل صفوان عليه تراب﴾ قال قتادة: الصفوان: الحجر[١] ﴿فأصابه وابل﴾ مطرٌ شديد[٢] ﴿فتركه صلدًا﴾ أي: نقيًّا ﴿لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا﴾ هذا مثلٌ ضربه اللَّه - تعالى - لأعمال الكفار يوم القيامة ؛ يقول: ﴿لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا﴾ يومئذٍ؛ كما ترك المطر الوابل هذا الحجر ليس عليه شيءٌ.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات اللَّه وتثبيتًا من أنفسهم﴾ (ل٣٩) قال الحسن: يعني: احتسابًا فمثلهم في نفقتهم ﴿كمثل جنَّةٍ بربوةٍ﴾ يعني: مكانًا مرتفعًا من الأرض ﴿أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين﴾ أي:

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (صفو).
(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (وبل).

مرتين ﴿فإن لم يصبْها وابلٌ فطلٌّ﴾ الطل: أضعف من المطر[١]. قال الحسن: يقول: لا يخلف خيرها على كل حالٍ؛ فكذلك لا يخلفهم اللَّه نفقتهم أن يصيبوا منها خيرًا.

﴿أيودُّ أحدكم أن تكون له جنَّةٌ...﴾ إلى قوله: ﴿فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ﴾ قال مجاهد: يعني: ريحًا شديدة فيها سموم ﴿فاحترقت﴾ يقول: أَمِنكم مَن يودُّ ذلك؟! أي: ليس منكم من يوده فاحذروا ألَّا تكون منزلتكم عند اللَّه كذلك؛ أحوج ما تكونون إلى أعمالكم يُحْبِطُها ويبطلها؛ فلا تقدرون منها على شيء؛ وهذا مثلُ المفرط في طاعة اللَّه حتى يموت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ تفسير الحسن: هذا في النفقة الواجبة؛ كانوا يتصدَّقون بأرْدَإ دراهمهم، وأردإ طعامهم؛ فنهاهم اللَّه عن ذلك؛ فقال: ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ وهو الرديءُ ﴿منه تنفقون﴾ قال محمد: ﴿لا تيمموا﴾ يعني: لا تقصدوا[٢] ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ تفسير الكلبي: يقول: لو كان لبعضكم على بعضٍ حقٌّ فأُعْطِيَ دون حقه - لم يأخذْه منه، إلا أن يرى أنه قد تغامض له عن بعضِ حقه؛ وكذلك [قول][٣] اللَّه لا تستكملوا الأجر كُلَّه، إلا أن يتغمدكم منه برحمةٍ ﴿واعلموا أنَّ اللَّه غنيٌّ حميدٌ﴾ غني عما

---

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (طلل).
(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، الوسيط (يمم).
(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

عندكم لمَنْ بخل بصدقته، حميدٌ لمَنْ احتسبَ بصدقته.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

﴿الشيطان يعدكم الفقرَ﴾ يخبرهم أنهم حين ينفقون الرديء إنما هو ما يلقي الشيطان في قلوبهم من الفقر ﴿واللَّه يَعدُكم﴾ على ما تنفقون ﴿مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلًا﴾ قال الحسن: يعني: جَنَّةً ﴿واللَّهُ واسعٌ عليم﴾ واسعٌ لخلقه، عليم بأمرهم.

قوله: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ يعني: الفقه في القرآن ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ أولو العقول؛ وهم المؤمنون ﴿وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذرتم من نذرٍ فإنَّ اللَّهَ يعلمه﴾ يعني: يحصيه ﴿وما للظالمين﴾ المشركين ﴿من أنصارٍ﴾.

﴿إن تُبدوا الصدقات﴾ يعني: الزكاة ﴿فنعِمَّا هي وإن تخفوها﴾ يعني: صدقة التطوع ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم ونُكفر عنكم من سيئاتكم﴾.

قال محمد: القراءة ﴿نكفرْ﴾ بالجزم[1]؛ على موضع ﴿خير لكم﴾؛ لأنَّ المعنى يكن خيرًا لكم.

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير وأبو بكر بن عاصم «نكفرُ» بالنون والرفع، وقرأ حمزة ونافع والكسائي «نكفرْ» بالنون والجزم، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم «يكفرُ» بالياء والرفع. ينظر: السبعة (١٩١)، التيسير (٨٤)، النشر (٣٦/٢).

قال يحيى: وسمعتُهم يقولون: يستحبُ أن تكون الزكاة علانيةً، وصدقة التطوع سِرًّا.

يحيى: عن مالك بن سليمان، عن الحسن، عن كعب بن عُجرة قال: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «يا كعْبُ بْن عُجْرة؛ الصلاةُ برهان، والصومُ جنَّةٌ، والصدقَةُ تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ. يا كعبُ بن عُجْرة؛ الناسُ غاديان: فغادٍ فمشترٍ رقبتَهُ فمُعْتِقُها، وغادٍ فبائِعٌ رقبتَه فمُوبقها[1]»[2].

---

(١) أي: مهلكها. ينظر لسان العرب (وبق)

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٦٠ رقم ٣٥٧) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١٨٨) من طريق الحسن مختصرًا.
ورواه الترمذي (٢/ ٥١٢ - ٥١٤ رقم ٦١٤، ٦١٥) والطبراني في الكبير (١٩/ ١٠٥ - ١٠٦ رقم ٢١٢) من طريق طارق بن شهاب عن كعب بن عجرة.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عُبيد اللَّه بن موسى، وأيوب بن عائذ الطائي يضعف، ويقال: كان يرى رأي الإرجاء، وسألت محمدًا عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عُبيد اللَّه بن موسى، واستغربه جدًّا.
ورواه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٦٢ رقم ٣٦١) والأوسط (٣/ ١٣٩ - ١٤٠ رقم ٢٧٣٠) وابن حبان (١/ ٣٧٨ - ٣٧٩ رقم ٥٥٦٧) من طريق أبي بكر بن بشير عن كعب بن عجرة.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣١): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.
ورواه الطبراني في الصغير (١/ ٢٢٤ - ٢٢٥) والكبير (١٩/ ١٣٥ - ١٣٦ رقم ٢٩٨) من طريق عاصم العدوي عن كعب بن عجرة.
ورواه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٤١ رقم ٣٠٩) من طريق الشعبي عن كعب بن عجرة.
ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٢/ ٣٠٣) من طريق المثنى بن الصباح، عن عطاء بن عباس، عن كعب بن عجرة، وقال ابن عبد البر: المثنى بن الصباح ضعيف الحديث لا حجة في نقله.
ورواه عبد الرزاق (١١/ ٣٤٥ - ٣٤٦رقم ٢٠٧١٩) وأحمد (٣/ ٣٢١) وعبد بن حميد (٣٤٥ رقم ١١٣٨) وأبو يعلى (٣/ ٤٧٥ - ٤٧٦ رقم ١٩٩٩) وابن حبان (٥/ ٩ رقم ١٧٢٣) والحاكم (٤/ ٤٢٢) وغيرهم عن جابر بن عبد اللَّه أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة، فذكره.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه مسلم (١/ ٢٠٣ رقم ٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري بنحوه.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

﴿ليس عليك هداهم...﴾ الآية تفسير قتادة: قال: ذُكِرَ لنا أنَّ رجلًا من أصحاب النبيِّ قال: [ليس علينا هدى][(١)] على من ليس من أهل ديننا؛ فأنزل اللَّه: ﴿ليس عليك هداهم ولكن اللَّهَ يهدي من يشاء وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم﴾.

قال يحيى[(٢)]: فهذه الصدقة التي هي على غير المسلمين هي تطوع، ولا يُعْطَوْن من الواجب شيئًا.

﴿للفقراء الذين أُحصروا في سبيل اللَّه لا يستطيعون ضَرْبًا في الأرضِ﴾

قال الحسن: أحصرهم الفقر، وهم أهل تعفُّفٍ ﴿يحسبهم الجاهل﴾ بفقرهم ﴿أغنياء من التعفُّفِ تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافًا﴾ أي: إلحاحًا. قال مجاهد: هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر اللَّه بالصدقة عليهم.

---

(١) في الأصل: أتصدق. والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: الحسن.

﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار . . .﴾ الآية نزلت في عَلَف الخيل .

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون﴾ يعني: من قبورهم يوم القيامة ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ﴾ يعني: الخَبَل [يعني مجنون، تقول: رجل مجنون، أي: مخبول؛ كذلك آكل الربا][1] .

يحيى: عن حمَّادٍ [عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري][2] أنَّ رسول اللَّه ﷺ حدَّث عن ليلة أسري (ل٤٠) به، فكان في حديثه: «فإذا أنا برجالٍ بطونهم كالبيوت، يقومون فيقعون لظهورهم ولبطونهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! فقال: هؤلاء أكلة الربا. ثُمَّ تلا هذه الآية ﴿الذين يأكلون الربا . . .﴾ الآية»[3] .

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» وسيأتي هذا الحديث بإسناده في تفسير سورة الإسراء مطولًا جدًّا.

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (١/ ١٤٧ - ١٥٠ رقم ١٤٦)- عن داود بن المحبر عن حماد بن سلمة بنحوه في حديث طويل.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٦٥ - ٣٧٠) والطبري في تفسيره (١٥/ ١١ - ١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٣) - والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٩٠ - ٣٩٦) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٥٠٩ - ٥١٦) والبغوي في تفسيره (١/ ٣٤١) والأصبهاني - كما في الترغيب والترهيب (٣/ ٩) - من طرق عن أبي هارون العبدي بنحوه.
=

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ هو الذي كانوا يعملون به في الجاهلية؛ إذا حَلَّ دَيْنُ أحدهِمْ على صاحبه، قال المطلوب: أَخِّرني[1] وأزيدك؛ فكانوا في الإسلام إذا فعلوا ذلك، قال لهم المسلمون: إنَّ هذا رِبًا. قالوا: لا، سواءٌ علينا زدنا في أول البيع، أو عند محلِّ الأجل؛ فأكذبهم اللَّهُ؛ فقال: ﴿وأحل اللَّه البيع وحرَّم الربا فمن جاءه موعظةٌ من ربه﴾ يعني: البيان الذي في القرآن في تحريم الربا ﴿فانتهى فله ما سلف﴾ أي: غفر اللَّه له ما سلف ﴿وأمره إلى اللَّه﴾ إن شاء عصمه منه بعد، وإن شاء لم يفْعَل ﴿ومن عاد﴾ فاستحلَّ الربا ﴿فأولئك أصحاب النار﴾ .

قال محمَّد: المعنى: من استحل الربا وقال: هو مثلُ البيع، واعتقد ذلك بعد نَهْي اللَّه عنه - فهو كافر .

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

= وضعفه البيهقي، وقال المنذري في الترغيب (٣/ ٩): رواه الأصبهاني أيضًا من طريق أبي هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين، وهو واهٍ.

وقال الذهبي في السيرة النبوية (٢٢٥ - ٢٢٦): هذا حديث غريب عجيب، وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكًا.

وذكر ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣) أن فيه غرابة ونكارة، وأن أبا هارون العبدي اسمه عمارة ابن جوين مضعف عند الأئمة.

وقال البوصيري في الإتحاف (١/ ١٥٠): هذا حديث مداره على أبي هارون العبدي، وهو ضعيف.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥٨) لابن المنذر وابن مردويه أيضًا.

(١) في الأصل: أخر عني. والمثبت من «ر».

﴿يمحقُ اللَّهُ الربا﴾ يعني: يَمْحَقُه يوم القيامة، فيبطله ﴿ويربي الصدقات﴾ لأهلها؛ أي: يضاعفها.

يحيى: عن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما تصدَّق عبدٌ بصدقةٍ فتقع في يد السائل؛ حتى تقع في يد اللَّه، ثمَّ يُرَبِّيهَا لصاحبها كما يُرَبِّي أحدُكم فلوَّهُ[(١)] أو فصيلَهُ[(٢)]؛ حتى تصير اللقمةُ مثل أُحُد»[(٣)].

﴿واللَّه لا يحب كلَّ كفارٍ أثيم﴾ والكفر أعظم الإثم ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني: ما افترض اللَّه عليهم ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ يعني: الجنَّة ﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا

---

(١) الفلو: هو المهر الصغير. وقيل غير ذلك. ينظر لسان العرب (فلو).

(٢) الفصيل: ولد الناقة. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (فصل).

(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٣٨ - ١٣٩ رقم ٧٣، ٧٤) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري.

ورواه مسلم (٢/ ٧٠٢ رقم ١٠١٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٧٢ رقم ٤٣، ٧٦ - ٧٧ رقم ٥٠) من طريق سعيد المقبري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة.

وقال ابن منده: وهذا حديث ثابت باتفاق، وله طرق عن أبي هريرة، منها أبو صالح السمان وأبو سعيد الخدري.

قلت: طريق أبي صالح عن أبي هريرة، رواه البخاري (٣/ ٣٢٦ رقم ١٤١٠) ومسلم (٢/ ٧٠٢ رقم ١٠١٤/ ٦٤).

ومن طرقه أيضًا حفص بن عاصم، والقاسم بن محمد، وأبو سلمة، كلهم عن أبي هريرة، وقد خرجتها في تخريجي لكتاب «التوحيد» لابن خزيمة.

تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وذروا ما بقي من الربا﴾ يعني: ما بقي مما أربوا فيه في الجاهلية ألا يأخذوه، وما أخذوا قبل إسلامهم فهو حلالٌ لهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني: إذ كنتم مؤمنين.

﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من اللَّه ورسوله﴾ أي: فاعلموا أنكم بحربٍ من اللَّه ورسوله، وأنكم مشركون.

قال محمد: من قرأ ﴿فآذنوا﴾ غير موصولة فهو من: آذن يُؤْذِن؛ أي: أعلم، ومن قرأها موصولةً فهي من: أذِن يَأْذَن؛ إذا أصغى للشيء وسمعه(١).

﴿وإن تبتم﴾ أي: أسلمتم ﴿فلكم رءوس أموالكم﴾ يقول: يبطل الفضل إذا كان بقي دَيْنًا على المطلوب ﴿لا تَظْلِمُون﴾ فتأخذون الفضل ﴿ولا تُظْلَمُون﴾ من رُءوس أموالكم شيئًا.

﴿وإن كان ذو عسرةٍ فنظرة إلى ميسرة﴾ .

قال محمد: ﴿ذو عسرة﴾ بالرفع؛ هو على معنى: فإن وقع ذُو عسرة(٢).

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «رحم اللَّه من يسَّر على معسر، أو محا عنه»(٣).

---

(١) قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم «فآذنوا»، وقرأ الباقون «فأذنوا» ينظر: السبعة (١٩٢) التيسير (٨٤)، النشر (٢/ ٢٣٦).

(٢) ينظر إعراب القرآن (١/ ٢٩٥) البحر المحيط (٢/ ٣٤٠)، الدر المصون (١/ ٦٦٨).

(٣) لم أقف عليه بهذا الإسناد، والله أعلم.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التَّوْءَمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أنظر معسرًا، أو وضع له، أظلَّه اللَّه في ظلِّه يوم القيامة»[(١)].

قوله: ﴿وأن تصدقوا خير لكم﴾ [قال الحسن][(٢)] أي: خير لكم في يوم ترجعون فيه إلى اللَّه ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى اللَّه ثم تُوَفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ يعني: لا ينقصون؛ يعني: المؤمنين يوفون حَسَناتهم يوم القيامة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٥٩) والترمذي (٣/ ٥٩٩ رقم ١٣٠٦) والبيهقي في الشعب (٧/ ٥٣٥ رقم ١١٢٤٩) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
ورواه مسلم (٤/ ٢٣٠٢ رقم ٣٠٠٦) عن أبي اليسر ﷺ.
وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر الدر المنثور (١/ ٣٨٠ - ٣٨١).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿وليكتبْ بينكم كاتب بالعدل﴾ أي: لا يزيد على المطلوب، ولا ينقص من حق الطالب ﴿ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه اللَّه﴾ الكتابة، وترك غيره فلم يعلّمه ﴿فليكتبْ وليمللْ الذي عليه الحق﴾ يعني: المطلوب ﴿وليتقِ اللَّهَ ربَّه ولا يبخس منه شيئًا﴾ (ل٤١) أي: لا ينقص من حق الطالب[١] ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهًا﴾ [يعني: جاهلًا][٢] ﴿أو ضعيفًا﴾ يعني: في عقله ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ يعني: الذي عليه الحق ﴿فليملل وليه﴾ أي: ولي الحق ﴿بالعدل﴾ لا يزدَادُ شيئًا.

قوله: ﴿أن تضل إحداهما﴾ أي: تنسى إحداهما الشهادة ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ أي: تذكر التي حفظت شهادتها الأخرى.

قال محمد: من قرأ ﴿أنْ تضل﴾ بفتح الألف[٣]؛ فعلى معنى: من أجل أن تضل؛ كذلك قال قُطْرب[٤]، ولغيره من النحويين فيه قولٌ غير هذا[٥]؛ فاللَّه أعلم.

---

(١) في «ر»: المطلوب. وهو خطأ.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) قرأ حمزة «إن تضل» بكسر الهمزة، وقرأ الباقون «أن تضل» بفتحها . ينظر السَّبعة (١٩٤)، التيسير (٨٥)، النشر (٢/ ٢٣٧).

(٤) هو: محمد بن المستنير أبو علي النحوي، من تلاميذ سيبويه توفي (٢٠٦هـ) ينظر: إنباه الرواة (٣/ ٢١٩)، طبقات النحويين واللغويين (٩٩ - ١٠٠).

(٥) ينظر تفصيل ذلك في إعراب القرآن (١/ ٢٩٨)، البحر (٢/ ٣٤٨)، الدر المصون (١/ ٦٧٦).

﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا﴾ تفسير قتادة: قال: كان الرجل يأتي الحي العظيم يطلب منهم من يشهد، فلا يتبعه منهم رجل، فنهى عن ذلك. قال الحسن: وإن وجد غيره فهو واسع. ﴿ولا تسأموا﴾ أي: لا تملوا ﴿أن تكتبوه﴾ يعني: الحق. ﴿صغيرًا أو كبيرًا إلى أجله ذلكم أقسط﴾ أي: أعدل ﴿وأقوم للشهادة﴾ أي: أصوب ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ أي: أجدر ألا تشكوا؛ إذا كان ذلك مكتوبًا ﴿إلا أن تكون تجارةٌ[(١)] حاضرة﴾ أي: حالّة ﴿تديرونها بينكم﴾ ليس فيها أجَلٌ ﴿فليس عليكم جناحٌ﴾ حرج ﴿ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ يعني: أشهدوا على حقكم؛ كان فيه أجل أو لم يكن.

قال الحسن: وهذا منسوخٌ؛ نسخه ﴿فإن أمن بعضكم بعضًا﴾[(٢)].

﴿ولا يضارّ كاتبٌ ولا شهيد﴾ تفسير مجاهد: لا يقام عن شغله وحاجته، فيجد في نفسه، أو يحرج.

قال يحيى: وبلغني عن عطاء؛ أنه قال: هي في الوجهين جميعًا إذا دعي ليُشهَد، أو ليشهد بما عنده.

﴿وإن تفعلوا﴾ أي: تضاروا الكاتب والشاهد ﴿فإنه فسوقٌ بكم﴾ أي: معصية ﴿واتقوا اللَّه﴾ أي: لا تعصوه فيهما.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ

---

(١) هكذا ضبطت في الأصل و«ر» بالرفع، وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا؛ فقد قرأ بالنصب. ينظر: السبعة (١٩٤)، التيسير (٨٥)، النشر (٢/ ٢٣٧).

(٢) البقرة: ٢٨٣ . وينظر: الناسخ والمنسوخ لهبة اللَّه بن سلامة (٢٧).

تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبًا فرهانٌ مقبوضة فإن أمن بعضُكمْ بعضًا﴾ يعني: فإن كان الذي عليه الحقُّ أمينًا عند صاحب الحق، فلم يرتهن منه في السفر؛ لثقته به ﴿فليؤدِّ الذي اؤتمن أمانته﴾ أي: ليؤدِّ الحق الذي عليه.

﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ أي: عند الحكام ﴿ومن يكتمها﴾ فلا يشهد؛ إذا دُعِي ﴿فإنه آثم قلبه﴾.

يحيى: عن المبارك، عن الحسن قال: سمعت أبا سعيدٍ الخدريَّ يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يمنعنَّ أحدَكمَ مخافةُ الناس أن يقول الحق إذا شهده أو علمه»(١).

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٥٠، ٧١) وأبو يعلى (٢/ ٥٣٦ - ٥٣٩ رقم ١٤١١) والطبراني في الأوسط (٣/ ١٦٢ رقم ٢٨٠٤) من طريق الحسن به.

ورواه أحمد (٣/ ٥، ١٩، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٨٤، ٨٧، ٩٢) والطيالسي (٢٨٦ رقم ٢١٥١، ٢٨٧ رقم ٢١٥٨) وعبد الرزاق (١١/ ٣٤٦ - ٣٤٧ رقم ٢٠٧٢٠) والترمذي (٤/ ٤١٩ - ٤٢٠ رقم ٢١٩١) وابن ماجه (٢/ ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٧) وابن حبان (١/ ٥٠٩ رقم ٢٧٥، ١/ ٥١١ - ٥١٢ رقم ٢٧٨) والطبراني في الأوسط (٥/ ١٤٤ - ١٤٥ رقم ٤٩٠٦) والبيهقي في سننه (١٠/ ٩٠) من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه أحمد (٣/ ٤٧ - ٤٨، ٧٣) وعبد بن حميد (٣٠٠ - ٣٠١ رقم ٩٧١، ٩٧٢) وابن ماجه (٢/ ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٨) والدارقطني في العلل (١١/ ٣٥٤) من طريق أبي البختري عن أبي سعيد.

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ٢٤٢ رقم ١٤٠٩): هذا إسناد صحيح.

ورواه أحمد (٣/ ٨٤) والطيالسي (٢٩٣ رقم ٢٢٠٦) عن أبي البختري عن رجل عن أبي سعيد.

وصحح الدارقطني في العلل (١١/ ٣٥٣ - ٣٥٤ رقم ٢٣٣٦) هذا الطريق.

﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللَّه﴾ تفسير قتادة: قال: نزلت هذه الآيةُ، فكبُرتْ عليهم، فأنزل اللَّه بعدها آية فيها يُسْرٌ وتخفيف؛ فنسختها ﴿لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت﴾[1] أي: من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ أي: من شرٍّ.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه تجاوز لأمَّتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تتكلَّم به»[2].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

﴿آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه . . .﴾ الآية قال الحسن: هذا دعاء أمر اللَّه رسوله والمؤمنين أن يدعوا به ﴿لا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها﴾ إلا طاقتها؛ وهذا في حديث النَّفْس ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قوله: ﴿إن نسينا﴾ هذا فيما يتخوَّف فيه العبدُ المأثم؛ أن ينسى أن يعمل بما أُمِرَ به،

---

(١) البقرة: ٢٨٦ . وينظر الناسخ والمنسوخ (٢٧ - ٢٨).

(٢) رواه مسلم (١/ ١١٦ - ١١٧ رقم ١٢٧/ ٢٠٢) من طريق سعيد وهو ابن أبي عروبة. ورواه البخاري (٥/ ١٩٠ رقم ٢٥٢٨، ٩/ ٣٠٠ رقم٥٢٦٩، ١١/ ٥٥٧ رقم ٦٦٦٤) ومسلم (١/ ١١٦ - ١١٧ رقم ١٢٧) من طرق عن قتادة.

أو ينسى فيعمل بما نُهِي عنه ﴿أو أخطأنا﴾ هذا فيما يتخَّوف فيه العبد المأثم؛ أن يخطئ، فيكون منه أَمْرٌ يخاف فيه المأثم لم يتعمَّده.

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرًا﴾ أي: ثقلًا[1] ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ يعني: ما كان شدَّد به على بني إسرائيل؛ وكان من ذلك الإصر ما كان حرَّم عليهم من الشَّحوم، وكل ذي ظُفُر، وأمر السَّبْت، وكل ما كان عهد إليهم ألا يفعلوه مما أُحِلَّ لنا ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ يعني: الوسوسة؛ في تفسير ابن عباس.

يحيى: عن المبارك، عن أبي هريرة[2] «أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه (ل٤٢) إني لأُحدِّث نفسي بالشيء ما يسرُّني أني تكلمت به، وأن لي الدنيا. قال: ذلك محض الإيمان[3]»[4].

﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ قال الحسن: هذا دعاءٌ أمر اللَّه به النبي ﷺ والمؤمنين، وقد أخبر اللَّه النبي أنه قد غفر له.

يحيى: عن هشام، عن قتادة قال: قال رسول اللَّه عليه السلام: «إن اللَّه كتب

---

(١) ينظر لسان العرب، المصباح المنير، مختار الصحاح (إصر).

(٢) في ر: عن الحسن. والمبارك هو ابن فضالة روايته عن الحسن مشهورة، والحديث عن أبي هريرة مشهور، واللَّه أعلم..

(٣) وفي صحيح مسلم: «صريح الإيمان» قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٠): أي كراهتكم له وتفاديكم منه صريح الإيمان، والصريح: الخالص من كل شيء، وهو ضد الكناية، يعني أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم حتى يصير ذلك وسوسة لا تتمكن في قلوبكم ولا تطمئن إليه نفوسكم، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان؛ لأنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيمانًا صريحًا.

(٤) رواه مسلم (١/ ١١٩ رقم ١٣٢) عن أبي صالح عن أبي هريرة.
ورواه مسلم (١/ ١١٩ رقم ١٣٣) عن ابن مسعود.

كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة، فوضعه تحت العرش، فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة؛ لا تقرآن في بيت، فيقربه الشيطانُ ثلاث ليال: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه...﴾ إلى آخر السورة»[١].

❋ ❋ ❋

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٢) والترمذي (٥/ ١٤٧ رقم ٢٨٨٢) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٠ رقم ١٠٨٠٢، ١٠٨٠٣) والدارمي في مسنده (٢/ ٥٤٢ رقم ٣٣٨٧) وابن حبان (٣/ ٦١ - ٦٢ رقم ٧٨٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٦٢، ٢/ ٢٦٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٦٤ - ٥٦٥ رقم ٤٩٠) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٦٦ - ٤٦٧ رقم ١٢٠١) عن النعمان بن بشير.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البغوي: هذا حديث غريب.

تفسير سورة آل عمران
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ۝٥ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦﴾

قوله: ﴿الم اللَّه لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ «الحي» الذي لا يموت، «القيوم» قال الحسن: يعني: القائم على كل نفسٍ بكسبها حتى يجزيها به ﴿نزَّل عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق مصدقًا لما بين يديه﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل﴾ يعني: من قبل القرآن ﴿ هدًى للناس﴾ يعني: أنزل هذه الكتب جميعًا هدًى للناس ﴿وأنزل الفرقان﴾ تفسير قتادة: فرق اللَّه في الكتاب بين الحقِّ والباطل.

﴿إن الذين كفروا بآيات اللَّه﴾ تفسير الحسن: يعني: بدين اللَّه.

﴿واللَّه عزيز﴾ في نقمته ﴿ذو انتقام﴾ من أعدائه ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ كقوله: ﴿فِىٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[1].

﴿هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا

(١) الانفطار: ٨ .

ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات﴾ تفسير مجاهد: ﴿هن أم الكتاب﴾، يعني: ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك منه المتشابه.

﴿فأما الذين في قلوبهم زيغٌ...﴾ الآية. كان الحسن يقول: نزلت في الخوارج. قال الحسن: ومعنى ﴿ابتغاء الفتنة﴾: طلب الضلالة. قال محمد: الفتنة تتصرَّف على ضروب(١)؛ فكان الضربُ الذي ابتغاه هؤلاء إفسادَ ذات البَيْنِ في الدِّين، ومعنى ﴿الزيغ﴾: الجَوْر، والميل عن القصد(٢).

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن أيوب، عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقال: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين سَمَّى الله؛ فإذا رأيتموهم، فلا تجالسوهم، أو قال: احذروهم»(٣).

---

(١) أي: تأتي في اللغة على عدة معانٍ، فتطلق على: الابتلاء، والاضطراب وبلبلة الافكار، والعذاب، والضلال، والإعجاب بالشيء. وغير ذلك. ينظر لسان العرب (فتن).

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (زيغ).

(٣) لم أقف عليه من حديث ابن عباس، إنما وقفت عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذا الإسناد، والله أعلم. =

يحيى: وفي تفسير ابن عباس: قال: نزل القرآن على أربعة أوْجُه: حلالٌ وحرامٌ لا يسع الناسَ جهْلُه، وتفسير يعلمه العلماء، وعربيَّة تعرفها العرب، وتأويل لا يعلمه إلا اللَّه.

يقول الراسخون في العلم: ﴿آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ أولو العقول؛ وهم المؤمنون.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا. . .﴾ الآية. قال الحسن: هذا دعاءٌ، أمر اللَّه المؤمنين

= فرواه الإمام أحمد (٦/ ٤٨) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١١٦) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٦٤٨ - ٦٤٩ رقم ١٢٣٥، ١٢٣٦) وابن ماجه (١/ ١٨ رقم ٤٧) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩ رقم ٦) والطبري في تفسيره (٣/ ١٧٨ - ١٧٩) والطحاوي في مشكل الآثار (٦/ ٣٣٥ رقم ٢٥١٦) وابن حبان (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨ رقم ٧٦) والآجري في الشريعة (١/ ١٤٣ رقم ٤٤، ١/ ٢٠٩ رقم ١٥٧ - ١٥٩) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٤٦) من طرق عن أيوب السختياني، عن عبد اللَّه بن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه الترمذي (٥/ ٢٠٧ رقم ٢٩٩٣) والطبري في تفسيره (٣/ ١٧٩) والطحاوي في المشكل (٦/ ٣٣٤ رقم ٢٥١٥) والطبراني في الأوسط (٣/ ٣٤١ - ٣٤٢ رقم ٣٣٤٤) من طرق عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه البخاري (٨/ ٥٧ رقم ٤٥٤٧) ومسلم (٤/ ٢٠٥٣ رقم ٢٦٦٥) والترمذي (٥/ ٢٠٧ رقم ٢٩٩٤) من طريق يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة بزيادة القاسم بن محمد بين ابن أبي مليكة وعائشة، واللَّه أعلم.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورُوي عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة، هكذا روى غير واحد هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن عائشة، ولم يذكروا فيه عن القاسم ابن محمد، وإنما ذكر يزيد بن إبراهيم التستري «عن القاسم» في هذا الحديث، وابن أبي مليكة هو عبد اللَّه بن عُبيد اللَّه بن أبي مليكة، سمع من عائشة أيضًا.

قلت: وتابع يزيدَ التستري عليه حمادُ بن سلمة، عند الإمام أحمد (٦/ ١٢٤، ١٣٢) والطيالسي (٢٠٣ رقم ١٤٣٢) وإسحاق بن راهويه (٢/ ٣٨٩ رقم ٩٤١) والدارمي رقم (١٤٥) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩ رقم ٥) والطبري في تفسيره (٣/ ١٨٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٥ رقم ٣١٨٤).

أن يدعوا به.

﴿إنَّ الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم﴾ أي: لن تنفعهم ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ يعني: حطبها.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾

﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم...﴾ الآية.

قال الحسن: هذا مَثَلٌ ضربه اللَّهُ لمشركي العرب؛ يقول: كفروا، وصنعوا كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم من الكُفَّار ﴿فأخذهم اللَّه بذنوبهم﴾ فهزمهم يوم بدر، وحشرهم إلى جهنّم.

قال محمد: الدَّأب في اللغة: العادة؛ يقال: هذا دأبه(١).

﴿قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا﴾ وهما فئتا بدرٍ؛ فئة المؤمنين، وفئة مشركي العرب.

﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ قال الحسن: يقول: قد كان لكم أيها المشركون آية (ل٤٣) في فئتكم، وفئة رسول اللَّه ﷺ وأصحابه؛ إذ ترونهم مثليكم رأي العين؛ لما أراد اللَّه أن يُرْعِبَ قلوبهم، ويخْذُلَهم

---

(١) لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (دأب).

ويخزيهم، وكان مع رسول اللَّه ﷺ الملائكة وجبريل، يقول: لقد كان لكم في هؤلاء عبرةٌ ومتفكر؛ أيّدهم اللَّه، ونصرهم على عدوهم ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ وهم المؤمنون.

قال قتادة: وكان المشركون آلَفُوا[١] يوم بدر، أوْ قاربوا الألف، وكان أصحاب رسول اللَّه ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿زُيِّنَ للناس حبُّ الشهوات﴾ قال محمد: هو كقوله: ﴿إنَّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملًا﴾[٢].

﴿والقناطير المقنطرة﴾ [قال قتادة][٣] يعني: المالَ الكثير بعضه على بعض ﴿والخيل المسوَّمة﴾ قال الحسن: يعني: الراعِيَة.

قال محمد: يقال: سامت الخيل، فهي سائمةٌ؛ إذا رعت، وسوَّمتُها فهي مسوَّمة؛ إذا رعيتها[٤] ﴿والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ المتاع: ما يُستَمْتَعُ به، ثم يذهب.

﴿واللَّه عنده حسن المآب﴾ المرجع للمؤمنين؛ يعني: الجنة.

---

(١) أي: كان عددهم أَلْفًا؛ يقال: آلف الجمعُ إيلافًا: صار أَلْفًا. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (ألف).

(٢) الكهف: ٧.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) سامت الخيلُ تسومُ سَوْمًا وَسَوامًا: رَعَتْ حيث شاءت؛ فهي سائمة، والجمع: سوائم، ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (سوم).

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ يعني: الذي ذكر من متاع الحياة الدنيا ﴿للذين اتقوا عند ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار...﴾ إلى قوله: ﴿ورضوان من اللهِ﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، ورأوا ما فيها - قال الله: لكم عندي أفضل من هذا. قالوا: ربنا ليس شيء أفضل من الجنة. قال: بلى أُحِلُّ عليكم رضواني»(١).

---

(١) رواه ابن حبان (١٦/ ٤٦٩ رقم ٧٤٣٩) والحاكم (١/ ٨٢) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٢٨٢) وفي صفة الجنة (١/ ١٣٢ رقم ٢٨٣) والسهمي في تاريخ جرجان (١١٥) والمحاملي - كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٠) - من طريق الفريابي عن الثوري عن محمد بن المنكدر به.
ورواه الحاكم (١/ ٨٢ - ٨٣) من طريق عُبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٧٠): وقال الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه «صفة الجنة»: هذا عندي على شرط الصحيح، والله أعلم. اهـ.
وقال أبو نعيم في صفة الجنة: ورواه وكيع وغيره فلم يرفعوه.
قلت: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦١٣ رقم ٣٢٨٧) من طريق وكيع، ومسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٥/ ١٤٠ رقم ٤٦٠٩) - عن يحيى، والطبري في تفسيره (٣/ ٢٠٧) من طريق أبي أحمد الزبيري، كلهم عن سفيان الثوري به موقوفًا، والله أعلم.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٧٩) إلى ابن مردويه عن جابر مرفوعًا.
وروى البخاري (١١/ ٤٢٣ رقم ٦٥٤٩، ١٣/ ٤٩٦ رقم ٧٥١٨) ومسلم (٤/ ٢١٧٦ رقم ٢٨٢٩) عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا نحوه.

﴿الصابرين والصادقين﴾ أي: صدقت نيَّتهم، واستقامت قلوبهم وألسنتهم في السِّرِّ والعلانية ﴿والقانتين﴾ يعني: المطيعين ﴿والمستغفرين﴾ يعني: أهل الصلاة. يقول: هل يستوي هؤلاء والكفار؟ أي: أنهم لا يستوون عند اللَّه.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

﴿شهد اللَّه أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط﴾ فيها تقديم وتأخير؛ يقول: شهد اللَّه أنه لا إله إلا هو قائمًا بالقسط؛ أي بالعدل[(١)] [ويشهد الملائكة ويشهد أولو العلم وهم المؤمنون][(٢)].

قال محمد: نصب ﴿قائمًا﴾ على الحال؛ وهي حال مؤكدة[(٣)].

﴿ فإن توليتم من بعد ما جاءتكم البينات﴾ يعني: ما بين لهم ﴿فاعلموا أن اللَّه عزيزٌ حكيم﴾.

قال يحيى: أحسب أنهم فسروا كل شيءٍ فيه وعيد: عزيز في نقمته، وكل شيءٍ ليس فيه وعيد: عزيز في ملكه.

﴿إنَّ الدين عند اللَّهِ الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ وكانوا على الإسلام ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بَغْيًا﴾ أي: حسدًا ﴿بينهم﴾.

---

(١) ينظر الكلام على هذا التقديم والتأخير من البحر (٢/ ٤٠٠ - ٤٠١)، الدر المصون (٢/ ٤٠).

(٢) من «ر».

(٣) وفي نصبه أقوال أخر؛ ينظر: البحر (٢/ ٤٠٣)، والدر المصون (٢/ ٤١).

قال محمدٌ: نصب ﴿بغيًا﴾ على معنى: للبغي[1].

﴿ومن يكفر بآيات اللَّه فإن اللَّه سريع الحساب﴾ يعني: العذاب؛ أي: إذا أراد أن يعذبهم، لم يؤخِّرهم عن ذلك الوقت؛ هذا تفسير الحسن.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فإن حاجوك فقل أسلمت﴾ أي: أخلصتُ ﴿وجهي﴾ أي: ديني ﴿للَّهِ ومن اتبعن﴾ أي: وأسلم من اتبعني وَجْهَهُ للَّه.

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾ يعني: مشركي العرب؛ وكانت هذه الأمة أمِّيَّةً لا كتاب لها؛ حتى نزل القرآن.

﴿أأسلمتم﴾ أي: أخلصتم ﴿فإن أسلموا﴾ أخلصوا ﴿فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ واللَّه بصير بالعباد﴾ أي: بأعمال العباد ﴿إن الذين يكفرون بآيات اللَّه﴾ يعني: بدين اللَّه ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ مُوجِع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۖ

---

(١) أي: نُصب على أنه مفعول لأجله، وفي نصبه أقوال أخر؛ ينظر: كشف المشكلات (١/ ٢٢٠)، إعراب القرآن (١/ ٣١٧)، البحر (٢/ ٤١١)، الدر المصون (٢/ ٤٩).

وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب...﴾ الآية.

قال قتادة: هم اليهود؛ دعاهم رسولُ اللَّه ﷺ إلى المُحَاكمة إلى كتاب اللَّه [وأحكامه؛ أي][1] كتاب اللَّه الذي أنزله عليه (ل٤٤) فوافق[2] كتابَهم الذي أنزل عليهم، فتولَّوْا عن ذلك، وأعرضوا عنه.

﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسَّنا النار إلا أيامًا معدودات﴾ عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل؛ يعني به أوائلهم، ثم رجع الكلام إليهم؛ فقال: ﴿وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ أي: يختلقون من الكذب على اللَّه، قال قتادة: وهو قولهم ﴿نحن أبناء اللَّه وأحباؤه﴾[3] ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ لا شكَّ فيه.

قال محمد: المعنى - واللَّه أعلم -: فكيف يكون حالهم في ذلك اليوم؛ وهذا من الاختصار.

﴿ووفِّيت كل نفس ما كسبت﴾ أما المؤمن فيُوَفَّى حسناته في الآخرة، وأما الكافر فيجازى بها في الدنيا، وله في الآخرة عذابُ النار.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ

(١) في «ر»: وأعلمهم أن.
(٢) في «ر»: يوافق.
(٣) المائدة: ١٨.

ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قل اللَّهم مالك الملك...﴾ الآية. قال قتادة: «ذُكِرَ لنا أن رسول اللَّه ﷺ سأل ربه أن يجعل مُلْكَ فارس والروم في أمته، فأنزل اللَّه هذه الآية إلى آخرها»(١).

﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه؛ نقصان الليل في زيادة النهار، ونقصان النهار في زيادة الليل ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ تفسير الحسن وقتادة: تخرج المؤمن من الكافر، وتخرج الكافر من المؤمن ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ يعني: بغير محاسبة منه لنفسه.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٤ رقم ٣٣٥٢) والطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٢) وعبد بن حميد في تفسيره - كما في الدر المنثور (٢/ ١٦) - والواحدي في أسباب النزول (ص٧١).

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ يعني: في النصحية ﴿من دون المؤمنين﴾.

﴿ومن يفعل ذلك فليس من اللَّه في شيءٍ إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾.

يحيى: عن الفُرَاتِ بن سلمان[(١)]، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: «أخذ المشركون أبي فلم يتركوه؛ حتى سبَّ رسول اللَّه ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى النبي ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شرٌّ يا رسول اللَّه، واللَّه ما تُرِكْتُ حتى نِلْتُ منك، وذكرت آلهتهم بخير! قال: فكيف تجدُ قلبك؟ قال: أجده مطمئنًا بالإيمان قال: فإن عادوا فَعُدْ»[(٢)].

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضرًا﴾ أي: موفَّرًا كثيرًا ﴿وما عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا﴾ فلا يجتمعان أبدًا.

قال محمد: نصب (يومًا)[(٣)] على معنى: ويحذركم اللَّه نفسه في ذلك اليوم.

---

(١) في «ر»: سليمان. وفرات بن سلمان الجزري ترجمته في تاريخ البخاري (٧/ ١٢٩) والجرح والتعديل (٧/ ٨٠) وغيرهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٦٠) وابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٤٩) والطبري في تفسيره (١٤/ ١٨٢) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٠) من طريق عبد الكريم الجزري به.
ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٠٨ - ٢٠٩) من طريق عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه. فزاد «عن أبيه».
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٣) وفي نصبه أقوال أخر، ينظر: مجمع البيان (١/ ٤٣١)، البيان (١/ ١٩٩) البحر (٢/ ٤٢٦)، الدر المصون (٢/ ٦٢).

قوله: ﴿ويحذركم اللَّه نفسه﴾ يعني: عقوبته ﴿واللَّه رءوف بالعباد﴾ أي: رحيم؛ أما المؤمن فله رحمة الدنيا والآخرة، وأما الكافر فرحمته في الدنيا ما رزقه اللَّه فيها، وليس له في الآخرة إلا النار.

﴿قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه﴾ قال الحسن: جعل محبةَ رسوله محبتَه، وطاعتَه طاعتَه.

﴿قل أطيعوا اللَّه والرسول﴾ أي: أطيعوا اللَّه في الفرائض.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إنَّ اللَّه اصطفى آدم ونوحًا﴾ أي: اختار.

﴿وآل إبراهيم﴾ يعني: إبراهيم وولده، وولد ولده ﴿وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعضٍ﴾ قال قتادة: أي: في النية والعمل والإخلاص ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرَّرًا﴾ تفسير قتادة: قال: كانت امرأة عمران حررتْ للَّه ما في بطنها، وكانوا يحررون الذكور؛ فكان المحرَّر إذا حُرِّر يكون في المسجد يقوم عليه ويكنسه[1] لا يبرح منه،

---

(١) في الأصل: ويكسوه.

وكانت المرأة لا يُستَطاع أن (يصنع)[١] ذلك بها؛ لما يصيبها من الأذى ﴿فلما وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعتْ﴾ وهي تقرأ على وجْهٍ آخر: ﴿ والله أعلم بما وَضَعْتُ﴾[٢] .

﴿وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريمَ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ أي: الملعون أن يضلها وإياهم ﴿فتقبَّلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا وكفلها زكريا﴾ أي: ضمها إليه؛ في تفسير من خفف قراءتها، ومن ثقلها يقول: ﴿وكفَّلَها﴾[٣] أي: فكفلها الله زكريا، بنصب زكريا[٤] .

قال الكلبي: ﴿فلما وضعتها﴾ لفتها في خرقها، (ل٤٥) ثم أرسلت بها إلى مسجد بيت المقدس، فوضعتها فيه فتنافسها الأحبارُ بنو هارون؛ فقال لهم زكَريا: أنا أحقكم بها عندي أختها فذروها لي، فقالت الأحبار: لو تركت لأقرب الناس إليها لتُركت لأمها، ولكنا نقترع عليها؛ فهي لمن خرج سهمه، فاقترعوا عليها بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي، فقرعهم زكريا، فضمها إليه، واسترضع لها؛ حتى إذا شبَّت بنى لها مِحْرابًا في المسجد، وجعل بابه في وسطه لا يُرْتقى إليها إلا بُسلَّم، ولا يأمن عليها غيره.

﴿وجد عندها رزقًا﴾ قال قتادة: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف،

---

(١) في «ر»: يفعل.

(٢) قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم بضم التاء، وقرأ الباقون بإسكانها. ينظر: النشر (٢/ ٢٣٩)، السبعة (٢٠٤) التيسير (٨٧).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بتشديد الفاء، وقَصْر ﴿زكريا﴾ والنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم، بتشديد الفاء مع مدِّ ﴿زكرياء﴾، والنصب، وقرأ الباقون بتخفيف الفاء، ورفع ﴿زكرياء﴾ مع المد. ينظر: النشر (٢/ ٢٣٩)، التيسير (٨٧)، السبعة (٢٠٤ - ٢٠٥).

(٤) أي: النصب على أنه مفعول به ثان. ينظر إعراب القرآن (١/ ٣٢٦ - ٣٢٧).

وفاكهة الصيف في الشتاء.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية﴾ أي: من عندك ﴿ذريةً طيبة﴾ يعني: تقية، قال الكلبي: وكانت امرأة زكريا عاقرًا قد دخلت في السِّن، وزكريا شيخٌ كبير؛ فاستجاب اللَّه له.

﴿فنادته الملائكة﴾ ناداه جبريل ﴿وهو قائم يصلِّي في المحراب أن اللَّه يبشرك بيحيى مصدِّقًا بكلمةٍ من اللَّه﴾ يعني: عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وسيدًا وحَصُورًا﴾ يعني: يحيى؛ في تفسير قتادة؛ أحياه اللَّه بالإيمان، والسيد: الحسنُ الخلق، والحَصُورُ: الذي لا يأتي النساء أي حُصِرَ عنهن.

قال محمد: وأصل الحصر: الحبس[1].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿قال رب أنَّى يكون لي غلامٌ﴾ أي: من أين يكون لي؟! ﴿وقد بلغني

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حصر).

الكِبَرُ وامرأتي عاقر﴾ أي: لا تلد، قال الحسن: أراد أن يعلم كيف وُهِبَ ذلك له؛ وهو كبير وامرأته عاقر؛ ليزداد علمًا ﴿قال كذلك اللَّه يفعل ما يشاء﴾.

﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا﴾ أي: إيماءً، فعوقب فَأُخِذَ بلسانه؛ فجعل لا يبينَ الكلام، وإنما عوقب؛ لأنَّ الملائكة شافهته، فبشَّرَ بيحيى مشافهةً، فسأل الآية بعد أن شافهته الملائكة ﴿واذكر ربَّك كثيرًا وسبح بالعشي والإبكار﴾ يعني: الصلاة.

﴿إن اللَّه اصطفاك﴾ أي: اختارك لدينه ﴿وطهرك﴾ من الكفر ﴿يا مريم اقنتي لربك﴾ قال مجاهد: يعني: أطيلي القيام في الصلاة.

قال محمد: وأصل القنوت: الطاعة[1].

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم﴾ عندهم ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ أي: يستهمون[2] بها.

---

(١) يقال: قَنَتَ يَقْنُتُ قُنوتًا؛ أي: أطاع اللَّه وخضع له وأقر بالعبودية، فهو قانت، والجمع: قُنَّت، وهي قانتةٌ.ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (قنت).

(٢) أي: يتقارعون، ويتغالبون في الفوز بالسهام. لسان العرب، المعجم الوسيط (سهم).

﴿أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ فيها أيهم يضمها إليه ﴿اسمه المسيح﴾ أي: مُسِحَ بالبركة؛ في تفسير الحسن.

﴿ووجيهًا في الدنيا والآخرة﴾ قال محمد: وَجُهَ الرجل، وأوْجهني أي: صيَّرَني وجيهًا[(١)].

﴿ومن المقربين﴾ عند اللَّه يوم القيامة.

﴿ويكلم الناس في المهد﴾ أي: في حِجْرِ أمه ﴿وكهلًا﴾ كبيرًا ﴿ويعلمهم﴾[(٢)] أي: يعلمهم كبيرًا؛ فأرادت أن تعلم كيف ذلك؛ فقالت: ﴿رب أنى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشر قال كذلك اللَّه يخلق ما يشاء﴾.

﴿ويعلمه الكتاب﴾ يعني: الخطَّ ﴿والحكمة﴾ يعني: السُّنَّة.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿أني أخلق لكم من الطين﴾ أي: أصوِّر [من الطين][(٢)] ﴿كهيئة الطير﴾ كشبه الطير.

---

(١) وَجُهَ فلانٌ يَوْجُهُ وَجَاهَةً؛ أي: صار ذا قَدْرٍ ورُتْبة، فهو وجيه، والجمع: وُجَهاء ووِجَاه، وهي وجيهة، والجمع: وِجَاه. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (وجه).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿وأبرئ الأكمه والأبرص﴾ قال قتادة: الأكمه: الذي تلده أمه وهو مضموم العينين.

﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ يعني: أنبئكم بما أكلتم البارحة، وبما خبأتم في بيوتكم.

﴿ولأحل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم﴾ تفسير قتادة: كان الذي جاء به عيسى ألْيَنَ مما جاء به موسى؛ أحلت لهم في الإنجيل أشياء كانت عليهم في التوراة حرامًا.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أي: رأى.

﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ أي: مع الله ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ والحواريون: هم أصفياءُ الأنبياء.

﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي: فاجعلنا ﴿ومكروا ومكر الله﴾ مكروا بقتل عيسى، ومكر الله بهم فأهلكهم، ورفع عيسى إليه.

قال محمد: المكر من الناس الخديعة، وهو من اللَّه (ل٤٦) الجزاء، يجازي مَنْ مكرَ بِمَكْرِهِ.

﴿إذ قال اللَّه يا عيسى إني متوفِّيك ورافعك إليَّ﴾ قال السُّدي: معنى ﴿متوفيك﴾: قابضك من بين بني إسرائيل ﴿ورافعك إليَّ﴾ في السماء.

قال محمد: تقول: توفَّيتُ [العدد][١] واستوفيته؛ بمعنى: قبضته[٢].

﴿ومطهِّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾ في النصر، وفي الحجَّة إلى يوم القيامة، والذين اتبعوه محمدٌ وأهل دينه؛ اتبعوا دين عيسى وصدقوا به.

﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة﴾ أما في الدنيا: فهو ما عذَّب به الكفار من الوقائع والسَّيْف حين كذبوا رسلهم، وأما في الآخرة: [فيعذبهم][٣] بالنار ﴿واللَّه لا يحبُّ الظالمين﴾ يعني: المشركين.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند اللَّه كمثل آدم خلقه من تراب﴾ قال الكلبي: لما قدم نصارى نجران، قالوا: يا محمد؛ أتذكر صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى ابن مريم؛ أتزعم أنه عبدٌ؟ فقال لهم نبي اللَّه ﷺ: أجلْ هو عبد اللَّه. قالوا: أرنا في خلق اللَّه عبدًا مثله فيمن رأيت أو سمعت؟ فأعرض عنهم نبي اللَّه عليه السلام يومئذٍ، ونزل عليه جبريل، فقال: ﴿إن مثل

---

(١) كأنها في الأصل: العدة. والمثبت من «ر».
(٢) لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (وفى).
(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

عيسى عند الله . . .﴾ الآية.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾

﴿فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم. . .﴾ الآية.

قال الكلبي: ثم عادوا إلى النبي، فقالوا: هل سمعت بمثل صاحبنا؟! قال: نعم. قالوا: ومن هو؟ قال: آدم، خلقه الله من تراب. فقالوا له: إنه ليس كما تقول؟ فقال لهم رسولُ الله ﷺ: ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل﴾ أي: نتلاعن ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ منَّا ومنكم. قالوا: نعم نلاعنك؛ فرجع رسولُ الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين فهمُّوا أن يلاعنوه، ثم نكصوا، وعلموا أنهم لو فعلوا - لوقعت اللعنة عليهم، فصالحوه على الجزية[(١)].

قال محمد: قوله: ﴿ثم نبتهل﴾ المعنى: نتداعي باللَّعْن؛ (يقال: أبهله الله؛ أي: لعنه الله)[(٢)] وفيه لغة أخرى: بَهَلَه[(٣)].

---

(١) انظر الدر المنثور (٢/ ٤٢ - ٤٤).

(٢) في «ر» بدل ما بين القوسين: عليه بُهْلة الله، أي: لعنة الله.

(٣) أي: أن الفعل يتعدى بنفسه فيقال: (بَهَلَهُ)، ويتعدى بالهمز، فيقال: (أبهله). ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (بهل).

﴿فإن تولَّوْا﴾ يعني: عما جاء به النبي ﷺ ﴿فإن اللَّه عليم بالمفسدين﴾ يعني: المشركين ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء﴾ أي: عَدْل ﴿بيننا وبينكم﴾ يعني: لا إله إلا اللَّه.

﴿ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون اللَّه﴾.

يحيى: عن المعلى بن هلال، عن أبيّ بكر بن عبد اللَّه، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم قال: «جئتُ إلى النبي ﷺ وفي عنقي صليبٌ. فقال: يا عدي أَلْقِ هذا الوثن من عنقك. فألقيته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فلما انتهى إلى قوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه﴾[1] قال: قلت: يا رسول اللَّه، واللَّه ما نتخذهم أربابًا من دون اللَّه. قال: بلى؛ أليسوا يحلون لكم ما حرم اللَّه عليكم؛ فتستحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل اللَّه لكم؛ فتحرمونه؟ قلتُ: بلى. قال: فتلك عبادتهم»[2].

﴿فإن تولوا فقولوا﴾ يعني: النبي والمؤمنين ﴿اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٢٥٩ - ٢٦٠ رقم ٣٠٩٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٤ رقم ١٠٠٥٧) والطبري في تفسيره (١٠/ ١١٤) والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢ رقم ٢١٨، ٢١٩) والسهمي في تاريخ جرجان (ص٥٤١ رقم ١١٦٢) وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في المدخل والثعلبي في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٦٦ رقم ٥٣٨) - من طريق عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف ابن أعين ليس بمعروف في الحديث.
ورواه الواقدي في كتاب الردة - وعنه ابن سعد في الطبقات - حدثني أبو مروان عن أبان بن صالح، عن عامر بن سعد، عن عدي بن حاتم. كما في تخريج الكشاف (٢/ ٦٦).
ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث عمران القطان عن خالد العبدي، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عدي بن حاتم. كما في تخريج الكشاف (٢/ ٦٦).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ قال الحسن: وذلك أنهم نحلوه[1] أنه كان على دينهم؛ فقالت اليهود ذلك، وقالت النصارى ذلك. فكذبهم اللَّه جميعًا، وأخبر أنه كان مسلمًا، ثم احتج عليهم أنه إنما أنزلت التوراة والإنجيل بعده؛ أي: إنما كانت اليهودية بعد التوراة، والنصرانية بعد الإنجيل.

﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ أي: بما كان في زمانكم وأدركتموه ﴿فلم تحاجُون فيما ليس لكم به علم واللَّه يعلم﴾ أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نَصرانيًا، ولكن حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين ﴿وأنتم لا تعلمون﴾.

﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ قال قتادة: أي: على ملّته ﴿وهذا النبي﴾ (ل٤٧) يعني: محمدًا عليه السلام ﴿والذين آمنوا﴾ يعني: المؤمنين الذين (عرفوا)[2] نبي اللَّه واتبعوه.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ

(١) أي: وصفوه، ينظر: لسان العرب (نحل).
(٢) في «ر»: (صدّقوا).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ (٦٩)

﴿ودَّت طائفة من أهل الكتاب﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم﴾ بما يودُّون من ذلك ﴿وما يشعرون﴾.

﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات اللَّه وأنتم تشهدون﴾ أنها آيات اللَّه (وأنه)[1] رسوله، يعني به خاصة علمائهم؛ لأنهم يجدون نعت محمد في كتابهم، ثم كفروا به وأنكروه.

﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون﴾ أي: لم تخلطون الحق بالباطل؟! قال الحسن: يعني: ما حرَّفوا من التوراة والإنجيل بالباطل الذي قَبِلُوه عن الشيطان.

﴿وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ أن محمدًا رسول اللَّه، وأن دينه حق.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وقالت طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾ بمحمَّد ﴿وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ تفسير الكلبي: كتبت يهود خيبر إلى يهود المدينة أن آمنوا بمحمدٍ أول النهار،

---

(١) في «ر»: (وآيات).

واكفروا آخره؛ أي: اجحدوا آخره، ولَبَّسُوا[١] على ضعفة أصحابه، حتى تشككوهم في دينهم؛ فإنهم لا علم لهم ولا دراسة يدرسونها ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن محمَّد، وعما جاء به. وقال مجاهد: صلَّت اليهودُ مع النبي عليه السلام أول النهار صلاة الصبح، وكفرت آخره؛ مَكْرًا منهم؛ ليرى الناس أنه قد بدت لهم الضلالةُ بعد إذ كانوا اتبعوه.

﴿قل إن الهدى هدى اللَّه﴾ يعني: أن الدين دينُ الإسلام ﴿أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم﴾ فيها تقديم: إنما قالت يهود خيبر ليهود المدينة: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أي: لا تصدقوا إلا من تبع دينكم؛ فإنه لن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، ولن (يُحَاجكم)[٢] بمثل دينكم أحدٌ عند ربكم، فقال اللَّه: ﴿قل إن الهدى هدى اللَّه﴾ والفضل بيد اللَّه، وفضل اللَّه: الإسلام ﴿يؤتيه من يشاء واللَّه واسعٌ﴾ لخلقه ﴿عليم﴾ بأمرهم.

﴿يختص برحمته﴾ أي: بدينه؛ وهو الإسلام ﴿من يشاء﴾ يعني: المؤمنين.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدِّه إليك﴾ يعني: من آمن منهم.

(١) أي: دَلَّسوا وخلَّطوا عليهم. ينظر: لسان العرب (لبس).
(٢) في «ر»: يحاجوكم.

قال قتادة: كنا نحدّث أن القنطار مائة رطل من ذهب، أو ثمانون ألفًا من الوَرِقِ[١].

﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا﴾ يعني: إن سألته حين تعطيه إياه ردَّه إليك، وإن أنظرته به أيامًا ذهب به.

﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين﴾ يعنون: مشركي العرب ﴿سبيل﴾ إثم. تفسير الحسن: كانوا يقولون: إنما كانت لهم هذه الحقوق وتجب علينا وهم على دينهم، فلما تحولوا عن دينهم لم يثبت لهم علينا حق. قال اللَّه - عز وجل -: ﴿ويقولون على اللَّه الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى﴾ قال الحسن: يعني: أدى الأمانة وآمن ﴿فإن اللَّه يحب المتقين﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

---

(١) أي: الفضة. ينظر: لسان العرب (ورق).

والقنطار: معيار مختلف المقدار عند الناس، وهو بمصر في زماننا مائة رطل، وهو ٤٤,٩٢٨ من الكيلو جرامات. ج: قناطير. ينظر المعجم الوسيط (قنطر).

﴿إن الذين يشترون بعهد اللَّه وأيمانهم ثمنًا قليلًا﴾ هم (أهل الكتاب)[١] كتبوا كتبًا بأيديهم، وقالوا: هذا من عند اللَّه؛ فاشتروا به ثمنًا قليلًا؛ أي: عَرَضًا من عَرَض الدنيا، وحلفوا أنه من عند اللَّه.

﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ أي: لا نصيب لهم [في][٢] الجنة.

﴿ولا يكلِّمهم اللَّهُ﴾ بما يحبون [وذلك][٣] يوم القيامة، وقد يكلمهم ويسألهم عن أعمالهم. قال: ﴿ولا ينظر إليهم﴾ نظرة رحمةٍ [يوم القيامة][٣] ﴿ولا يزكِّيهم﴾ أي: لا يطهِّرهم من ذنوبهم ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجع ﴿وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ تفسير قتادة: حرَّفوا كتاب اللَّهِ، وابتدعوا فيه، وزعموا أنه من عند اللَّه.

﴿ما كان لبشرٍ أن يؤتيه اللَّه الكتاب والحكم والنبوة﴾ كما آتى عيسى ﴿ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون اللَّه﴾ أي: اعبدوني؛ يقول: لا يفعل ذلك من آتاه اللَّه الكتاب والحكم والنبوة.

قال الحسن: احتج (ل٤٨) عليهم بهذا؛ لقولهم [أن عيسى ينبغي له أن يُعبد][٤] وأنهم قبلوا ذلك عن اللَّه، وهو في كتابهم الذي نزل من عند اللَّه.

قال ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ أي: ولكن يقول لهم :كونوا ربانيين؛ أي: علماء فقهاء ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ تقرءون .

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ

---

(١) في «ر»: اليهود.
(٢) في الأصل: من. والمثبت من «ر».
(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا﴾ أي: من دون اللَّه ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ على الاستفهام أي: لا يفعل.

﴿وإذ أخذ اللَّه ميثاق النبيين لما آتيناكم[1] من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ [أي: عهد ثقيل][2] ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.

يقوله اللَّه: أنا شاهد معهم وعليهم، بما أعطوا من الميثاق والإقرار، قال قتادة: هذا ميثاقٌ أخذه اللَّه على النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا، وأن يبلغوا كتاب اللَّه ورسالاته إلى عباده، وأخذ ميثاق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسلهم؛ أن يؤمنوا بمحمدٍ ويصدقوه وينصروه ﴿فمن تولَّى بعد ذلك﴾ (أي:)[3] بعد العهد والميثاق الذي أخذ اللَّه عليهم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

---

(١) بالنون والألف على التعظيم، وهي قراءة نافع، وقرأ باقي السبعة (آتيتكم). بتاء مضمومة من غير ألف. ينظر: البحر (٢/ ٥١٣)، الدر (٢/ ١٥٦)، النشر (٢/ ٢٤١).
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) سقط من «ر».

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿أفغير دين اللَّه يبغون﴾ (يطلبون)[١] ﴿وله أسلم من في السمٰوات والأرض طوعًا وكرهًا﴾ تفسير الحسن: وله أسلم من في السمٰوات، ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿والأرض﴾ أي: ومن في الأرض طوعًا وكرهًا؛ يعني: طائعًا وكارهًا. قال الحسن: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «واللَّه لا يجعل اللَّه من دخل في الإسلام طوعًا؛ كمن دخله كرهًا»[٢].

قال يحيى: لا أدري أراد المنافق، أو الذي قوتل عليه.

وقال قتادة: أما المؤمن فأسلم طائعًا؛ فنفعه ذلك وقُبِل منه، وأما الكافر فأسلم كارهًا؛ فلم ينفعه ذلك ولم يُقْبل منه.

قال يحيى: يعني بالكافر: المنافق الذي لم يسلم قَلْبُه.

قال محمد: ﴿طوعًا﴾ مصدرٌ، وُضِعَ موضع الحال[٣].

﴿قل آمنا باللَّه وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ الأسباط: يوسف وإخوته، إلى قوله ﴿مسلمون﴾ قال الحسن: هذا ما أخذ اللَّه على رسوله، ولم يؤخذ عليه ما أخذ على الأنبياء في قوله: ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به﴾ إذ لا نبي بعده.

---

(١) سقط من «ر».
(٢) لم أقف عليه.
(٣) وفيه أقوال نحويه أخر؛ ينظر: البحر المحيط (٢/٥١٦)، الدر (٢/١٥٨).

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ خسر نفسه؛ فصار في النار، وخسر أهله من الحُور العين.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كيف يهدي اللَّه قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق﴾ قال مجاهد: نزلت في رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه.

﴿وجاءهم البينات﴾ يعني: الكتاب فيه البيِّنات والحُجج.

﴿واللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: من لا يريد أن يهديه منهم ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين﴾ يعني بالناس: المؤمنين خاصَّةً ﴿خالدين فيها﴾ أي: في تلك اللعنة، وثوابها[1] النار.

﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ يؤخَّرون بالعذاب.

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ يعني: من أراد اللَّه أن يهديه ﴿فإن اللَّه غفور رحيم﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ

---

(١) أي: جزاؤها ومرجعها؛ الثواب: الجزاء والمرجع. ينظر لسان العرب (ثوب).

تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

قوله عز ذكره: ﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا﴾ قال الحسن: هم أهل الكتاب كانوا مؤمنين، ثم كفروا ثم ازدادوا كفرًا؛ أي: ماتوا على كفرهم.

يقول: لن يقبل اللَّه إيمانَهُم الذي كان قبل ذلك، [إذا ماتوا](١) على كفرهم ﴿وأولئك هم الضالون﴾.

﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم مِلْءُ الأرض ذهبًا ولو افتدى به﴾ قال محمد: يقال: هذا مِلْءُ هذا؛ أي: مقدار ما يُمْلَأُ، والمَلْءُ المصدر فبالفتح، يقال: ملأتُ الشيء مَلْئًا؛ هذا هو الاختيار (عند اللغويين)(٢).

﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال الحسن: يعني الزكاة (ل٤٩) الواجبة ﴿وما تنفقوا من شيءٍ فإن اللَّه به عليم﴾ يحفظه لكم حتى يجازيكم به.

﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۚ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ

(١) مشتبهة في الأصل والمثبت من «ر».
(٢) في «ر»: عند النحويين. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (ملأ).

ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

﴿كلّ الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ [أي: فاقرءوها][(١)] ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن فيها ما تذكرون [أنه][(٢)] حرمه عليكم. قال الحسن: وكان الذي حرم إسرائيل على نفسه: لحوم الإبل، وقال بعضهم: ألبانها.

﴿قل صدق اللَّه﴾ أن إبراهيم كان مسلمًا ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا﴾ والحنيف: المخلص.

﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ قال الحسن: يعني: وُضع قبلةً لهم.

﴿للذي ببكة مباركًا﴾ تفسير حبيب بن أبي ثابت: قال: البيت وما حوله بكة، وأسفل من ذلك مكة، وإنما سمي الموضع بكّة؛ لأن الناس يتزاحمون فيه[(٣)].

قال محمد: البكُّ أصله في اللغة: الدفع[(٤)]، ونصب ﴿مباركًا﴾ على الحال[(٥)] ﴿فيه آيات بيناتٌ مقام إبراهيم﴾ قال الحسن: مقام إبراهيم من الآيات البينات ﴿ومن دخله كان آمنًا﴾ قال الحسن: كان ذلك في الجاهلية؛ لو أن رجلًا جرَّ جريرةً[(٦)]، ثم لجأ إلى الحرم - لم يُطْلَبْ ولم يُتَنَاوَلْ، وأما

---

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».
(٢) في الأصل: لم. والمثبت من «ر».
(٣) مأخوذ من التباك، وهو الازدحام الذي يحصل عند الطواف. وفي هذه التسمية أقوال أخر. ينظر لسان العرب (بكك) الدر المصون (٢/ ١٦٨).
(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (بكك).
(٥) وفيه أقوال أخر. ينظر: البحر المحيط (٣/ ٦)، الدر (٢/ ١٦٨).
(٦) أي: ارتكب جنايةً. ينظر: لسان العرب (جرر).

في الإسلام؛ فإن الحرم لا يمنع مِنْ حَدٍّ، مَنْ أصاب حدًّا أُقِيمَ عليه.

﴿ولِلَّهِ على الناس حج البيت﴾ قال محمد: الحج في اللغة معناه: القصد؛ يقال: حججتُ الشيءَ أَحُجُّه حجًّا؛ إذا قصدته مرةً بعد مرة[(١)]، ومن هذا قولُ الشاعر:

وَأَشْهَدُ من عَوْفٍ حُلُولًا كثيرةً ... يحجُّون سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا[(٢)]

أي: يكثرون الاختلاف إليه؛ لسؤدده، وكان الرئيس يعتم بعمامَة صفراء تكون عَلَمًا لرئاسته.

قوله: ﴿من استطاع إليه سبيلًا﴾.

يحيى: (عن الحسن بن دينار، عن الحسن)[(٣)] «أن رجلًا قال: يا رسول الله [إن الله قال][(٤)]: ﴿من استطاع إليه سبيلًا﴾ فما السبيلُ؟ قال: الزاد والراحلة»[(٥)].

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حجج).

(٢) البيت من بحر الطويل، وهو للمخبّل السَّعْدي، ينظر: ديوانه (٢٩٤)، البيان والتبيين (٣/ ٩٧)، إصلاح المنطق (٣٧٢) اللسان (سبب)، (حجج)، (زبرق) تهذيب اللغة (٣/ ٣٨٨)، (١٢/ ٣١٣).

(٣) في «ر» عن الحسن.

(٤) في الأصل: قال الله. والمثبت من «ر».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٥٣٦ رقم ٦ ، ٧) وسعيد بن منصور في سننه - كما في نصب الراية (٣ / ٨ -٩) - والطبري في تفسيره (٤/ ١٦) والدارقطني (٢/ ٢١٨ رقم ١٣) والبيهقي في سننه (٤/ ٣٢٧) والمعرفة (٣/ ٤٧٨ رقم ٢٦٦٣) من طريق يونس عن الحسن به.
وقال البيهقي: هذا منقطع.
ورواه سعيد بن منصور - كما في نصب الراية (٣/ ٨) - والطبري في تفسيره (٤/ ١٦) من طريق منصور عن الحسن.
قال ابن دقيق العيد وهذه أسانيد صحيحة إلا أنها مرسلة. نقله الزيلعي في نصب الراية (٣/ ٩).
ورواه الطبري (٤/ ١٧) وأبو بكر القطيعي في كتاب «المناسك عن سعيد بن أبي عروبة» =

﴿ومن كفر فإن اللَّه غَني عن العالمين﴾ قال الحسن: الكفر: أن يقول:

= (١/ ١٥٧/ ٢) - كما في إرواء الغليل (٤/ ١٦١) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.
قال البيهقي: هذا هو المحفوظ عن قتادة عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلا، وكذلك رواه يونس بن عبيد عن الحسن.
وقال ابن حجر في التلخيص (٢/ ٤٢٣): وسنده صحيح إلى الحسن.
ورواه الطبري (٤/ ١٧) من طريق حماد عن قتادة وحميد عن الحسن.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٢٧) عن هشام عن الحسن. ورواه أيضًا (١/ ١٢٧) عن معمر عن قتادة مرسلا.
قلت: هذا الحديث محفوظ عن الحسن مرسلا، وقد أخطأ بعض الرواة فوصله؛ فرواه حصين بن المخارق، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أنس بن مالك. خرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢١٨ رقم ١٥) وحصين بن مخارق قال عنه الدارقطني في الضعفاء والمتروكين (١٨٩ رقم ١٧٩): متروك.
ورواه عتاب بن أعين، عن الثوري، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أمه، عن عائشة. خرجه الدارقطني (٢/ ٢١٧ رقم٨) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٣٣٢) والبيهقي في سننه (٤/ ٣٣٠).
وقال البيهقي في المعرفة (٣/ ٤٧٨): وليس بمحفوظ.
ورواه علي بن سعيد بن مسروق الكندي عن ابن أبي زائدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس. خرجه الدارقطني (٢/ ٢١٦ رقم ٦) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤١ - ٤٤٢) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال البيهقي في سننه (٤/ ٣٣٠): وروي عن سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في الزاد والراحلة، ولا أراه إلا وهمًا.
وقال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٢/ ٣٧٩ رقم ١٢٥٤): هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل السنن بهذا الإسناد، والصواب عن قتادة عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلا، وأما رفعه عن أنس فهو وهم، هكذا قال شيخنا.
ورواه الدارقطني (٢/ ٢١٦ رقم ٧) والحاكم (١/ ٤٤٢) من طريق أبي قتادة، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
قال ابن حجر في التلخيص (٢/ ٢٤٣): إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة عبد اللَّه بن واقد الحراني، وقد قال أبو حاتم: هو منكر الحديث. =

ليس بفريضة؛ فيكفر به.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)﴾

﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله﴾ يعني: الإسلام ﴿من آمن تبغونها عوجًا﴾ أي: تطلبون بها العوج.

﴿وأنتم شهداء﴾ على ذلك فيما تقرون من كتاب الله أن محمدًا رسولُ الله، وأن الإسلام دين الله.

قال محمد: يُقَال في الأمر: (عِوَج) بالكسر؛ إذا كان في الدِّين، ويقال

= وقد روي هذا الحديث عن عدة من الصحابة لا يصح شيء منها.

قال ابن المنذر: لا يثبت الحديث الذي فيه ذكر الزاد والراحلة مسندًا، والصحيح رواية الحسن عن النبي ﷺ مرسلا.

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ١٨): فأما الأخبار التي رُويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة؛ فإنها أخبار في أسانيدها نظر؛ لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين.

وقال البيهقي: وروي فيه أحاديث أخر لا يصح شيء منها.

وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٢/ ٢٥٨): وقد خرج الدارقطني هذا الحديث من حديث جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود وأنس وعائشة وغيرهم، وليس فيها إسناد يحتج به.

ونقل الزيلعي في نصب الراية (٣/ ١٠) هذا الكلام برمته عن ابن دقيق العيد في الإمام.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٨٦): وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة، كلها مرفوعة، ولكن في أسانيدها مقال، كما هو مقرر في كتاب الأحكام، والله أعلم، وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث.

وقال ابن حجر في التلخيص (٢/ ٤٢٣): وطرقها كلها ضعيفة.

لكل شيءٍ مائل: فيه (عَوَج) بالفتح؛ كالعصا والحائط[١] وشبه ذلك.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني: من لم يؤمن منهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ومن يعتصم بالله﴾ أي: يستمسك بدين الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ قال ابن مسعود: حق تقاته أن يُطَاعَ فلا يعصى، ويُشْكَر فلا يُكْفر، ويُذْكَر فلا يُنْسَى. قال قتادة: نزلت هذه الآيةُ فثقلت عليهم، ثم أنزل الله اليُسْر والتخفيف، فقال: ﴿[فاتقوا][٢] الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا﴾ قال الحسن وغيره: حبل الله: القرآن. قال محمد: وأصل الحبل في اللغة: العهد[٣].

قال (الأعشى)[٤]:

وإذا أجوِّزها حبالَ قبيلة أخذتْ من الأخرى إليها حبالها[٥]

---

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (عوج).
(٢) في الأصل، «ر»: اتقوا. بدون الفاء، والآية من سورة التغابن ١٦ .
(٣) ينظر: لسان العرب (حبل).
(٤) في «ر»: الأعمش. وهو تحريف.
(٥) ويروى: وإذا تجوِّزها... ينظر ديوان الأعشى (٦٥)، وتأويل مشكل القرآن (٤٦٥)، =

يعني: عهودها.

قوله: ﴿ولا تفرقوا واذكروا نعمة اللَّه عليكم﴾ أي: اشكروا نعمة اللَّه عليكم ﴿إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم﴾ بالإيمان ﴿فأصبحتم﴾ يعني: فَصِرْتم ﴿ بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ بالإسلام.

قال محمد: قوله: ﴿شفا حفرة﴾ يعني: حرف حفرة؛ أي: قد كنتم أشرفتم على النار.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)﴾

﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾ يعني: [بتوحيد اللَّه](1) ﴿وينهون عن المنكر﴾ يعني: الشرك باللَّه.

قال [محمد](2): قوله: ﴿ولتكن منكم أمةٌ﴾ قيل: معناه: ولتكونوا كلكم أمَّة.

= ورغبة الآمل (٤/ ٥٢) ومعنى (أجوزها): أسوغها قطع الطريق المخوف. و(الحبال): العهود والمواثيق. والبيت من بحر الكامل. وفي «ر» إليك بدل: إليها.

(١) في الأصل: بطاعة اللَّه. والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ هم أهل الكتاب، يقول: لا تفعلوا كفعلهم.

(ل٥٠) ﴿يوم تبيض وجوه...﴾ إلى قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾.

يحيى: عن حمَّاد بن سلمة [عن أبي غالب][1] قال: «كنت مع أبي أمامة وهو على حمارٍ، حتى انتهينا إلى درج المسجد بدمشق؛ فإذا برءوس من رءوس الخوارج منصوبةٍ، فقال: ما هذه الرءوس؟! قالوا: رءوس خوارج جِيء بها من العراق، فقال: كلاب أهل النار، كلاب أهل النار، كلاب أهل النار! شرُّ قتلى تحت ظل السماء، شرُّ قتلى تحت ظل السماء، شرُّ قتلى تحت ظل السماء! خير قتيل من قتلوه، خير قتيل من قتلوه، خير قتيل من قتلوه، طُوبى لمن قتلهم أو قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه. ثم بكى، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: رحمةً لهم؛ إنهم كانوا من أهل الإسلام، فخرجوا من الإسلام، ثم قرأ هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات...﴾[2] حتى انتهى إلى آخرها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا...﴾ إلى قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ فقلت: هم هؤلاء يا أبا أمامة؟ فقال: نعم، فقلت: شيء تقوله

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وأبو غالب صاحب أبي أمامة ﷺ اختلف في اسمه، فقيل: اسمه حزور، وقيل: سعيد بن الحزور، وقيل: نافع، معروف بهذا الحديث، قال ابن عدي في الكامل (٣/٣٩٨): وأبو غالب قد روى عن أبي أمامة حديث الخوارج - هو حديث الكتاب - بطوله، وهو حديث معروف به. اهـ.

وقال الخليلي في الإرشاد (١٢٩): أبو غالب الذي يروي عن أبي أمامة حديث الخوارج، اسمه حزور، ويقال: عبد الله بن حزور، وروى عن أبي غالب حديث الخوارج أكثر من بضع - كذا - وسبعين نفرًا من أهل الكوفة وأهل البصرة. اهـ.

وترجمة أبي غالب في التهذيب (٣٤/ ١٧٠ - ١٧٣).

(٢) آل عمران: ٧ .

برأيك، أم سمعت رسول اللَّه يقوله؟ قال: إني إذن لجريء، إني إذن لجريء، إني إذن لجريء! لقد سمعتُه من رسول اللَّه ﷺ غير مرةٍ ولا مرَّتين. حتى بلغ سَبْعًا، ووضع أصبعيه في أذنيه ثم قال: وإلا فَصُمَّتا. ثم قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: تفرقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة؛ واحدةٌ في الجنَّة وسائرها في النار، ولتزيدن عليهم هذه الأمة واحدة؛ فواحدة في الجنة وسائرها في النار. فقلت: فما تأمرني؟ قال: عليك بالسواد الأعظم. قال: فقلت: في السواد الأعظم ما قد ترى. قال: السمع والطاعة خيرٌ من الفرقة والمعصية»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٦) والطيالسي (١٥٥ رقم ١٣٦) والترمذي (٥/ ٢١٠ - ٢١١ رقم ٣٠٠٠) وعبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٦٤٣ رقم ١٥٤٢) والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٦٧ - ٢٦٨ رقم ٨٠٣٤) والبيهقي في سننه (٨/ ١٨٨) من طريق حماد بن سلمة به مختصرًا.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

ورواه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٣) وعبد الرزاق (١٠/ ١٥٢ رقم ١٨٦٦٣) والحميدي (٢/ ٤٠٤ رقم ٩٠٨) وابن ماجه (١/ ٦٢ رقم ١٧٦) والحارث بن أبي أسامة - كما في المطالب العالية (٣/ ٢٨٤ - ٢٨٥ رقم ٢٩٨٩) وإتحاف الخيرة (٤/ ٢١٩ - ٢٢٠ رقم ٣٤٥٢) - وعبد اللَّه ابن أحمد في السنة (٥/ ٦٤٣ رقم ١٥٤٣، ١٥٤٤) والطحاوي في شرح المشكل (٦/ ٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ٢٥١٩) والطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٦ - ٢٧٥ رقم ٨٠٣٣ - ٨٠٥٦) وفي مسند الشاميين (٢/ ٢٤٨ رقم ١٢٧٩) والآجري في الشريعة (١/ ١٥٤ - ١٥٦ رقم ٦٢ - ٦٤) والخليلي في الإرشاد (١٢٩) والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٩٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤/ ٥١ - ٥٣) وغيرهم من طرق عن أبي أمامة مطولا ومختصرًا.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٤ - ٥٩٥ رقم ٣١٨٠) ووقع في إسناده «عن عبد اللَّه ابن شوذب عن أبي أمامة» وسقط أبو غالب من بينهما.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٤٦): ورواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي أمامة، وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفًا من كلام الصحابي، ومعناه صحيح.

ورواه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٠) من طريق سيار بن عبد اللَّه عن أبي أمامة. =

﴿تلك آيات اللَّه﴾ هذه آيات اللَّه ﴿وإلى اللَّه ترجع الأمور﴾ يعني: عواقبها في الآخرة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾

﴿كنتم خير أمَّةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف﴾ يعني: بتوحيد اللَّه ﴿وتنهون عن المنكر﴾ يعني: عن الشرك باللَّه.

قال محمد: قوله: ﴿كنتم﴾ قيل: معناه: أنتم[1].

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال رسول اللَّه ﷺ: «أنتم توفون

= ورواه الإمام أحمد (٥/ ٢٦٩) - وعنه ابنه عبد اللَّه في السنة (٢/ ٦٤٤ رقم ١٥٤٦) - من طريق صفوان بن سليم عن أبي أمامة.

قال ابن حجر في إتحاف المهرة (٦/ ٢٣٤ رقم ٦٤٠٩): قلت: أظنه منقطعًا.

ورواه عبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٦٤٤ رقم ١٥٤٥) وابن خزيمة في الجهاد - كما في إتحاف المهرة (٦/ ٢٢٩ رقم ٦٣٩٦) - والحاكم (٢/ ١٤٩ - ١٥٠) والثعلبي في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (١/ ٢١٥) - عن شداد بن عبد اللَّه عن أبي أمامة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ثم قال: الغالب على هذا المتن طرق حديث أبي غالب عن أبي أمامة، ولم يخرجاه.

(١) وهو قول الفراء والنحاس وغيرهما؛ أي: على اعتبار (كان) زائدة. وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من البحر (٣/ ٢٩)، مجمع التفاسير (١/ ٥٦٤ - ٥٦٥)، المقتضب (٤/ ١١٩).

سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على اللَّه»[1].

﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم﴾ يعني: عامّتهم، ثم قال: ﴿منهم المؤمنون﴾ يعني: من آمن منهم ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ يعني: فسق الشرك.

﴿لن يضروكم إلا أذًى﴾ بالألْسِنَة.

﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾.

﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ أي: حيثما وجدوا ﴿إلا بحبل من اللَّه وحبلٍ من الناس﴾ قال السُدي: يعني بأمانٍ[2] وعهْدٍ من اللَّه، ومن الناس ﴿وباءوا بغضبٍ من اللَّه﴾ يعني: استوجبوا غضبه ﴿ضربت عليهم المَسْكنة﴾ يعني: ما يُؤْخَذُ منهم من الجِزْية ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللَّه ويقتلون الأنبياء بغير حقٍّ﴾ يعني: أوائلهم، وليس يعني الذين أدْرَكوا النبي عليه السلام.

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٣٠) وعبد بن حميد (١٥٥ رقم ٤٠٩) والدارمي (٢/ ٤٠٤ رقم ٢٧٦٠) والترمذي (٥/ ٢١١ رقم ٣٠٠١) وابن ماجه (٢/ ١٤٣٣ رقم ٤٢٨٨) والطبري في تفسيره (٤/ ٤٥) والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٤١٩ رقم ١٠١٢، ١٩/ ٤٢٢ - ٤٢٣ رقم ١٢٣ - ١٢٥) والحاكم (٤/ ٨٤) وغيرهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقال الترمذي: حديث حسن.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩١): وهو حديث مشهور، وقد حسنه الترمذي، ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه. اهـ.
وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ١٤٠): إسناده جيد، وبهز حديثه حسن.
وقال ابن حجر في الفتح (٨/ ٧٣): وهو حديث حسن صحيح.
ورواه الطبري في تفسيره (٤/ ٤٥) عن قتادة مرسلاً.
قال ابن حجر في الفتح (٨/ ٧٣): رجاله ثقات.
(٢) في «ر»: بإيمان.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿ليسوا سواء﴾ يقول[1]: ليس كل أهل الكتاب كافرًا.

﴿من أهل الكتاب أمةٌ قائمة﴾ بأمر الله؛ يعني: من آمن منهم ﴿يتلون آيات الله آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿وهم يسجدون﴾ يصلون.

قال محمد: واحد (الآناء): إنًى؛ مثل: مِعًى وأمعاءٍ، وقيل: واحدها: إنْيٌ[2].

﴿ويأمرون بالمعروف﴾ يعني: بالإيمان [بمحمد ﷺ][3] ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن التكذيب بمحمَّدٍ ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ يعني: الأعمال الصالحة ﴿وأولئك من الصالحين﴾ وهم أهلُ الجنة.

﴿وما تَفْعَلُوا من خير فلن تُكفروه﴾[4] يقول: تجازون به.

---

(١) في «ر»: يقولون.

(٢) قيل في مفرد (آناء) أربعة أقوال؛ ذكر المصنف منها اثنين، والاثنان الآخران هما: أَنْيٌ بفتح وسكون، وإِنْوٌ بكسر وسكون مع الواو. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (أني)، الدر المصون (٢/ ١٩٠).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) قرأ الأخوان وحفص ﴿وما يفعلوا . . . يكفروه﴾ ، والمثبت موافق لقراءة الباقين. ينظر: البحر (٣/ ٣٦) الدر المصون (٢/ ١٩١) التيسير (٩٠) السبعة (٢١٥).

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ﴾ يعني: البرد الشديد ﴿أصابت حَرْثَ قوم ظلموا أنفسهم﴾ قال مجاهد: يعني [نفقات الكفار](١) لا يكون لهم في الآخرة منها ثواب، وتذهب [كما يذهب](١) هذا الزرع الذي أصابته الريح [فأهلكته](١) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ يعني: (ل٥١) من غير المسلمين ﴿لا يألونكم خبالًا﴾ أي: شرًّا ﴿ودُّوا ما عنتم﴾ أي: ما ضاق بكم ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي: ظهرت ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ في البغض والعداوة ولم يظهروا العداوة، وأسرُّوها فيما بينهم؛ فأخبر اللَّه بذلك عنهم رسُولَه.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ها أنتم أولاء تحبونهم﴾ يقول للمؤمنين: أنتم تحبون المنافقين؛ لأنهم أظهروا الإيمان، فأحبوهم على ما أظهروا، ولم يعلموا ما في قلوبهم.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي: وهم لا يؤمنون؛ [فيها][1] إضمار ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ مخافةً على دمائهم وأموالهم ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ مما يجدون في قلوبهم.

قال اللَّه لنبيه: ﴿قل موتوا بغيظكم . . .﴾ الآية.

﴿إن تَمْسَسْكم حسنةٌ تسؤهم﴾ يعني بالحسنة: النصر ﴿وإن تصبكم سيئة﴾ نَكْبةٌ من المشركين ﴿يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا﴾ أي: أنهم لا شوكة لهم إلا أذًى بالألسنة.

﴿إن اللَّه بما يعملون محيط﴾ أي: يجازيهم بما يعملون.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وإذ غدوت من أهلك﴾ يعني: يوم أُحد ﴿تُبوِّئ﴾ أي: تنزل ﴿المؤمنين مقاعد للقتال﴾.

﴿إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ قال الكَلْبي: يعني: بني حارثة، وبني سلمة، حَيَّيْنِ من الأنصار، وكانوا همُّوا ألا يخرجوا مع رسول اللَّه، فعصمهم اللَّه وهو قوله: ﴿واللَّه وليهما﴾ .

(١) في الأصل: وهذا. والمثبت من «ر».

﴿ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّة﴾ يذكّرهم نعمته عليهم. قال قتادة: نصرهم الله يوم بدر بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ رجع إلى قصة أُحد ﴿ألن يكفيكم أن يُمِدَّكم﴾ أي: يقوِّيكم ربكم ﴿بثلاثة آلافٍ من الملائكة منزلين﴾ ينزلهم الله عليكم من السماء ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾ من (وجههم)[1] هذا ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مسوِّمين﴾ قال قتادةُ: يعني: عليهم سِيما القتال.

قال محمد: السُّومَةُ: العلامة التي يُعْلِمُ بها الفارس نَفْسَهُ[2].

قال الشعبي: وَعَدَهُ خمسة آلافٍ إن جاءوا من ذلك الفور، فلم يجيئوا من ذلك الفور، ولم يمده بخمسة آلافٍ، وإنما أمدَّه بألفٍ مردفين، وبثلاثة آلافٍ منزلين؛ فهم أربعة آلافٍ، وهم اليوم في جنود المسلمين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وما جعله الله﴾ يعني: المدد ﴿إلا بشرى لكم﴾ تستبشرون بها وتفرحون

---

(١) وقيل: من غضبهم. ينظر تفسير الطبري (٧/ ١٨٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ٩٤). وفي «ر»: وجوههم.

(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (سوم).

﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ أي: لتسكن به [قلوبكم][1] ﴿و ما النصر إلا من عند اللَّه ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم﴾ أي: يخزيهم ﴿فينقلبوا خائبين﴾ قال محمد: قوله: ﴿طرفًا﴾ يعني: قطعة، وقوله: ﴿أو يكبتهم﴾ قيل: الأصل فيه: يكبدهم؛ أي: يصيبهم في أكْبَادهم بالحزن والغيظ؛ التَّاءُ مُبْدلَةٌ فيه من دال؛ لقرب مخرجيهما[2].

﴿ليس لك من الأمر شيء . . .﴾ الآية.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن «أن رسول اللَّه ﷺ أُدْمِيَ وَجْهُه يوم أُحُد، فجعل يمسح الدمَ عن وجهه ويقول: كيف يُفْلِح قوم أَدْمَوْا وجه نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟! فأنزل اللَّه: ﴿ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوب عليهم أو يعذِّبهم فإنهم ظالمون﴾»[3].

قال يحيى: فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ قال: ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين، أو يتوب عليهم أو يعذبهم؛ فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء.

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وعلى ذلك قراءة لاحق بن حميد: (أو يكبدهم). وقيل: التاء أصلية وليست مبدلةً من شيء. والكَبْتُ: الإصابة بمكروه. وقيل: هو الصَّرع للوجه واليدين. ينظر: البحر المحيط (٣/ ٥٤) الدر المصون (٢/ ٢٠٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ٨٧) من طريق ابن عون عن الحسن به.
وروراه الطبري (٤/ ٨٧ - ٨٨) من طريق عباد عن الحسن به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٧٩) لعبد بن حميد في تفسيره.
وروراه مسلم (٣/ ١٤١٧ رقم ١٧٩١) عن ثابت عن أنس.
ورواه الإمام أحمد (٣/ ٩٩) والترمذي (٥/ ٢١١ رقم ٣٠٠٢، ٣٠٠٣) والنسائي في الكبرى (٦/ ٣١٤ رقم ١١٠٧٧) وابن ماجه (٢/ ١٣٣٦ رقم ٤٠٢٧) وابن حبان (١٤/ ٥٣٦ رقم ٦٥٧٤) وغيرهم عن حميد عن أنس، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومعنى: ﴿أو يتوب عليهم﴾ يرجعون إلى الإيمان ﴿أو يعذبهم﴾ بإقامتهم على الشرك.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفةً﴾ كانوا في الجاهلية إذا حلَّ دَيْنُ أحدهم على صاحبه؛ فتقاضاه، قال: أخِّرْ عني وأزيدك.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عَرْضُها السمٰواتُ والأرضُ﴾ قال كريب مولى ابن عباسٍ: سبع سمٰوات وسبع أرضين يلفقن جميعًا كما تلفق الثياب بعضها إلى بعض، ولا يصف أحدٌ طولها.

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ أي: في اليسر والعسر (ل٥٢) ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال محمد: أصل الكظم: الحبس[(١)].

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما جرع أحدٌ جرعةً[(٢)] خيْرٌ له من جرعة غيظٍ»[(٣)].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (كظم).

(٢) في «ر»: ما تجرع عبد جرعة.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٢٨) وابن ماجه (٢/ ١٤٠١ رقم ٤١٨٩) والبيهقي في الشعب =

قوله: ﴿والعافين عن الناس﴾ .

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أفضل أخلاق (المسلمين)[1] العفو».

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللَّه﴾ فخافوه وتابوا إليه ﴿ولم يصروا﴾ أي: لم يقيموا ﴿على ما فعلوا﴾ من المعصية.

يحيى: عن أبان العطَّار قال: كان يقال: لا قليل مع إضرار، ولا كثير مع استغفار.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿قد خلت من قبلكم سننٌ﴾ يعني: ما عذَّب اللَّه به الأمم السالفة حين

= (٦/ ٣١٣ - ٣١٤ رقم ٨٣٠٥، ٨٣٠٧) عن يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عمر مرفوعًا.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (٤٧٩ رقم ١٣١٨) من هذا الطريق موقوفًا.

ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (رقم ٢٠٢٨٩) - ومن طريقه البيهقي في الشعب (٦/ ٣١٤ رقم ٨٣٠٨) - عن معمر عمن سمع الحسن مرسلا.

ورواه البيهقي في الشعب (٦/ ٣١٤ رقم ٨٣٠٦) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عباس. وقال: والأول أصح. يعني: حديث يونس عن الحسن عن ابن عمر.

ورواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٢٧) عن ابن عباس، قال الذهبي في الميزان: خبر منكر.

(١) في «ر»: المؤمن. ولم أقف على هذا الحديث.

كذَّبوا رسلهم ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِّبين﴾ أي: كان عاقبتهم أن دمَّر اللَّه عليهم، ثم صيَّرهم إلى النار؛ يحذرهم[١] بذلك ﴿هذا بيانٌ للناس﴾ قال قتادة: يعني: هذا القرآن بيانٌ للناس عامَّةً ﴿وهدًى وموعظة للمتقين﴾ خُصُّوا به ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ أي: لا تضعفوا عن قتال المشركين ﴿وأنتم الأعلون﴾ يعني: الظاهرين المنصورين ﴿إن كنتم﴾ يعني: إذا كنتم ﴿مؤمنين﴾.

﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مسَّ القوم قرح مثله﴾ قال قتادة: القرح: الجراح، وذلك يوم أحد؛ فَشَا في أصحاب رسول اللَّه ﷺ يومئذ القتلُ[٢] والجراحةُ؛ فأخبرهم اللَّه أن القوم قد أصابهم من ذلك مثلُ ما أصابكم، وأن الذي أصابكم عقوبةٌ؛ وتفسير تلك العقوبة بعد هذا الموضع.

قال محمد: يقال: قَرْحٌ وقُرْحٌ، وقد قُرِئ بهما[٣]، والقُرْح بالضم: أَلَمُ الجراح، والقَرْح بالفتح: الجراح[٤].

﴿وتلك الأيامُ نداولها بين الناس وليعلم اللَّه الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ قال قتادة: لولا أن اللَّه جعلها دُوَلًا ما أُوذي المؤمنون، ولكن قد يُدَال[٥] الكافر من المؤمن، ويُدَالُ المؤمن من الكافر؛ ليعلم اللَّه من يطيعه

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: القتال.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالضم، والباقون بالفتح. ينظر: التيسير (٩٠) السبعة (٢١٦) النشر (٢/ ٢٤٢).

(٤) وقد ذهب إلى ذلك الفراء في معانيه، بينما ذهب الأخفش والنحاس، والفارس إلى أن الضم والفتح لغتان، فهما بمعنى واحد. ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٤)، معاني القرآن للأخفش (٢١٥)، الحجة (٢/ ٣٨٥).

(٥) أي: يُنْصَر ويغلب. ينظر لسان العرب (دول).

ممن يعصيه؛ وهذا علمُ الفَعال .

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿وليمحِّص اللَّه الذين آمنوا﴾ أي: يختبرهم؛ في تفسير مجاهد[١] ﴿ويمحق الكافرين﴾ أي: يمحق أعمالَهم يوم القيامة.

قال محمد: وقيل: معنى ﴿وليمحص اللَّه﴾ أي: يمحِّص ذنوبهم؛ والتمحيص[٢] أصله: التنقيةُ، والتخليصُ[٣].

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم اللَّه﴾ أي: ولم يعلم اللَّه ﴿الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾.

قال محمدٌ: القراءة ﴿ويعلم الصابرين﴾ بالفتح على الصرف من الجزم[٤] ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ إلى

---

(١) في «ر»: قتادة.

(٢) في «ر»: والمحص.

(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (محص)، وفي معنى التمحيص أقوال أخر؛ تنظر من البحر (٣/ ٦٤)، الدر المصون (٢/ ٢١٧).

(٤) وذلك على مذهب الكوفيين، إذ كان حق الفعل الجزم عطفًا على ما سبقه، فعدل عنه إلى النصب بواو الصرف. وفيه أقوال نحوية أخرى. وقرأ الحسن وابن يعمر وأبو حيوة بكسر الميم عطفًا على ما سبقه، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء (ويعلمُ) بالرفع. ينظر: إعراب القرآن (١/ ٣٦٧)، البيان (١/ ٢٢٣)، البحر (٣/ ٦٦)، الدر المصون (١/ ٢١٩).

السيوف بأيدي الرجال.

قال قتادة: أناسٌ من المسلمين لم يشهدوا يوم بَدْرٍ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالًا؛ فيقاتلوا، فَسِيقَ إليهم القتال يوم أُحُدٍ. قال غير قتادة: فلم يثبت منهم إلا من شاء اللَّه.

﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل...﴾ الآية تفسير قتادة قال: ذلك يوم أحد حين أصابهم القرحُ والقتل؛ فقال أناسٌ منهم: لو كان نبيًّا ما قُتِل، وقال ناسٌ من عِلْيَةِ[1] أصحاب النبيِّ ﷺ: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم؛ حتى يفتح اللَّه لكم، أو تلحقوا به؛ فقال اللَّه: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ يقول: ارتددتم [على أعقابكم][2] كفارًا بعد إيمانكم ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللَّه شيئًا﴾ إنما يضر نفسه ﴿وسيجزي اللَّه الشاكرين﴾ يعني: المؤمنين يجزيهم بالجنَّة.

قال محمد: يقال لمن كان على شيءٍ، ثم رجع عنه: انقلب على عقبيه[3].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ

(١) واحدها: عَلِيٌّ، وهو الرفيع القَدْرِ. ينظر لسان العرب (علو).
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (عقب).

يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن اللَّه كتابًا مؤجَّلًا﴾ لا يستقدم، ولا يستأخر عنه.

قال محمدٌ: ونصب ﴿كتابًا﴾ على معنى: كتب ذلك كتابًا[1].

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ مثل قوله: (ل٥٣) ﴿من كان يريد العاجلة عجَّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾[2] يعني: الجنة.

قال محمدٌ: وقوله: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا﴾ قيل: معناه: من كان إنما يقصد بعمله الدنيا ﴿وكأين من نبي﴾ أي: وكم من نبي ﴿قتل[3] معه ربيون كثير﴾ أي: جموعٌ كثيرةٌ، وتقرأ: ﴿قاتل معه﴾ ﴿فما وهنوا﴾ أي: ضعفوا وعجزوا.

﴿وما استكانوا﴾ أي: وما ارتدوا عن بصيرتهم.

قال محمدٌ: الرِّبَّة: الجماعة، ويقال للجمع: رِبِّيٌّ؛ كأنه نُسِبَ إلى الرِّبَّة؛ فإذا جُمع قيل: ربيون[4]، ومعنى استكانوا: خشعوا وذلوا[5].

---

(١) وفي نصبه أوجه نحويه أخرى، تنظر من البيان (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤)، البحر (٣/ ٧١)، الدر (٢/ ٢٢٣).

(٢) الإسراء: ١٨ .

(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو على البناء للمجهول، وقرأ الباقون (قاتل). ينظر: السبعة (٢١٧)، النشر (٣/ ٢٤٢)، التيسير (٩٠).

(٤) وتجمع (الربة) على: (رِبَب) و(رِباب) و(أربَّة). أما جمع (رِبِّي) فهو (ربِّيُّون). ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (ربب).

(٥) وعليه يكون (استكان) أصله (استكنَّ). وقيل: (استكان) استفعل من (كان) والمعنى: ما كانوا لطاعة ربهم. وفيه أقوال أخر. =

﴿وما كان قولهم﴾ حين[1] لقوا عَدُوَّهم ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ يريدون: خطاياهم.

﴿فآتاهم الله﴾ أعطاهم ﴿ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ أما ثواب الدنيا: فالنصر على عدوهم، وأما ثوابُ الآخرة: فالجنة.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿وما كان قوْلهم﴾ بالرفع والنصب؛ فمن قرأ بالرفع: جعل خبر «كان» ما بعد «إلا»، والأكثر في الكلام أن يكون الاسم هو ما بعد «إلا»؛ فيكون المعنى: وما كان قولَهم إلا استغفارُهم[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ يعني: اليهود؛ في تفسير الحسن ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ أي: إلى الشرك ﴿فتنقلبوا﴾ إلى الآخرة ﴿خاسرين﴾ ﴿بل الله مولاكم﴾ ولِيُّكم ينصركم ويعصمكم من أن ترجعوا كافرين ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ قال الحسن: يعني: مشركي العرب ﴿بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا﴾ أي: حُجَّةً بما هم عليه من

= ينظر: الزاهر (٢/ ٣٠٩)، الخصائص (٣/ ٣٢٤)، رسالة الملائكة (٢١٦)، كشف المشكلات (١/ ٢٦٤).

(١) في الأصل: حيث. والمثبت من «ر».

(٢) الجمهور على نصب (قولهم) خبرًا مقدمًا، والاسم هو (أن) وما في خبرها، وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع (قولهم) على أنه اسم، والخبر (أن) وما في خبرها. ينظر: البحر المحيط (٣/ ٧٥)، الدر المصون (٢/ ٢٣٠)، إتحاف الفضلاء (١٨٠).

الشرك ﴿ومأواهم النار﴾ أي: مصيرهم إلى النار ﴿وبئس مثوى الظالمين﴾ منزل الظالمين المشركين ﴿ولقد صدقكم اللَّه وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ تفسير الحسن وغيره: [إذ][1] تقتلونهم.

قال محمدٌ: يقال: سَنَةٌ حَسُوسٌ؛ إذا أتت على كل شيءٍ، وجرادٌ محسوسٌ؛ إذا قتله البَرْدُ[2].

﴿حتى إذا فشلتم . . .﴾ الآية، قال الحسن: قال رسول اللَّه ﷺ: «رأيْتُني البارحةَ؛ كأنَّ عَلَيَّ دِرْعًا حصينةً، (فأوَّلتها)[3] المدينة، فأكْمِنوا للمشركين في أزِقَّتها حتى يدخلوا عليكم في أزقَّتها؛ فتقتلوهم. فأبت الأنصارُ من ذلك فقالوا: يا رسول اللَّه، منعنا مدينتنا من تُبع والجنود فنُخلي بين هؤلاء المشركين وبينها يدخلونها؟! فلبس رسول اللَّه سلاحَهُ، فلما خرجوا من عنده أقبل بعضُهم على بعض، فقالوا: ما صَنَعْنا؛ أشار علينا رسول اللَّه، فرددنا رأيه؛ فأتوه فقالوا: يا رسول اللَّه، نكمن لهم في أزقَّتها؛ حتى يدخلوا فنقتلهم فيها؛ فقال: إنه ليس لنبي لبس لأمَتَهُ - أي: سلاحَهُ - أن يضعها؛ حتى (يقاتل)[4] قال: فبات رسولُ اللَّه دونهم بليلة؛ فرأى رؤيا، فأصبح فقال: إني رأيت البارحة كأنَّ بقرًا ينحر، فقلت: بقر! واللَّه خيرٌ، وإنه كائنةٌ فيكم مصيبةٌ، وإنكم ستلقونهم وتهزمونهم غدًا؛ فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا المُدْبِرِين»[5]

---

(١) في الأصل: أي. والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (حسس).

(٣) في «ر»: فتأوَّلتها.

(٤) في «ر»: يدخل.

(٥) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٥١) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٥) والدارمي (٢/ ١٧٣ رقم ٢١٥٩) والنسائي في الكبرى (٤/ ٨٤ - ٨٥ رقم ٢٧٢٢) عن أبي الزبير عن جابر دون قوله «وإنه كائنة فيكم مصيبة. . .» إلى آخره، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٥٣): =

ففعلوا فلقوهم فهزموهم؛ كما قال رسول اللَّه فأتبعوا المدبرين على وجهين: أما بعضهم: فقالوا: مشركون وقد أمكننا اللَّه من أدبارهم فنقتلهم، فقتلوهم على وجه الحِسْبَةِ، وأما بعضهم: فقتلوهم لطلب الغنيمة، فرجع المشركون عليهم فهزموهم، حتى صعدوا أحدًا؛ وهو قوله:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)﴾

﴿ولقد صدقكم اللَّه وعده﴾ لقول رسول اللَّه: إنكم ستلقونهم فتهزمونهم، فلا تتبعوا المُدْبِرِين. وقوله: ﴿حتى إذا فشلتم﴾ أي: ضعفتم في أمر رسول اللَّه ﴿وتنازعتم﴾ اختلفتم فصرتم فرقتين؛ تقاتلونهم على وجهين.

﴿وعصيتم﴾ الرسول ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من النصر على عدوكم ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ يعني: الغنيمة ﴿ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ﴾ حين لم يستأصلكم ﴿واللَّه ذو فضلٍ على المؤمنين﴾ .

= وسنده صحيح.
ورواه الحاكم (٢/ ١٢٨ - ١٢٩) وعنه البيهقي في السنن (٧/ ٤١) وفي الدلائل (٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥) عن ابن عباس وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٥٣): وهذا سند حسن.
وروى البخاري (٦/ ٧٢٥ رقم ٣٦٢٢) ومسلم (٤/ ٨٤ - ٨٥ رقم ٢٢٧٢) عن أبي موسى قصة الرؤيا.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿إذ تصعدون﴾ إلى الجبل ﴿ولا تلوون على أحدٍ﴾ يعني: النبي.

(ل٥٤) ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ جعل يقول: إليَّ عِبَادَ اللَّه حتى خص الأنصار؛ فقال: يا أنصار اللَّه [إليَّ، أنا][(١)] رسول اللَّه، فرجعت الأنصار والمؤمنون.

﴿فأثابكم غمًّا بغمٍّ﴾ .

قال يحيى: كانوا تحدَّثوا يومئذٍ أنَّ نبي اللَّه أُصِيبَ، وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي فيهم؛ وذكر لنا أنه قُتِلَ يومئذٍ سبعون رَجُلًا: ستة وستون من الأنصار، وأربعةٌ من المهاجرين.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمدٌ: قوله: ﴿فأثابكم غمًّا بغمٍّ﴾ أي: جازاكم غمًّا متصلًا بغم[١].

وقوله: ﴿إذ تصعدون﴾ تقرأ: ﴿تُصْعِدون﴾ و﴿تَصْعَدون﴾، فمن قرأ بضم التاء[٢] فالمعنى: تبعُدون في الهزيمة، يقال: أصْعد في الأرض؛ إذا أمعن في الذهاب، وصَعِدَ الجبلَ والسطح[٣].

﴿لكي لا تحزنوا على ما فاتكم﴾ من الغنيمة ﴿ولا ما أصابكم﴾ في أنفسكم من القتل والجراحات.

قال محمدٌ: قيل: أي: ليكون غمّكم؛ بأنكم خالفتم النبي عليه السلام فقط.

﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاسًا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ تفسير قتادة: كانوا يومئذٍ فريقين: فأما المؤمنون: فغشاهم اللّه النُّعَاسَ أمنةً منه ورحمة، والطائفة الأخرى: المنافقون ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم ﴿يظنون باللّه غير الحق ظنَّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾ قال الكلبي: (هم المنافقون)[٤] قالوا لعبد اللّه بن أبي بن سَلُولَ: قُتِل بَنُو الخزْرج! فقال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ قال اللّه: ﴿قل إن الأمر﴾ يعني: النصر ﴿كله للّه يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا﴾ قال الكلبي: كان ما أخفوا في أنفسهم أن قالوا: لو كنا على شيءٍ من الأمر - أي: من الحق - ما قُتِلْنا ها هنا، ولو كنا في بيوتنا ما أصابنا القتلُ. قال اللّه للنبي: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين

---

(١) وفي الآية معانٍ أخر غير هذا تنظر من: البحر (٣/ ٨٣) الدر المصون (٢/ ٢٣٥).

(٢) الجمهور على (تُصعدون) من (أَصْعَدَ)، وقرأ الحسن والسلمي (تَصْعدون) من (صعد) ينظر إتحاف الفضلاء (١٨٠) البحر (٣/ ٨٢) الدر المصون (٢/ ٢٣٣).

(٣) أي: رَقِيهما. ينظر اللسان (صعد).

(٤) في «ر»: هو ظن المنافقين.

كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم وليبتلي اللَّه ما في صدوركم وليمحِّص ما في قلوبكم﴾ أي: يطهره ﴿واللَّه عليمٌ بذات الصدور﴾ بما في الصدور ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ تفسير قتادة قال: كان أُناسٌ من أصحاب النبي تولَّوْا عن القتال، وعن نبي اللَّه ﷺ يوم أُحُد وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه؛ فأنزل اللَّه: ﴿ولقد عفا اللَّه عنهم . . .﴾ الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض﴾ يعني: التجارة ﴿أو كانوا غزى﴾ يعني: في الغزو.

قال محمدٌ: ﴿غزًّى﴾ جمع (غازٍ)[1] مثل: قاسٍ وقُسًّى، وعافٍ وعُفًّى قال الحسن: هم المنافقون ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ يعني: إخوانهم فيما يظهر المنافقون من الإيمان.

﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ قالوا هذا؛ لأنه لا نيَّة لهم في الجهاد. قال اللَّه: ﴿ليجعل اللَّه ذلك حَسْرةً في قلوبهم﴾ وذلك أنهم كانوا يجاهدون قومًا على دينهم؛ فذلك عليهم عذابٌ وحَسرة ﴿ولئن قتلتم في سبيل اللَّه أو

(١) وتجمع (غاز) أيضًا على: غُزَّاء، وغُزاة، وغَزِيّ. ينظر اللسان (غزو).

مُتُّم لمغفرةٌ من اللَّه ورحمةٌ خيرٌ مما تَجْمعون[١]﴾ أي: من الدنيا.

﴿فبما رحمةٍ من اللَّه لِنْتَ لهم﴾ أي: فبرحمةٍ من اللَّه ورضوان و(ما) صلة زائدة[٢] ﴿ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفُ عنهم﴾ أمره أن يعفُوَ عنهم ما لم يلزمهم من حكمٍ أو حدٍّ.

﴿واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ أمره اللَّه أن يشاورَ أصحابه في الأمور؛ لأنه أطيبُ لأنفس القوم، وأنَّ القوم إذا شاور بعضُهم بعضًا، وأرادوا بذلك وجه اللَّه - عزم اللَّه لهم على أرْشَدِهِ[٣].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إن ينصركم اللَّهُ فلا غالب لكم...﴾ الآية، وقد أعلم اللَّه رسوله والمؤمنين أنهم منصورون، وكذلك إن خذلهم لن ينصرهم من بعده ناصِرٌ.

﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ قال قتادة: يعني: أن يغله أصحابه من المؤمنين ﴿ومن يغلل يأتِ بما غلَّ يوم القيامة﴾.

---

(١) وهي قراءة الجماعة، وقرأ حفص ﴿يجمعون﴾ ينظر السبعة (٢١٨)، التيسير (٩١)، النشر (٢/ ٢٤٢ - ٢٤٣)، الدر المصون (٢/ ٢٤٤).

(٢) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/ ٩٧)، إعراب القرآن (١/ ٣٧٤)، البيان (١/ ٢٢٩).

(٣) أي: على أرشد الأمر وأفضله.

يحيى: عن حماد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله عليه السلام: «والذي نفسي (ل٥٥) بيده، لا يغل أحدٌ من هذا المال بعيرًا إلا جاء به يوم القيامة حامله على عنقه له رُغاء[١]، ولا بقرةً إلا جاء بها يوم القيامة حاملها على عنقه ولها خُوار[٢]، ولا شاة إلا جاء بها يوم القيامة حاملها على عنقه وهي تَيْعر»[٣].

قال محمدٌ: معنى (تَيْعَر): تصيح[٤].

﴿أفمن اتبع رضوان اللَّهِ كمن باء بسخطٍ من اللَّه﴾ أي: استوجب سخطَ اللَّه؛ يقول: أهما سواء؟! على وجه الاستفهام أي: أنهما ليسا بسواءٍ ﴿ومأواه﴾ مصيره.

﴿هم درجاتٌ عند اللَّه﴾ يعني: أهل النار بعضهم أشدُّ عذابًا من بعض، وأهل الجنة بعضهم أرفع درجات من بعض.

قال محمد: ﴿هم درجاتٌ عند اللَّه﴾ المعنى: هم [ذوو][٥] درجات.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَ

---

(١) هو صوت الإبل وضجيجه. اللسان، القاموس (رغو).

(٢) هو صياح البقر. اللسان، القاموس (خور).

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٢٥٩٧) عن أبي حميد الساعدي.
ورواه مسلم (٣/ ٣٢١ رقم ١٨٣١) عن أبي هريرة.

(٤) ينظر: اللسان، القاموس، مختار الصحاح (يعر). يقال: يَعَرتِ الشاة تَيْعَر، وتَيْعِر يَعْرًا ويُعَارًا؛ أي: صاحت.

(٥) في الأصل: ذو. وفي «ر»: ذوي. والمثبت هو الصواب. وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/ ٣٧٥)، البحر (٣/ ١٠٢).

لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

﴿لقد مَنَّ اللَّهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ يعني: يصلحهم.

﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ السُّنَّة ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أن يأتيهم النبي عليه السلام ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾ بيِّن.

﴿أو لما أصابتكم مصيبةٌ﴾ أي: يوم أُحُدٍ.

﴿قد أصبتم مثليها﴾ يوم بَدْرٍ ﴿قلتم أنى هذا﴾ أي: من أين أوتينا ونحن مؤمنون والقوم مشركون؟! ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ بمعصيتكم رسولَ اللَّه حين أمركم ألا تتبعوا المدبرين ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ يعني: جمع المؤمنين، وجمع المشركين يوم أحد ﴿فبإذن اللَّه﴾ أي: اللَّه أذن في ذلك ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ وهذا عِلمُ الفَعَال.

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللَّه أو ادفعوا﴾ أي: كثّروا السَّوَاد ﴿قالوا لو نعلم قتالًا لاتبعناكم هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾ وإذا قال اللَّه: ﴿أقربُ﴾ قال الحسن: فهو اليقين؛ أي: إنهم كافرون.

قال الكلبي: كانوا ثلاثمائة منافق؛ رجعوا مع عبد اللَّه بن أُبي ابن سلول؛

فقال لهم جابر بن عبد اللَّه: أنشدكم اللَّه في نبيكم ودينكم وذَراريكم. قالوا: واللَّه لا يكون اليوم قتال، ولو نعلم قتالًا لاتبعناكم. قال اللَّه: ﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾.

﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾ يعني: من قُتِلَ من المؤمنين يوم أُحُد هم فيما أظهره المنافقون من الإيمان إخوانهم ﴿وقعدوا﴾ عن القتال ﴿لو أطاعونا ما قتلوا﴾ أي: ما خرجوا مع محمدٍ. قال اللَّه لنبيه: ﴿قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ أي: لا تستطيعون أن تدرءوه، يعني: تدفعوه.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللَّه أمواتًا بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾.

قال محمدٌ: ﴿بل أحياءٌ﴾ بالرفع؛ المعنى: بل هم أحياءٌ[1].

﴿فرحين بما آتاهم اللَّه من فضله﴾ أي: من الشهادة والرزق ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم...﴾ الآية، يقول بعضهم لبعضٍ: تركنا إخواننا: فلانًا وفلانًا وفلانًا يقاتلون العدو؛ فيُقْتَلون إن شاء اللَّه؛ فيصيبون من الرزق والكرامة والأمن.

يحيى: عن خالد، عن أبي عبد الرحمن، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «لما قدمت أرواح أهل أُحُد على اللَّه، جعلت[2] في حواصل طير خضر

---

(١) ينظر: البحر (٣/ ١١٢ - ١١٣)، الدر المصون (٢/ ٢٥٦).

(٢) في «ر»: جعلها اللَّه في الجنة.

تسرحُ في الجنة، ثم تأوي إلى قناديل من ذهب معلَّقة بالعرش يجاوبُ بعضُها بعضًا بصوتٍ لم تسمع الخلائق بمثله؛ يقولون: يا ليت إخواننا الذين خَلَّفنا من بعدنا علموا مثل الذي علمنا فَسَارعوا إلى مثل ما سارعنا فيه؛ فإنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، فوعدهم اللَّه ليخبرن نبيَّه بذلك حتى يخبرهم؛ فأنزل اللَّه: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللَّه أمواتًا...﴾ إلى قوله: ﴿أجْرَ المؤمنين﴾»(١).

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٦٥ - ٢٦٦) وعبد بن حميد (٢٢٧ رقم ٦٧٩) والطبري في تفسيره (٤/ ١٧٠ - ١٧١) وابن أبي عاصم في الجهاد (٢/ ٥١١ رقم ١٩٤، ١٩٥) وغيرهم من طريق أبي الزبير عن ابن عباس مرفوعًا.
ورواه الإمام أحمد (١/ ٢٦٦) وأبو داود (٣/ ٢٢٢ رقم ٢٥١٢) وابن أبي عاصم في الجهاد (١/ ٢١٥ - ٢١٦ رقم ٥٢، ٢/ ٥١٠ رقم ١٩٣) والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨، ٢٩٧) والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٣) والدلائل (٣/ ٣٠٤) والواحدي في أسباب النزول (ص٩٤ - ٩٥) وغيرهم من طريق أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
وذكر الدارقطني أن عبد اللَّه بن إدريس تفرد بذكر سعيد بن جبير في الإسناد، وغيره يرويه فيجعله عن أبي الزبير عن ابن عباس. أطراف الغرائب (٣/ ١٨٧ رقم ٢٣٨٥) وانظر تخريج الكشاف (١/ ٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ٢٥٥).
وقال ابن القطان: حديث حسن. بيان الوهم والإيهام (٤/ ٣٣٨ رقم ١٩١٩).
ورواه مسلم (٣/ ١٥٠٢ رقم ١٨٨٧) عن ابن مسعود.

يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿الذين استجابوا للَّهِ والرسول من بعد ما أصابهم القَرح﴾ يعني: الجراح؛ وذلك يوم أُحُد؛ حيث قال رسول اللَّه ﷺ: «رحم اللَّه قومًا ينتدبون حتى يعلم المشركون أنا لم نُسْتَأْصل، وأن فينا بقيةً فانتدب قومٌ ممن أصابتهم الجراح».

﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم﴾ إلى قوله: (ل٥٦) ﴿واللَّه ذو فضلٍ عظيم﴾ تفسير الكلبي: بلغنا «أنَّ أبا سفيان يوم [أحد][1] حين أراد أن ينصرف قال: يا محمدُ، موعد ما بيننا وبينكم موسم بدر الصغرى أن نقاتل بها إن شئت؛ فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: ذلك بيننا وبينك. فانصرف أبو سفيان فقدم مكة، فلقي رجلًا من أشجع يقال له: نعيم بن مسعود؛ فقال له: إني قد واعدت محمدًا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر، فبدا لي ألا أخرج إليهم، وأكره أن يخرج محمدٌ وأصحابه ولا أخرج؛ فيزيدهم ذلك عليَّ جُرْأة، ويكون الخُلْفُ منهم أحبَّ إليَّ، فلك عشرةٌ من الإبل إن أنت حبسته عني فلم يخرج؛ فقدم الأشجعي المدينة، وأصحابُ رسول اللَّه ﷺ يتجّهزون لميعاد أبي سفيان؛ فقال: أين تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدرٍ فنقتتل بها، فقال: بئس الرأي رأيتم، أتوكم[2] في دياركم وقراركم؛ فلم يُفْلتْ[3] منكم إلا شريد؛ وأنتم تريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم، واللَّه إذن لا يفلت منكم أحد؛ فكره أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) في «ر»: إخوانكم.
(٣) في «ر»: ينقلب.

يخرجوا، فقال رسول اللَّه ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرُجنَّ، وإن لم يخرج معي منكم أحدٌ! فخرج معه سبعون رجلًا؛ حتى وافَوْا معه بَدْرًا، ولم يخرج أبو سفيان ولم يكن قتالٌ، فتسوقوا في السوق، ثم انصرفوا»[١] .

فهو قوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني: نعيمًا الأشجعي ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا اللَّه ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمةٍ من اللَّه﴾ يعني: الأجر ﴿وفضل﴾ يعني: ما تسوقوا به ﴿لم يمسسهم سوءٌ﴾ قتلٌ ولا هزيمة .

﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ أي: يخوفكم من أوليائه المشركين ﴿فلا تخافوهم﴾ .

﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ (أي: اختاروا الكفر)[٢] على الإيمان، وهم المنافقون؛ في تفسير الحسن.

﴿يريد اللَّه ألا يجعل لهم حظًّا﴾ نصيبًا من الجنة .

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ١٧٧) عن ابن عباس بنحوه.
(٢) سقط من «ر».

﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم. . .﴾ الآية، قال محمدٌ: معنى ﴿نُمْلِي لهم﴾ نطيل لهم ونمهلهم[١]، ونصب (أنما) بوقوع (يحسبن) عليها[٢].

﴿ما كان اللَّه ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز﴾ أي: يعزل ﴿الخبيث من الطيب﴾ ميَّز المؤمنين من المنافقين يوم أُحُد؛ في تفسير قتادة.

﴿وما كان اللَّه ليطلعكم على الغيب﴾ قال المنافقون: ما شأن محمد؛ إن كان صادقًا لا يخبرنا بمن يؤمن به قبل أن يؤمن؟ فقال اللَّه: ﴿وما كان اللَّه ليطلعكم على الغيب ولكن اللَّه يجتبي﴾ أي: يستخلص ﴿من رسله من يشاء﴾ فيطلعه على ما يشاء (من الغيب)[٣].

﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم اللَّه من فضله هو خيرًا لهم﴾ قال محمد: يعني: البخل خيرًا لهم.

﴿بل هو شرٌّ لهم سيُطوقون ما بخلوا به﴾ قال الكَلْبي: يُطَوَّق شجاعين في عنقه؛ فَيَلْدَغان جبهته ووجهه؛ يقولان: أنا كنزك الذي كنزت، أنا الزكاة التي بخلت بها .

﴿ولِلَّه ميراثُ السمٰوات والأرض﴾ أي: يبقى، وتفنون أنتم.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ

---

(١) يقال: أملاه، وأمْلَى له بمعنى أطال له وأمهله. ينظر: اللسان، القاموس المحيط (ملو).

(٢) وفيها تفصيل نحوي ينظر من: إعراب القرآن (١/ ٣٧٩ - ٣٨٠)، البحر (٣/ ١٢٢ - ١٢٣)، البيان (١/ ٢٣٢)، الدر المصون (٢/ ٢٦٤).

(٣) سقط من «ر».

أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿لقد سمع اللَّهُ قول الذين قالوا إن اللَّه فقيرٌ ونحن أغنياء﴾ قالت اليهود: إن اللَّهَ استقرضكم، وإنما يستقرض الفقير، قالوه لقول اللَّه: ﴿من ذا الذي يقرض اللَّه قرضًا حسنًا﴾(١) قال اللَّه: ﴿سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياءَ بغيرِ حق﴾ يعني: بهذا: أوائلهم الذين قتلوا الأنبياء ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ يعني: في الآخرة ﴿الذين قالوا إن اللَّه عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم﴾ من القربان الذي تأكله النار؛ فلم تؤمنوا بهم وقتلتموهم ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ أن اللَّه عهد إليكم ذلك؛ يعني به أوائلهم وكانت الغنيمة قبل هذه (ل٥٧) الأمة [لا تحل لهم](٢) كانوا يجمعونها فتنزل عليها نارٌ من السماء؛ فتأكلها.

قال مجاهد(٣): وكان الرجل إذا تصدَّق بصدقة فتقبلت منه أُنْزِلت عليها

(١) البقرة: ٢٤٥ .
(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».
(٣) في «ر»: محمد.

نارٌ، فأكلتها.

﴿فإن كذبوك فقد كُذبَ رسلٌ من قبلك جاءوا بالبينات والزبر﴾ يعني: الحُجَج والكتب ﴿والكتاب المنير﴾ يعني: الحلال والحرام.

قال الحسن: أمر اللَّه نبيَّه بالصَّبر وعزَّاه، وأعلمه أن الرسل قد لقيت في جَنْب اللَّه أذى.

﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ عَزَّى اللَّه رسولَه والمؤمنين عن الدنيا، وأخبرهم أن ذلك يصير باطلًا.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿لتبلون﴾ لتُخْتَبَرُنَّ ﴿ في أموالكم وأنفسكم ...﴾ الآية؛ ابتلاهم في أموالهم [وأنفسهم][(١)] ففرض عليهم أن يجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم، وأن يؤدوا الزكاة، ثم أخبرهم أنهم سيؤذون في جَنْبِ اللَّه، وأمرهم بالصبر.

﴿وإذ أخذ اللَّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس...﴾ الآية، هذا ميثاقٌ أخذه اللَّهُ على العلماء من أهل الكتاب؛ أن يبينوا للناس ما في كتابهم، وفيه رسولُ اللَّه والإسلام ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ وكتبوا كتبًا بأيديهم؛ فحرَّفوا كتاب اللَّه ﴿واشتروا به ثمنًا قليلًا﴾ يعني: ما كانوا يصيبون عليه من عَرَضِ الدنيا ﴿فبئس ما يشترون﴾ اشتروا النار بالجنة.

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

يحيى: عن خداش، عن أبان بن أبي عياش، عن عطاء قال: «من سُئِلَ عن عِلْمٍ عنده فكتمه؛ أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار»[١].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ هم اليهود، قال الحسن: دخلوا على رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الإسلام، فصبروا على دينهم، فخرجوا إلى الناس؛ فقالوا لهم: ما صنعتم مع محمدٍ؟ فقالوا: آمنا به ووافقناه، فقال الله: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ يقول: فرحوا بما في أيديهم حين لم يوافقوا محمدًا ﴿ويحبُّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازةٍ من العذاب﴾ أي: بِمَنْجاة.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا

(١) روي مرفوعًا من طرق، انظر جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢ - ١٨ رقم ١ - ٩).

وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿إنَّ في خلق السمٰوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ [يعني: أولي العقول][1]؛ وهم المؤمنون.

﴿الذين يذكرون اللَّه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم﴾ تفسير قتادة: قال: هذه حالاتُك يا ابن آدم؛ فاذكر اللَّه وأنت قائم؛ فإن لم تستطع فاذكره وأنت جالس، فإن لم تستطع فاذكره وأنت على جَنْبك؛ يُسْرًا من اللَّه وتخفيفًا.

﴿ويتفكَّرون في خلق السمٰوات والأرض ربنا﴾ يقولون: ربنا ﴿ما خلقت هذا باطلًا﴾ أي: إن ذلك سيصير بإذن اللَّه إلى الميعاد ﴿سبحانك فقنا عذاب النار﴾ اصرفْ عنا عذاب النار ﴿وما للظالمين﴾ المشركين ﴿من أنصار﴾ .

﴿ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان﴾ وهو النبي عليه السلام ﴿أن آمنوا بربكم...﴾ الآية. قال الحسن: أمرهم اللَّه أن يدعوا بتكفير ما مضى من الذنوب والسَّيئات، والعصمة فيما بقي.

﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ أي: على أَلْسنة رسلك؛ وعد اللَّه المؤمنين على ألسنة رسلِهِ أن يدخلهم الجنة إذا أطاعوه .

﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ أشركَ اللَّهُ بين الذكر والأنثى ﴿فالذين هاجروا وأُخْرِجوا من ديارهم...﴾ إلى قوله: ﴿حسن الثواب﴾ هذا للرجال دون النساء؛ فسألت عائشةُ النبيَّ ﷺ: «هل على النساء جهادٌ؟ قال: نعم، جهادٌ لا قتال

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

فيه؛ الحج والعمرة»[١].

قال محمدٌ: قوله: ﴿أني لا أضيع﴾ تقرأ بفتح الألف ويكسرها؛ فمن قرأها بالفتح فالمعنى: فاستجاب لهم ربُّهم بأني لا أضيع، ومن قرأها بالكسر فالمعنى: قال لهم: إني لا أضيع[٢]، و«ثوابًا» مصدر مؤكّدٌ[٣].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿لا يغرنّك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ بغير عذاب، إنما هو متاعٌ قليل ذاهبٌ.

قال محمدٌ: وقيل: معنى: ﴿لا يغرنك تقلُّب الذين كفروا في البلاد﴾ أي: تصرفهم في التجارة، وإصابتهم الأموال؛ خطابٌ للنبي عليه السلام والمراد: المؤمنون؛ أي: لا يغرنكم أيها المؤمنون.

(ل٥٨) قوله: ﴿نزلًا من عند اللَّه﴾ أي: ثوابًا ورزقًا.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٧٥، ١٦٥) وابن ماجه (٢/ ٩٦٨ رقم ٢٩٠١) وابن خزيمة (٤/ ٣٥٩ رقم ٣٠٧٤) والدارقطني (٢/ ٢٨٤ رقم ٢١٥) والبيهقي (٤/ ٣٥٠).
وروى البخاري (٣/ ٤٤٦ رقم ١٥٢٠) عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «لكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور».

(٢) الجمهور على فتح (أني) وقرأ عيسى بن عمر بالكسر. ينظر الإعراب للنحاس (١/ ٣٨٦) البحر (٣/ ١٤٣)، الدر المصون (٢/ ٢٨٧). وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية أخرى، تنظر من المرجعين السابقين: البحر، والدر.

(٣) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/ ٣٨٧)، البيان (١/ ٢٣٧)، البحر (٣/ ١٤٦)، الدر المصون (٢/ ٢٨٩).

قال محمدٌ: ﴿نُزُلًا﴾ مصدر مؤكد[١].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وإنَّ من أهلِ الكتاب لمن يؤمن باللَّه﴾ يعني: من آمن منهم ﴿وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين للَّه﴾ الخشوعُ: المخافةُ الثابتةُ في القلب. قال قتادة: ذكر لنا؛ أنها نزلت في النجاشي وأناسٍ من أصحابه؛ آمنوا بنبي اللَّه ﷺ.

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ تفسير قتادة: أي: اصبروا على طاعة اللَّه، وصابروا أهلَ الضلالة، ورابطوا في سبيل اللَّه ﴿واتقوا اللَّه لعلكم تفلحون﴾ وهي واجبةٌ [لمن فعل][٢] والمفلحون: السعداء.

قال محمدٌ: أَصْلُ المرابطة: أن يربط هؤلاء خيولَهم، وهؤلاء خيولهم بالثغر؛ كُلٌّ معِدٌّ لصاحبه، فسمى المقامُ بالثغور رِبَاطًا[٣].

***

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى، تنظر من البحر (٣/ ١٤٧)، إعراب القرآن (١/ ٣٨٨) الدر المصون (٢/ ٢٩١).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (ربط).

تفسير سورة النساء وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾

قوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [يعني: آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: حواء][1] قال قتادة: خلقها من ضلع من أضلاعه القُصَيْرَاء. وقال [مجاهد: من جَنْبه الأيسر.

يحيى:][1] عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: [«إن المرأةَ خُلقت من ضلعٍ، وإنك إن تُرِدْ إقامة][1] الضلع تكسرها، فدارها تَعِش بها»[2].

﴿وبثَّ منهما﴾ أي: [خلق .

﴿واتقوا اللَّه الذي تساءلون][1] به والأرحام﴾ أي: واتقوا الأرحام أن

---

(١) طمس بالأصل، والمثبت من «ر».

(٢) هذا مرسل ضعيف، وقد روي متصلا: رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٤) عن سمرة بن جندب بهذا اللفظ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ورواه البخاري (٩/ ١٦١ رقم٥١٨٦)، ومسلم (٢/ ١٠٩٠- ١٠٩١ رقم ١٤٦٨) عن أبي هريرة بنحوه.

تقطعوها. هذا تفسير من قرأها بالنصب، ومن قرأها بالجر، أراد: الذي تسألون به والأرحام [١]، وهو قول الرجل: نشدتك بالله وبالرَّحم.

﴿إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ حفيظًا.

﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ يعني: إذا بلغوا ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ قال الحسن: الخبيث: أكل أموال اليتامى ظُلْمًا، والطيب: الذي رزقكم الله؛ يقول: لا تذروا الطيب، وتأكلوا الخبيث ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ يعني: مع أموالكم ﴿إنه كان حوبًا كبيرًا﴾ أي: ذنبًا.

قال محمدٌ: وفيه لغة أخرى: حَوْبًا بفتح الحاء [٢]، وقد قُرئ بها [٣].

﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ أي: تعدلوا ﴿في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم﴾ يعني: ما حلَّ لكم من النساء قال قتادة: يقول: كما خفتم الجَوْرَ في اليتامى، وأهمَّكم ذلك، فكذلك فخافوه في جميع النساء، وكان الرجلُ في الجاهلية يتزوج العشر فما دون ذلك، فأحلَّ الله له أربعًا؛ فقال: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ يقول: إن خفت ألا تعدل في أربع فانكح ثلاثًا، فإن خفت ألا تعدل في ثلاث فانكح اثنتين، فإن خفت ألا تعدل في

---

(١) قراءة الجر هي قراءة حمزة، وقراءة النصب هي قراءة الباقين. ينظر: السبعة (٢٢٦)، التيسير (٩٣)، النشر (٢/ ٢٤٧).

وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية أخرى تنظر في: إعراب القرآن (١/ ٣٨٩-٣٩١)، الحجة (٣/ ٢٢٦-٢٣٨)، البحر (٣/ ١٥٧- ١٥٩)، الدر المصون (٢/ ٢٩٦).

(٢) وهي لغة تميم. وفيه لغة أخرى (حابًا) وعليها قراءة أبي بن كعب يقال: حاب يَحُوب حَوْبًا وحُوبًا وحَابًا وحُوُوبًا وحِيابةً؛ أي: أذنب ذنبًا عظيمًا. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حوب) الدر المصون(٢/ ٢٩٨)، البحر (٣/ ١٦١).

(٣) قرأ الجمهور (حُوبًا) بالضم، وقرأ الحسن (حَوْبًا) بالفتح. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٨٦)، البحر (٣/ ١٦١)، الدر المصون (٢/ ٢٩٨).

اثنتين فانكح واحدةً، أو ما ملكت يمينك؛ يطأ بملك يمينه كم يشاء ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أي: أَجْدَرُ ألا تميلوا.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾

﴿وآتوا النساء صَدُقاتهن نحلة﴾ قال قتادة: يعني: فريضة.

قال محمد: اختلف القولُ في ﴿نحلة﴾ فقيل: المعنى: نحلة من اللَّه -عز وجل- للنساء، إذ جعل على الرجل الصداق، ولم يجعل على المرأة شيئًا، يقال: نَحلتُ الرجلَ إذا وهبت له هِبَةً، ونحلت المرأة، وقال بعضهم: معنى ﴿نحلة﴾: ديانة؛ كما تقول: فلان ينتحلُ كذا؛ أي: يدين به[١]. و﴿صدُقاتُهن﴾ جمع: صَدُقة، يقال: هو صَدَاقُ المرأة، وصَدُقة المرأة[٢].

﴿فإن طبن لكم عن شيءٍ منه﴾ يعني: الصداق ﴿نفسًا﴾ [يعني: نفسها][٣] ﴿فكلوه هنيئًا مريئًا﴾ قال قتادة: يعني: ما طابت به نفسها في غير كُرْه؛ فقد أحلَّ اللَّه لها أن تأكله.

قال محمد: يقال: هَنَأَني الطعام ومَرَأني بغير ألف؛ فإذا أفردوا مرأني قالوا: أمرأني بالألف[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (نحل).

(٢) الصَّدَاقُ، والصَّدُقة بمعنى واحد؛ وهو مهر الزوجة، ويجمع الصداق على: أَصْدقة، وصُدُق. وتجمع الصَّدُقة على: صَدُقات. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (صدق).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر» .

(٤) أي: يستعمل رباعيًا إذا أفرد، وإنما يستعمل ثلاثيًا للمشاكلة مع (هنأني). ينظر: إصلاح المنطق (١٤٩، ٣١٩)، الدر المصون (٢/ ٣٠٩).

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ قال الكلبي: يعني: النساء والأولاد؛ إذا علم الرجل أنَّ امرأته سفيهة مفسدة، أو ابنه سفيه مفسد؛ فلا ينبغي له أن يسلط أيهما[(١)] على ماله.

(ل٥٩) قال محمد: والسَّفه في اللغة أصله: الجهل[(٢)].

(التي جعل اللّه لكم قوامًا)[(٣)] لمعايشكم وصلاحكم، وتقرأ ﴿قيامًا﴾[(٤)].

قال محمد: يقال: هذا قوام أمرك وقيامه؛ أي: ما يقوم به أمرك. ومن قرأ (قِيمًا)[(٥)] فهو راجع إلى هذا؛ أي: جعلها اللّه قِيَمَ الأشياء؛ فبها تقوم.

﴿وارزقوهم فيها﴾ يعني: من الأموال ﴿واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾ يعني: العِدَة الحسنة.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

﴿وابتلوا اليتامى﴾ أي: اختبروا عقولهم ودينهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ يعني: الحلم.

﴿فإن آنستم منهم رشدًا﴾ صَلَاحًا في دينهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافًا وبدارًا أن يكبروا﴾ أي: مبادرة أن يكبروا فيأخذوها منكم

(١) في «ر»: واحدًا منهما.
(٢) يقال: سَفِه يَسْفَه سَفَهًا وسَفَاهًا وسَفَاهةً: خف وطاش وجهل. اللسان (سفه).
(٣) المثبت قراءة ابن عمر (قِوامًا) بكسر القاف، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر (قَوامًا) بفتح القاف، وتروى عن أبي عمرو. الدر المصون (٢/ ٣١٠).
(٤) وهي قراءة السبعة إلا نافعًا وابن عامر ينظر: السبعة (٢٢٦)، التيسير (٩٤)، والنشر (٢/ ٢٤٧).
(٥) وهي قراءة نافع وابن عامر. ينظر المراجع السابقة.

﴿ومن كان غنيًا فليستعفف ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف﴾ تفسير قتادة: قال: كان الرجل يلي مال اليتيم يكون له الحائط[١] من النخل، فيقوم على (صلاحه وسقيه، فيصيب من تمره، وتكون له الماشية، فيقوم على)[٢] صلاحها، ويلي علاجها ومؤنتها، فيصيب من جُزَازها[٣] وعوارضها ورِسْلها [يعني بالعوارض: الخِرْفان[٤]، والرِّسْل: السَّمْن واللَّبَن[٥]][٦] فأما رِقاب المال فليس له أن يستهلكه.

يحيى: عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب (عن أبي الخير)[٧] «أنه سأل ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار عن قول الله - عز وجل -: ﴿ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف﴾ فقالوا: فينا والله أُنزلت، كان الرجل يلي مال اليتيم له النخل، فيقوم له عليها؛ فإذا طابت الثمرة، كانت يده مع أيديهم مثل ما كانوا مستأجرين به غيره في القيام عليها».

يحيى: عن نصر بن طريف، عن عمرو بن دينار، عن الحسن العرني: «أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن في حجري يتيمًا أفأضربه؟ قال: اضربه مما كنت ضاربًا منه ولدك. قال: أفآكل من ماله؟ قال: بالمعروف غير متأثِّل[٨]

---

(١) أي: البستان. وجمعه: حوائط وحيطان. اللسان (حوط).
(٢) سقط من «ر».
(٣) الجُزَاز من كل شيء: ما جُزَّ عنه. والمراد هاهنا الصوف، ويقال فيه أيضًا: الجَزَز. ينظر لسان العرب (جزز).
(٤) ينظر لسان العرب (عرض).
(٥) ينظر لسان العرب (رسل).
(٦) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٧) في «ر» عن أبي الحسن. وأبو الخير هو مرثد بن عبدالله اليزني، ترجمته في التهذيب (٢٧/ ٣٥٧-٣٥٩).
(٨) تأثّل المالَ: ادّخره ليستثمره. اللسان (أثل).

من ماله مالًا، ولا وَاقٍ مَالَكَ بماله»[1].

قوله: ﴿وكفى بالله حسيبًا﴾ أي: حفيظًا.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون...﴾ الآية. هذا حين بيَّن الله فرائض المواريث، نزلت آية المواريث قبل هذه الآية، وهي بعدها في التأليف؛ وكان أهل الجاهلية لا يعطون النساء من الميراث، ولا الصغير شيئًا، وإنما كانوا يعطون من يحترف وينفع ويدفعُ، فجعل الله لهم من ذلك ﴿مما

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٤٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٦٣ رقم٢) عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار به.
ورواه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٦٠) من طريق عبدالرزاق به، لكن وقع فيه «عن الحسن البصري» وكذلك وقع في نسخة الشيخ شاكر (٧/ ٥٩٢ رقم ٨٦٤٨).
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٩) ومن طريقه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٦٠) من طريق الزبير بن موسى عن الحسن العرني به.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ٢٨٦) لابن المبارك في البر والصلة، وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٣٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والنحاس في ناسخه كلهم رووه مرسلا.
ورواه الثعلبي في تفسيره من حديث عبدالله بن محمد بن أبي أسامة ثنا أبي عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن الحسن العرني، عن ابن عباس به. كذا في تخريج الكشاف (١/ ٢٨٦).
ورواه ابن حبان في صحيحه (١٠/ ٥٤-٥٥ رقم٤٢٤٤) من طريق أبي عامر الخزاز، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبدالله. وانظر تخريج الكشاف (١/ ٢٨٥-٢٨٦).

قلَّ منه أو كثر نصيبًا مفروضًا﴾.

﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى. . .﴾ الآية، يعني: قسمة المواريث.

تفسير الحسن: إن كانوا يقتسمون مالًا أو متاعًا أعْطوا منه، وإن كانوا يقتسمون دورًا أو رقيقًا قيل لهم: ارجعوا رحمكم الله؛ فهذا قولٌ معروفٌ، وكان الحسن يقول: ليست بمنسوخةٍ. وقال سعيد بن المسيب: هي منسوخة نسختها آيةُ المواريث.

يحيى: وهو قول العامة أنها منسوخة(١).

﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا﴾ تفسير قتادة: قال: يقول: من حضر ميتًا(٢) فليأمره بالعدل والإحسان، ولْيَنْهَهُ عن الحيف(٣) والجور في وصيَّته، وليخش على عياله ما كان خائفًا على عيال من حضره الموت.

﴿إنما يأكلون في بطونهم نارًا﴾ أي: إنما يأكلون به نارًا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (٣١-٣٢).
(٢) أي: في فراش الموت، أو من حضره الموت.
(٣) أي: الظلم . ينظر لسان العرب (حيف).

﴿فإن كن نساءً فوق اثنتين﴾ يعني: أكثر من اثنتين.

﴿فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف﴾.

قال محمد: (أعطيت الابنتان الثلثين)[١] بدليل لا يفرض مسمى لهما؛ والدليل قوله: ﴿يستفتونك قل اللَّه يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾[٢] فقد صار للأخت النصف، كما أن للابنة النصف ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان﴾ فأعطيت (ل٦٠) البنتان الثلثين؛ كما أعطيت الأختان، وأعطى جملة الأخوات الثلثين؛ قياسًا على ما ذكر اللَّه في جملة البنات[٣].

﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ ذكر أو ولد ابن ذكر [أوأنثى][٤] وإن ترك ابنتين أو أكثر وأبويه فكذلك أيضًا، وإن ترك ابنته وأبويه، فللابنة النصف وللأم ثلث ما بقي وما بقي فللأب، وليس للأم مع الولد الواحد أو أكثر؛ ذكرًا كان أو أنثى إلا السدس.

﴿فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾ هذا إذا لم يكن له وارثٌ غيرهما؛ في قول زيد والعامَّة.

﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ إذا كان له أخوان فأكثر حجبوا الأم عن الثلث، وكان لها السدس ولا يحجبها الأخ الواحد عن الثلث، ولا الأخوان إذا كانا أخويه لأبيه أو أخويه لأمه، أو بعضهم من الأب وبعضهم من الأم فهؤلاء ذكورًا كانوا أو إناثًا أو بعضهم ذكور وبعضهم إناث يحجبون الأم عن

(١) في «ر»: حظ الأنثيين.
(٢) النساء: ١٧٦.
(٣) في «ر»: قياسًا على ما ذكر اللَّه للأختين والبنات.
(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

الثلث؛ فلا تأخذ إلا السدس ﴿من بعد وصية يوصي به أو دين﴾ فيها تقديم؛ يقول: من بعد دين يكون عليه أو وصية يوصي بها.

﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا﴾ تفسير مجاهد: لا تدرون أيهم أقرب لكم نَفْعًا في الدنيا ﴿فريضةً من اللَّه﴾ قال السُّدِّي يعني: قسمة المواريث لأهلها الذين ذكرهم اللَّه في هذه الآية.

قال محمد: ﴿فريضةً﴾ منصوبٌ على التوكيد والحال[1]؛ أي: ما ذكرنا لهؤلاء الورثة مفروضًا فريضة مؤكدة، لقوله: ﴿يوصيكم اللَّه﴾.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ أو ولد ولد، وولد البنات لا يرثون شيئًا، ولا يحجبون وارثًا.

﴿فإن كان لهن ولد﴾ ذكرٌ أو أنثى ﴿فلكم الربع مما تركن﴾.

﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾ أو ولد ولد، ولا يرث ولد

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر في: البحر (٣/ ١٨٧-١٨٨)، الدر المصون (٢/ ٣٢٣).

البنات شيئًا ولا يحجبون.

﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم﴾ فإن ترك رجل امرأتين أو ثلاثًا أو أربعًا، فالربع بينهن سواء؛ إذا لم يكن له ولد، فإن كان له ولد أو ولد ولد؛ ذكر أو أنثى، فالثمن بينهن سواء.

﴿وإن كان رجلٌ يورث كلالةً أو امرأة وله أخٌ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ وذكرهم كأنثاهم فيه سواءٌ. قال قتادة: والكلالة: الذي لا ولد له ولا والد ولا جدٌّ ﴿غير مُضارٍّ﴾ في الميراث أهله، يقول: لا يقر بحق ليس عليه، ولا يوصي بأكثر من الثلث مضارة لهم.

قال محمد: ﴿غير﴾ منصوب على الحال، المعنى: يوصي بها غير مضار[1] ﴿وصية من اللَّه﴾ تلك القسمة.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تلك حدود اللَّه﴾ أي: سُنَّته وأمره في قسمة المواريث ﴿ومن يطع اللَّه ورسوله﴾ في قسمة المواريث؛ كما أمره اللَّه ﴿ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار. . .﴾ الآية.

﴿ومن يعص اللَّه ورسوله﴾ في قسمة المواريث ﴿ويتعد حدوده. . .﴾ الآية وذلك أن المنافقين كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان الصغار؛ كانوا يظهرون

(١) وفيه تفصيل نحوي، ينظر: البحر (٣/ ١٩١)، الدر المصون (١/ ٣٢٦).

الإسلام وهم على ما كانوا عليه في الشرك، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم...﴾ يعني: الزنا، الآية.

قال يحيى: وقيل: هذه الآية نزلت بعد الآية التي بعدها في التأليف[1] ﴿والَّذان يأتيانها منكم﴾ يعني: الفاحشة ﴿فآذوهما﴾ بالألسنة ﴿فإن تابا وأصلحا...﴾ الآية.

ثم نزلت هذه الآية: ﴿فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلًا﴾ يعني: مخرجًا من الحبس؛ في تفسير السُّدِّي، ثم نزل في سورة النور: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾[2].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾﴾

---

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص٣٣).
(٢) النور: ٢، وينظر الناسخ والمنسوخ (ص٣٣).

﴿إنما التوبة على اللَّه﴾ يعني: التجاوز من اللَّه ﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ (ل٦١) قال قتادة: كل ذنب أتاه عبدٌ فهو بجهالة.

﴿ثم يتوبون من قريب﴾ يعني: ما دون الموت، يقال: ما لم يُغَرْغِرْ.

﴿فأولئك يتوب اللَّه عليهم﴾ قال الحسن: نزلت هذه الآية في المؤمنين، ثم ذكر الكفار؛ فقال: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾؛ يعني: الشرك باللَّه ﴿حتى إذا حضر أحدهم الموت﴾ عند معاينة ملك الموت قبل أن يخرج من الدنيا ﴿قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهًا﴾ كان الرجل في الجاهلية يموت عن امرأته، فيُلقي وليه عليها ثوبًا؛ فإن أحبَّ أن يتزوجها تزوجها، وإلا تركها حتى تموت، فيرثها، إلا أن تذهب إلى أهلها من قبل أن يلقي عليها ثوبًا، فتكون أحق بنفسها ﴿ولا تعضلوهن﴾ تحبسوهن ﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ يعني: الصداق ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ نُهِي[1] الرجل إذا لم يكن له بامرأته حاجة أن يضرها فيحبسها لتفتدي منه ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ تفسير بعضهم: إلا أن تكون هي الناشزة فتختلع منه.

الفاحشة المبينة: عصيانها ونشوزها.

---

(١) في «ر»: يعني.

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي: اصحبوهن بالمعروف ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل اللَّه فيه خيرًا كثيرًا﴾ يكره الرجل المرأة، فيمسكها وهو لها كاره، فعسى اللَّه أن يرزقه منها ولدًا، ثم يعطفه اللَّه عليها، أو يطلقها، فيتزوَّجها غيره، فيجعل اللَّه للذي تزوَّجها فيه خيرًا كثيرًا.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ يعني: طلاق امرأة، ونكاح أخرى.

﴿وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا﴾ أي: ظلمًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بيِّنًا.

يقول له: لا يحل له أن يأخذ ممَّا أعطاها شيئًا، إلا أن تنشز؛ فتفتدي منه.

قال محمد: ﴿بهتانًا﴾ مصدر موضوع موضع الحال[1]؛ المعنى: أتأخذونه مباهتين وآثمين. والبهتان: الباطل الذي يُتحيَّر من بطلانه[2].

﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ يعني: المجامعة ﴿وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا﴾ هو قوله: ﴿إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[3] في تفسير قتادة.

قال قتادة: وقد كانت في عقد المسلمين عند نكاحهم: اللَّه عليك لتمسكن

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/ ٢٠٧)، الدر المصون (٢/ ٣٣٨).
(٢) والبهتان فُعْلان من البَهْتِ؛ وهو التحيُّر والدَّهش. ينظر اللسان (بهت).
(٣) البقرة: ٢٢٩.

بمعروف، أو لتسرحن بإحسان.

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ يعني: ما قد مضى قبل التحريم ﴿إنه كان فاحشة ومقتًا﴾ بغضًا من الله ﴿وساء سبيلًا﴾ أي: بئس المسلك.

قوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ والجدات كلهن مثل الأم، وأم أبي الأم مثل الأم ﴿وبناتكم﴾ وبنات الابن وبنات الابنة وأسفل من ذلك فهي كالابنة ﴿وأخواتكم﴾ إن كانت لأبيه وأمه أو لأبيه أو لأمه فهي أخت ﴿وعماتكم﴾ فإن كانت عمته [أو عمة أبيه][1] أو عمة أمه وما فوق ذلك فهي عمة ﴿وخالاتكم﴾ فإن كانت خالته أو خالة أبيه أو خالة أمه أو خالة فوق ذلك - فهي خالته ﴿وبنات الأخ﴾ فإن كانت ابنة أخيه أو ابنة ابن أخيه لأبيه وأمه أو لأبيه أو لأمه أو ابنة ابنة أخيه وما أسفل من ذلك- فهي بنت[2] أخ.

(١) لحق لم يظهر بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) في «ر»: بنات.

﴿وبنات الأخت﴾ فإن كانت ابنة أخته أو ابنة ابن أخته (أو ابنة ابنة أخته)[١] وأسفل من ذلك- فهي ابنة أخت.

﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب؛ فلا تحل له أمه من الرضاعة ولا ما فوقها من الأمهات، ولا أخته من الرضاعة، ولا عمته من الرضاعة، ولا عمة أبيه من الرضاعة، ولا عمة أمه من الرضاعة، ولا ما فوق ذلك، ولا خالة من الرضاعة، ولا خالة أبيه، ولا خالة أمه، ولا ما فوق ذلك، ولا ابنة أخيه من الرضاعة، ولا ابنة ابن أخيه من الرضاعة، ولا ابنة ابنة أخيه من الرضاعة، ولا ما سفل من ذلك، ولا ابنة أخته من الرضاعة ولا ابنة ابن أخته، (ل٦٢) ولا ابنة ابنة أخته من الرضاعة، ولا ما أسفل من ذلك. وإذا أرضعت المرأة غلامًا لم يتزوّج ذلك الغلام شيئًا من بناتها[٢]؛ لا ما قد وُلد (معه ولا قبل)[٣] ذلك ولا بعده، ويتزوج إخوته من أولادها إن شاءوا، وكذلك إذا أرضعت جارية لم يتزوج تلك الجاريةَ أحد من أولادها؛ لا ما وُلِدِ قبل رضاعها، ولا ما بعده، يتزوج إخوتها من أولادها إن شاءوا.

﴿وأمهات نسائكم﴾ لا تحل للرجل أم امرأته، ولا أمهاتها.

﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ فإذا تزوَّج الرجل المرأة، فطلقها قبل أن يدخل بها، أو ماتت ولم يدخل بها- تزوج ابنتها إن شاء، وإن كان قد دخل بها لم يتزوَّج ابنتها، ولا ابنة ابنتها، ولا ما أسفل من ذلك.

---

(١) سقط من «ر».
(٢) في «ر» : أولادها.
(٣) في «ر» : قبل رضاعه.

﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ فلا تحل له امرأة ابنه، ولا امرأة ابن ابنه، ولا امرأة ابن ابنة ابنه ولا أسفل من ذلك، وإنما قال اللَّه: ﴿الذين من أصلابكم﴾ لأن الرجل كان يتبنَّى الرجل في الجاهلية، وقد كان النبي ﷺ تبنَّى زيدًا، فأحل اللَّه [له][1] نكاح نساء الذين تبنّوا، وقد تزوج النبي -عليه السلام- امرأة زيد بعد ما طلقها.

﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾ ما مضى قبل التحريم؛ فإن كانت أختها لأبيها وأمها، أو أختها لأبيها، (أو أختها لأمها، أو من الرضاعة)[2]- فهي أختٌ، وجميع النسب والرضاع في الإماء بمنزلة الحرائر.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿والمحصنات من النساء﴾ المحصنات ها هنا: اللاتي لهن الأزواج؛ يقول: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم﴾ إلى هذه الآية، ثم قال: ﴿والمحصنات من النساء﴾ أي: وحُرم عليكم المحصنات من النساء ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾؛ يعني: من السَّبَايَا؛ فإذا سُبِيَتِ المرأةُ من أهل الشرك، ولها زوج، ثم وقعت في سهم رجل؛ فإن كانت من أهل الكتاب، وكانت حاملًا لَمْ يَطَأْها؛ حتى تضع، وإن كانت ليست بحامل، لم يقربْها؛ حتى تحيض، وإن لم يكن لها زوج فكذلك أيضًا، وإن كانت من غير أهل الكتاب لم يطأها،

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) سقط من «ر».

حتى تتكلم بالإسلام فإذا قالت: لا إله إلا اللَّه، استبرأها بحيضة، إلا أن تكون حاملًا؛ فيكفّ عنها، حتى تضع.

يحيى: عن المُعَلَّى، عن عثمان البتّي، عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري قال: «أَصَبْنا يَوم أَوْطَاس سَبَايَا نعرف أنسابهن وأزواجهن، فامتنَعْنا منهن؛ فنزلت هذه الآية: ﴿والمحصنات من النساءِ إلا ما ملكت أيمانكم﴾ من السبايا»[1].

﴿كتاب اللَّه عليكم﴾ يعني: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم إلى هذا الموضع، ثم قال: كتاب اللَّه عليكم؛ يعني: بتحريم ما قد ذكر.

قال محمد: ﴿كتاب اللَّه﴾ منصوب على معنى: كتب عليكم كتابًا[2].

﴿وأُحلَّ لكم ما وراء ذلكم﴾ يعني: ما بعد ذلكم من النساء.

﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ تتزوَّجوا بأموالكم؛ لا يتزوج فوق أربع.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٧٢) والترمذي (٣/ ٤٣٨ رقم ١١٣٢، ٥/ ٢١٨-٢١٩ رقم ٣٠١٧) والنسائي في الكبرى (٣/ ٣٠٨ رقم ٥٤٩١، ٦/ ٣٢١ رقم ١١٠٩٧) والطبري في تفسيره (٥/ ٢) والدارقطني في العلل (١١/ ٣٥٢) وغيرهم من طريق عثمان البتي به.
ورواه مسلم (٢/ ١٠٨٠ رقم ١٤٥٦/ ٣٥) من طريق قتادة عن أبي الخليل به.
ورواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٥٣-١٥٤) عن معمر عن قتادة، عن أبي الخليل أو غيره عن أبي سعيد به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهكذا رواه الثوري، عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد، وأبوالخليل اسمه صالح بن أبي مريم، وروى همام هذا الحديث عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ.
ورواه الإمام أحمد (٣/ ٨٤) ومسلم (٢/ ١٠٧٩-١٠٨٠ رقم ١٤٥٦/ ٣٣، ٣٤) وأبو داود (٢/ ٢٤٧ رقم ٢١٥٥) والترمذي (٣/ ٤٣٨) والنسائي (٦/ ٣٢١ رقم ١١٠٩٦) والطبري في تفسيره (٥/ ٢) من غيرهم من طرق عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد.
وقال الدارقطني في العلل (١١/ ٣٥٢ رقم٢٣٣٤): وقول قتادة أصح.

(٢) وفي نصبه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/ ٤٠٦)، مجمع البيان (٢/ ٣١)، البحر (٣/ ٢١٤)، الدر المصون (٢/ ٣٤٥).

﴿محصنين غير مسافحين﴾ قال مجاهد: يعني: ناكحين غير زانين ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ قال مجاهد: يعني: النكاح. ﴿فآتوهن﴾ فأعطوهن ﴿أجورهن﴾ قال: صَدُقَاتهنّ. ﴿فريضة﴾ «كان رسولُ اللَّه ﷺ رخَّصَ في المتعة يومَ فتح مكة إلى أجلٍ؛ على ألا يَرِثُوا ولا يُوَرِّثُوا، ثم نهى عنها بعد ثلاثة أيام»[١] فصارت منسوخةً نسختها الميراث والعدة[٢].

﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ قال الحسن: لا بأس على الرجل أن تضع له المرأة من صداقها الذي فرض لها؛ كقوله: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا﴾[٣].

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ومن لم يستطع منكم طولًا﴾ (ل٦٣) يعني: غنى ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ يعني: الحرائر المؤمنات ﴿فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم﴾ يعني: إماءكم المؤمنات، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب ﴿واللَّه أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض﴾؛ يعني: المؤمنين، حرهم ومملوكهم، وذكرهم وأنثاهم، واللَّه أعلم بإيمانكم ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ أي: ساداتهن ﴿وآتوهن أجورهن

(١) رواه مسلم (٢/ ١٠٢٣ - ١٠٢٧ رقم ١٤٠٦) عن سبرة بن معبد الجهني.
(٢) وينظر الناسخ والمنسوخ (ص٣٥-٣٦).
(٣) النساء: ٤.

بالمعروف﴾ يعني: ما تراضوا عليه من المهر ﴿مُحْصَنَاتٍ غير مسافحات﴾ يعني: ناكحات غير زانيات ﴿ولا متخذات أخدان﴾ المُسَافحة: المجاهرة بالزنا، وذات الخدن: التي كان لها خليل في السِّر[1] ﴿فإذا أُحْصِنَّ﴾ قال قتادة: يعني: أحصنتْهُنَّ البعولةُ ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ يعني: الزنا ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ يعني: الحرائر ﴿من العذاب﴾ يعني: من الجلد؛ تجلد خمسين جلدة ليس عليها رَجْمٌ، وإن كان لها زوج.

﴿ذلك لمن خشي العنت منكم﴾ قال قتادة: إنما أمر الله نكاح الإماء المؤمنات لمن خشي العنت على نفسه -والعنت: الضيق- أي: لا يجد ما يستعف به، ولا يصبر فيزني.

﴿وأن تصبروا خيرٌ لكم﴾ يعني: عن نكاح الإماء.

﴿يريد الله ليبين لكم﴾ حلاله وحرامه ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ يعني: شرائع من كان قبلكم من المؤمنين فيما حرَّم عليكم من الأمهات والبنات والأخوات... إلى آخر الآية.

﴿ويتوب عليكم﴾ أي: يتجاوز عما كان من نكاحكم إياهُنَّ قبل التحريم.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ هي مثل الأولى قبلها.

﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ يعني: اليهود في استحلالهم نكاح بنات

---

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (سفح، خذن)، والدر المصون (٢/ ٣٥٠).

الأخ. ﴿أن تميلوا﴾ يعني: أن تأثموا.

﴿يريد اللَّه أن يخفف عنكم﴾ في نكاح الإماء، ولم يكن أحلَّ نكاحهن لمن كان قبلكم ﴿وخلق الإنسان ضعيفًا﴾ أي: لا يصبر عن النساء.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ يعني: بالظلم ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ يعني: تجارة حلالًا ليس فيها ربًا ﴿عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، (عن)[1] أبي بكر [بن][2] عبدالرحمن[3] (عن)[4] أبي أمامة بن سهل بن حُنَيْفٍ «أن النبي عليه السلام بعث رجلًا في سرية فأصابه كلْمٌ[5]، فأصابته عليه جنابةٌ، فصلى ولم يغتسل، فعاب عليه ذلك أصحابُه، فلما قدموا على النبي عليه السلام ذكروا ذلك له، فأرسل إليه، فجاءه فأخبره، فأنزل اللَّه -عز وجل-: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن اللَّه كان بكم رحيمًا﴾»[6].

---

(١) تحرفت في «ر» إلى: «و» وإبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي ترجمته في التهذيب (٢/ ١٨٤-١٩١)، وأبوبكر بن عبدالرحمن الأنصاري ترجمته في الكنى لأبي أحمد الحاكم (٢/ ٢٤٣رقم٧٤٢).

(٢) تحرفت في «الأصل» إلى:«عن».والتصويب من «ر».

(٣) زاد بعدها في «الأصل»: ابن أبي أمامة. وهي زيادة مقحمة ليست في «ر».

(٤) تحرفت في «ر» إلى: بن.

(٥) أي: جراحة.

(٦) رواه عبدالرزاق في مصنفه في التيمم -كما في تخريج الكشاف (١/ ٣١٠)- عن ابن جريج، عن أبي بكر بن عبدالرحمن الأنصاري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف وعبدالله بن عمرو ابن العاص عن عمرو بن العاص بنحوه.

ورواه أبو أحمد الحاكم في الكنى (٢/ ٢٤٣)، والطبراني في معجمه -كما في تخريج الكشاف (١/ ٣١٠) - من طريق عبد الرزاق به.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٦٣): رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبوبكر بن عبدالرحمن الأنصاري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

قلت: أبو بكر بن عبدالرحمن الأنصاري ذكره أبو أحمد الحاكم في الكنى، وذكره البخاري في الكنى (ص١٢) مختصرًا، وإبراهيم بن محمد متروك، وثقه الشافعي.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا﴾ يعني: الجنة. قال قتادة: إنما وعد اللَّه المغفرة من اجتنب الكبائر.

يحيى: عن أبي أميَّة، عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الكبائر تسعٌ: الإشراك باللَّه، وقتل النفس التي حرَّم اللَّه [إلا بالحق](1)، وعقوق الوالدين المسلمين، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والسحر، والفرار من الزحف، وشهادة الزور»(2).

يحيى: عن الحسن البصري قال: كان الفرار من الزحف من الكبائر يوم بدر.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن قتادة، عن الحسن: «أن النبي عليه السلام ذكرت عنده الكبائر، فقال: فأين تجعلون اليمين الغموس؟»(3).

---

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٢) هذا معضل، وقد روي موصولًا:
فرواه أبوداود (٣/ ٣٩٧-٣٩٨ رقم ٣٨٦٧) والنسائي (٧/ ١٠٣ رقم ٤٠٢٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣١ رقم ٥٢٠٠) والطبراني في الكبير (١٧/ ٤٧- ٤٨ رقم ١٠١) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٩، ٤/ ٢٥٩- ٢٦٠) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير، عن أبيه عن النبي ﷺ بنحوه.
قال الحاكم: قد احتجا برواة هذا الحديث غير عبدالحميد بن سنان، فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي وابنه عبيداللَّه متفق على إخراجه والاحتجاج به.
فتعقبه الذهبي في عبد الحميد بن سنان فقال: لجهالته، ووثقه ابن حبان.
وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨١): وعبدالحميد بن سنان حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: في حديثه نظر.

(٣) لم أقف عليه، واللَّه أعلم.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش، وفيهن عقوبة»[1].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض...﴾ الآية.

تفسير مجاهد: نزلت في النساء يقلن: يا ليتنا كنا [رجالًا فنغزو، ونبلغ مبلغ][2] (ل٦٤) الرجال.

﴿ولكل جعلنا موالي﴾ يعني: العصبة.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن هشام بن حجيرة، عن طاوس، عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألحقوا المال بالفرائض، فما أبقت

---

(١) هذا مرسل ضعيف، وقد روي بإسناد متصل:
رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٤٠ رقم ٢٩٣) وفي مسند الشاميين (٤/ ٢٦ رقم ٢٦٣٥)، والبيهقي في سننه (٨/ ٢٠٩) عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.
وقال البيهقي: تفرد به عمر بن سعيد الدمشقي، وهو منكر الحديث، وإنما يُعرف من حديث النعمان بن مرة مرسلا.
ثم رواه البيهقي (٨/ ٢٠٩-٢١٠) من طريق مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد، عن النعمان بن مرة مرسلا.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» . وفي تفسير ابن كثير: تفسير مجاهد: نزلت في النساء يقلن: ليتنا كنا رجالًا فنغزو كما يغزو الرجال.

الفرائض، فأول رحم ذكر»[١].

﴿والذين عاقدت[٢] أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ تفسير قتادة قال: كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية؛ فيقول: دمي دمُك، وترثني وأرثك، تُطْلب بي وأُطْلب بك، فجعل له السدس من جميع المال، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم، ثم نسخ ذلك بَعْدُ في الأنفال فقال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه﴾[٣] فصارت المواريث لذوي الأرحام.

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أي: مُسلَّطون على أدب النساء، والأخذ على أيديهن.

قال قتادة: ذُكِر [لنا][٤] أن رجلًا لطم امرأته على عهد نبي اللّه، فأتت المرأة نبي اللّه، فأراد نبيُّ اللّه أن يَقُصَّها منه فأنزل اللّه: ﴿الرجال قوامون

---

(١) رواه البخاري (١٢/١٢ رقم ٦٧٣٢) ومسلم (٣/١٢٣٣-١٢٣٤ رقم ١٦١٥) من طريق عبداللّه بن طاوس عن أبيه.

(٢) قرأ الكوفيون ﴿عقدت﴾ وقرأ الباقون (عاقدت). ينظر: السبعة: (٢٣٣)، التيسير (٩٦)، النشر (٢/٢٤٩).

(٣) (الأنفال: ٧٥) وينظر: الناسخ والمنسوخ (ص٣٧).

(٤) من «ر».

على النساء﴾[١].

﴿بما فضل اللّه بعضهم على بعض﴾ جعل شهادة امرأتين شهادة رجل واحد، وفضلوا في الميراث ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ يعني: الصَّدُقاتِ ﴿فالصالحات﴾ يعني: المحسنات إلى أزواجهن ﴿قانتات﴾ أي: مطيعات لأزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ لغيب أزواجهن في فروجهن ﴿بما حفظ اللّه﴾ أي: بحفظ اللّه إياهن.

﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن؛ يعني: تنشز على زوجها؛ فلا تدعه أن يغشاها[٢] ﴿فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ قال قتادة: ابدأ فَعِظْها بالقول، فإن عصت فاهجرها؛ فإن عصت فاضربها ضربًا غير شائنٍ.

﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا﴾ تفسير الكلبي: يقول: فإن أطعنكم في الجماع، فلا تبغوا عليهن سبيلًا؛ يقول: لا تكلفوهن الحُبَّ، فإنما جعلت الموعظة لهن والضرب[٣] في المضجع ليس على الحب، ولكن على حاجته إليها .

﴿وإن خفتم﴾ علمتم ﴿شقاق بينهما﴾ قال الحسن: يقول: إن نشزت حتى

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٥٧) والطبري في تفسيره (٥/ ٥٨).
ورواه الطبري (٥/ ٥٨) عن قتادة عن الحسن مرسلا .
ورواه الطبري (٥/ ٥٨) وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٠ رقم ٥٢٤٦) وغيرهما من طرق عن الحسن مرسلاً.
ورواه الطبري (٥/ ٥٨) عن ابن جريج والسدي مرسلاً.
ورواه ابن مردويه في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤٩١) عن علي.

(٢) أي: أن يطأها. اللسان (غشى).

(٣) في «ر»: ضربهن.

تشاق زوجها ﴿فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها﴾ إذا نشزت، ورفع ذلك إلى الإمام، بعث الإمام حكمًا من أهل المرأة، وحكمًا من أهل الرجل يصلحان بينهما، ويجمعان ولا يفرقان، وينظران من أين يأتي الدرء[1]، فإن اصطلحا فهو أمر الله وإن أبيا ذلك وأبت المرأة إلا نشوزًا وقفها الإمام على النشوز، فإن افتدت من زوجها، فقد حل له أن يخلعها.

﴿إن يريدا إصلاحًا﴾ قال مجاهد: يعني: الحكمين ﴿يوفق الله بينهما﴾.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)﴾

﴿واعبدوا الله﴾ يعني: واحفظوا الله ﴿ولا تشركوا به شيئًا﴾ أي: لا تعدلوا به غيره ﴿وبالوالدين إحسانًا﴾.

﴿والجار ذي القربى﴾ الذي له قرابة ﴿والجار الجنب﴾ الأجنبي الذي ليست له قرابة.

﴿والصاحب بالجنب﴾ يعني: الرفيق في السفر، في تفسير ابن جبير. وقال غيره: يعني: المرأة.

قال محمد: وقيل: في الجار الجنب: إنه الغريب، والجنابة في اللغة:

---

(١) أي: دفع الفرقة. وفي «ر»: الضرر.

[البعد][1]: يقال: رجلٌ جُنُبٌ: [غريب][2].

يحيى: عن المعلَّى بن هلال، عن محرر بن عبدالله، عن عطاءٍ الخراساني قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق، وجارٌ له حقان، وجارٌ له ثلاثة حقوق؛ فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق؛ فالجار المسلم ذو الرحم؛ فله حق الإسلام، وحق الرحم، وحق الجوار. وأما الذي له حقان: فالجار المسلم؛ له حق الإسلام، وحق الجوار، وأما الذي له حق واحد: فالجار المشرك؛ له حقُّ الجوار»[3].

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر: اللسان، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جنب). ويقال فيه: جار الجُنُب، وجارٌ جُنُب. والجمع أَجْناب. وفي الأصل: رجل جنب غُرب. والمثبت من «ر».

(٣) هذا مرسل ضعيف، وقد رُوي عن عطاء الخراساني موصولا، واختلف عليه فيه:
فرواه ابن أبي فديك، عن عبدالرحمن بن الفضيل، عن عطاء الخراساني، عن الحسن، عن جابر. خرجه البزار -كشف الأستار (٢/ ٣٨٠ رقم ١٨٩٦) - وأبونعيم في الحلية (٥/ ٢٠٧).
قال البزار: لا نعلمه يُروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.
ونقل ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٩٥) عن البزار قوله: لا نعلم أحدًا روى عن عبدالرحمن بن الفضيل إلا ابن أبي فديك.
وقال أبو نعيم: غريب من حديث عطاء عن الحسن، لم نكتبه إلا من حديث ابن أبي فديك.
ورواه سويد بن عبدالعزيز، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. خرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٩٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٨٣-٨٤ رقم ٩٥٦٠).
قال البيهقي: سويد بن عبد العزيز وعثمان بن عطاء وأبوه ضعفاء، غير أنهم غير متهمين بالوضع، وقد روي بعض هذه الألفاظ من وجه آخر ضعيف.
وقال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ. علل الحديث (١/ ٢٢٠ رقم ٦٣٩، ٢/ ٢٨٥ رقم ٢٣٥٧).
قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص١٣٨): وقد روي هذا الحديث من وجوه أخرى متصلة ومرسلة، ولا تخلوا من مقال.
وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٢٣١): أخرجه الحسن بن سفيان والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في كتابه الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر، وابن عدي من حديث ابن عمرو، وكلاهما ضعيف.

قوله: ﴿وابن السبيل﴾ يعني: الضيف.

يحيى: عن عثمان، عن سعيد المَقْبُرِي، عن أبي شريح الخزاعي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر، فليكرم ضيفه؛ جائزته يومٌ وليلة، والضيافة: ثلاثة أيام، وما سوى ذلك، فهو صدقة»(١).

قوله: ﴿وما ملكت أيمانكم﴾.

(ل٦٥) يحيى: عن عثمان، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن سفينة مولى أم سلمة، عن أم سلمة: «أن رسول اللَّه ﷺ كان آخر قوله عند موته: الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل [يلجلجها](٢) في صدره، وما يفيص(٣) به لسانه»(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٦٠ رقم ٦٠١٩) ومسلم (٣/ ١٣٥٢-١٣٥٣ رقم ٤٨) من طريق سعيد المقبري به.
ورويا من طريق نافع بن جبير، عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

(٢) في الأصل و«ر»: «يجلجلها» بتقديم الجيم، والصواب «يلجلجها» بتقديم اللام، أراد: يحركها ويرددها، انظر النهاية (٤/ ٢٣٤).

(٣) كذا في الأصل و«ر»: يفيض. بالضاد المعجمة، وقد ذكرها ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٨٤) بالصاد المهملة، وقال: فيه: «كان يقول عليه السلام في مرضه: الصلاة وما ملكت أيمانكم، فجعل يتكلم وما يفيص بها لسانه» أي: ما يقدر على الإفصاح بها، وفلان ذو إفاصة إذا تكلم أي ذو بيان. اهـ. وكذا قيدها بالصاد المهملة البغوي في شرح السنة (٩/ ٣٥٠).

(٤) اختلف على قتادة في إسناد هذا الحديث:
فرواه همام، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن سفينة، عن أم سلمة.
خرجه الإمام أحمد (٦/ ٣١١، ٣٢١)، وعبد بن حميد (٤٤٥ رقم١٥٤٢) وابن سعد (٢/ ٢٥٣-٢٥٤) والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٥٩ رقم ٧١٠٠) وابن ماجه (١/ ١٥٩ رقم ١٦٢٥) وأبو يعلى (١٢/ ٤١٤ رقم ٦٩٧٩) والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٠٥) والبغوي في شرح السنة (٩/ ٣٤٩-٣٥٠ رقم ٢٤١٥) وفي تفسيره (٢/ ٢١٢). =

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «المملوك أخوك، فإن عجز فجد معه، من رضي مملوكه فليمسكه، ومن كرهه فليَبِعْه،

= ورواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سفينة، عن أم سلمة، فلم يذكر أبا الخليل في إسناده.
خرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٨٩-٢٩٠) والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٥٨ رقم ٧٠٩٨).
ورواه أبو عوانة عن قتادة، واختلف عليه فيه، فرواه جماعة عنه عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة.
خرجه أبو يعلى (١٢/ ٣٦٥-٣٦٦ رقم ٦٩٣٦) والطحاوي في المشكل (٨/ ٢٢٦-٢٢٧ رقم ٣٢٠٣) والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٠٥) وقال النسائي: قتادة لم يسمعه من سفينة.
ورواه قتيبة بن سعيد، عن أبي عوانة، عن قتادة، عن سفينة مرفوعًا، لم يذكر أم سلمة في إسناده، خرجه النسائي (٤/ ٢٥٨ رقم ٧٠٩٧).
وكذلك رواه شيبان، عن قتادة، قال: حُدِّثنا عن سفينة مرفوعًا. خرجه النسائي (٤/ ٢٥٨ رقم ٧٠٩٩).
ورواه سليمان التيمي، عن قتادة، عن أنس. جعله من مسند أنس بن مالك. خرجه الإمام أحمد (٣/ ١١٧) وابن سعد (٢/ ٢٥٢) والنسائي (٤/ ٢٥٨ رقم ٧٠٩٥) وابن حبان (١٤/ ٥٧٠ - ٥٧١ رقم ٦٦٠٥) والطحاوي في المشكل (٨/ ٢٢٦ رقم ٣٢٠٢) والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٠٥) والخطيب (٤/ ٢٤٠).
وروي عن سليمان التيمي، عن رجل، عن أنس، خرجه النسائي (٤/ ٢٥٨ رقم ٧٠٩٦) وابن سعد (٢/ ٢٥٣) والطحاوي (٨/ ٢٢٥-٢٢٦ رقم ٣٢٠١).
وروي عن سليمان التيمي، عن أنس بن مالك، خرجه عبد بن حميد (٣٦٥ رقم ١٢١٤) والنسائي (٤/ ٢٥٨ رقم ٧٠٩٤) وابن ماجة (٢/ ٩٠٠- ٩٠١ رقم ٢٦٩٧) والطحاوي (٨/ ٢٢٤-٢٢٥ رقم ٣١٩٩، ٣٢٠٠) والحاكم (٣/ ٥٧) والضياء في المختارة (٦/ ١٥٧ - ١٥٨ رقم ٢١٥٥-٢١٥٧) وقال النسائي: سليمان التيمي لم يسمع هذا الحديث من أنس.
قال ابن أبي حاتم في العلل (١/ ١١٠-١١١ رقم ٣٠٠): سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه المعتمر بن سليمان عن أبيه، عن قتادة عن أنس قال: «كانت عامة وصية رسول اللَّه ﷺ حين حضره الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال أبي: نرى أن هذا خطأ، والصحيح حديث همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة عن النبي ﷺ.
وقال أبو زرعة: رواه سعيد بن أبي عروبة فقال: عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة عن النبي ﷺ. وقال: وابن أبي عروبة أحفظ، وحديث همام أشبه، زاد همام رجلا.

ولا تعذبوا خلق الله»[١].

قال محمد: قوله في أول الآية: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا﴾ المعنى: أوصاكم الله بعبادته، وأوصاكم بالوالدين إحسانًا، وكذلك جميع ما ذكر الله في هذه الآية، المعنى: أحسنوا إلى هؤلاء كلهم.

قوله: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالًا فخورًا﴾ .

قال محمد: المختال: يعني: التَّيَّاه الجهول[٢].

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ قال الحسن: هم اليهود؛ منعوا حقوق الله في أموالهم، وكتموا محمدًا؛ وهم يعلمون أنه رسول الله.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾.

قال بعضهم: هم المنافقون.

---

(١) لم أقف عليه من هذا الطريق، والله أعلم.

(٢) ينظر لسان العرب ، القاموس المحيط (خيل).

والتياه معناه: المتكبر المعجب بنفسه. اللسان (تيه).

﴿ومن يكن الشيطان له قرينًا﴾ [صاحبًا][1] ﴿فساء قرينًا﴾ فبئس القرين.

قال محمد: ﴿ساء قرينًا﴾ منصوب على التفسير[2].

﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ يعني: الزكاة الواجبة ﴿وكان الله بهم عليمًا﴾ أي: عليمًا بأنهم مشركون.

قال محمد: قوله ﴿وماذا عليهم﴾ المعنى: أي شيءٍ عليهم؟[3].

﴿إن الله لا يظلم﴾ لا ينقص ﴿مثقال ذرة﴾ أي: وزن ذرة.

قال محمد: يقال: هذا على مثقال هذا؛ أي: على وزنه[4].

﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتِ من لدنه﴾ ويعط من عنده.

قال محمد: من قرأ ﴿حسنةٌ﴾ بالرفع، فالمعنى: وإن تَحْدُث حسنة[5].

﴿فكيف إذا جئنا من كل أمَّةٍ بشهيد﴾ يعني: يوم القيامة يشهد على قومه؛ أنه قد بلغهم.

قال محمد: المعنى: فكيف تكون حالهم؟! وهذا من الاختصار[6].

﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا يومئذٍ يود الذين كفروا وعصوا الرسول﴾ أي: جحدوه ﴿لو تسوَّى بهم الأرض﴾ قال قتادة: يعني: لو ساخوا[7] فيها.

---

(١) لحق لم يظهر بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر المحيط (٣/ ٢٤٨)، الدر المصون (٢/ ٣٦٣).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٣/ ٢٤٩)، الدر المصون (٢/ ٣٦٣).

(٤) ينظر : اللسان، القاموس (ثقل).

(٥) قراءة الرفع هي قراءة ابن كثير ونافع، وقرأ الباقون بالنصب.
ينظر: السبعة (٢٣٣)، التيسير (٩٦)، النشر (٢/ ٢٤٩).

(٦) ينظر: الدر المصون (٢/ ٣٦٥)، البحر (٣/ ٢٤٩-٢٥٠).

(٧) أي: غاصوا في الأرض وانخسفت بهم. اللسان، القاموس (سوخ).

﴿ولا يكتمون الله حديثًا﴾ تفسير ابن عباس: يعني بهذا: جوارحهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة في تفسير: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾(١).

قوله: ﴿ولا جنبًا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾ تفسير ابن عباس: هو المسافر إن لم يجد الماء تيمَّمَ وصلَّى ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ قال محمد: الغائط: الحَدَثُ، وأصل الغائط: المكان المطمئنُّ من الأرض(٢)؛ فكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة، أتوا غائطًا من الأرض، ففعلوا ذلك فيه، فكنَّى عن الحدث بالغائط(٣).

وقوله: ﴿وإن كنتم مرضى﴾ فيه إضمار: لا تستطيعون [قرب](٤) الماء من العلّة؛ ذكره إسماعيل بن إسحاق(٥).

---

(١) البقرة: ٢١٩.وفي الأصل: (ويسئلونك) بإثبات الواو.
(٢) اللسان، القاموس (غوط).
(٣) وهذه الكناية للاستحياء من ذكره. الدر المصون (٢/ ٣٧٠).
(٤) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».
(٥) إسماعيل بن إسحاق، من أئمة الفقه على مذهب مالك، ومن مشيخة الحديث، وأعلام القضاة ببغداد. توفي سنة ٣٨٣هـ.ينظر المرقبة العليا (٣٢) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٩).

﴿أو لامستم النساء﴾ الملامسة في قول علي وابن عباس والحسن: الجماع، وكان ابن مسعود يقول: هو المسّ باليد، ويرى منه الوضوء.

﴿فتيمَّموا صعيدًا طيبًا﴾ أي: تعمدوا ترابًا نظيفًا.

﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾.

يحيى: عن المعلَّى، عن أبي إسحاق الهمدآني، عن ناجية بن كعب، عن عمار بن ياسر قال: «أجنبتُ وأنا في الإبل فتمعَّكت[1] في الرمل؛ كما تتمعَّك الدابة، ثم أتيت النبي عليه السلام وقد دخل الرمل في رأسي ولحيتي فأخبرته. فقال: إنما كان يكفيك التيمُّم. ثم ضرب النبي عليه السلام بكفيه (ل٦٦) جميعًا التراب، ثم نفضهما، ثم مسح بوجهه وكفيه مرةً واحدة. ثم قال: كان يكفيك أن تصنع هكذا»[2] وبه يأخذ يحيى.

---

(١) أي: تقلَّب في التراب، وتمرَّغ فيه. ينظر: اللسان، القاموس (معك).

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٦٣) والطيالسي (٨٩ رقم٦٤٠) والحميدي (٧٩ رقم ١٤٤) وعبدالرزاق(١/ ٢٣٨ رقم ٩١٤)، والنسائي في الكبرى (١/ ١٣٦ رقم ٣٠٩) وأبو يعلى (٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦ رقم ١٦٤٠) وابن المنذر في الأوسط (٢/ ١٣ رقم ٥٠٨) والبيهقي في السنن (١/ ٢١٦) والمزي في التهذيب (٢٩/ ٢٥٨) من طرق عن أبي إسحاق به.

وقد اختلف في تسمية ناجية، فجاء في بعض الروايات مهملا غير مقيد، وفي بعضها ناجية ابن كعب وفي بعضها ناجية بن خفاف قال المزي في التهذيب (٢٩/ ٢٥٥-٢٥٦): وقال يعقوب بن شيبة السدوسي في حديث ناجية عن عمار في التيمم: حديث كوفي رواه أبو إسحاق عن ناجية عن عمار عن النبي ﷺ وهو حديث صالح الإسناد، ولا أحسبه متصلا لأن بعضهم ذكر أن ناجية ليس بالقديم، رواه جماعة عن أبي إسحاق ثقات منهم: زائدة بن قدامة، وأبو الأحوص سلام بن سليم، وأبوبكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، وإسرائيل بن يونس، فقال زائدة: ناجية لم ينسبه. وقال أبو الأحوص: عن ناجيه أبي خفاف، وقال أبو بكر ابن عياش: ناجية العنزي. وقال ابن عيينة وإسرائيل : ناجية بن كعب.

ذكر علي بن المديني هذا الحديث عن ابن عيينة فقال: هذا الحديث غلط في قول سفيان: ناجية بن كعب. إنما هو ناجية بن خفاف العنزي. قال علي: وناجية بن كعب أسدي، قال =

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الجريح والمجدور[١] والمقروحُ[٢]؛ إذا خشي على نفسه، تيمَّم[٣].

= علي: وقد روى غير سفيان من حديث أبي إسحاق عن ناجية بن خفاف أبي خفاف، ورواه يونس بن أبي إسحاق عن ناجية بن خفاف عن عمار.
قال علي: وناجية بن خفاف أبو خفاف العنزي لم يسمعه عندي من عمار؛ لأن ناجية هذا لقيه يونس بن أبي إسحاق، وليس هذا بالقديم.
وقال الحافظ أبوبكر الخطيب في هذا الحديث: وقال إسرائيل بن يونس وسفيان بن عيينة والمعلى بن هلال: عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب . وهو وهم ، قال: وأحسب أبا إسحاق رواه لهم عن ناجية غير منسوب فظنوه ناجية بن كعب. اهـ.
قلت: وحديث عمار في التيمم ثابت في الصحيحين البخاري (١/ ٥٢٨ رقم٣٣٨) ومسلم (١/ ٢٨٠-٢٨١ رقم ٣٦٨) من طريق آخر بنحوه.

(١) هو المصاب بمرض الجدري. وهو مرض فيروسي مُعْدٍ يتميز بطفح جلدي حُلَيْمي يتقيح ويعقبه قِشْر ويُخلف ندوبًا. المعجم الوسيط (جدر).

(٢) أي: المجروح، أو الذي في جلده بثور قد دبَّ فيها الفساد.
ينظر : اللسان ، القاموس (قرح).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١/ ١٢٤ رقم١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٦٠ رقم ٥٣٦٢) والدارقطني في سننه (١/ ١٧٨ رقم ١٠ ، ١١) -مختصرًا- والبيهقي (١/ ٢٢٤) من طرق عن عطاء بن السائب.
ورواه ابن المنذر في الأوسط (٢/ ١٩ رقم ٥٢٢) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٣٨ رقم ٢٧٢) وابن الجارود في المنتقى (١٢٩) والحاكم (١/ ١٦٥) والبيهقي في سننه (١/ ٢٢٤) وفي المعرفة (١/ ٣٠٠ رقم ٣٤٢) من طريق جرير عن عطاء بن السائب مرفوعًا.
ورواه الدارقطني في سننه (١/ ١٧٧ رقم٩) من طريق جرير عن عطاء موقوفًا.
وقال الدارقطني: رواه علي بن عاصم عن عطاء ورفعه إلى النبي ﷺ، ووقفه ورقاء وأبو عوانة وغيرهما، وهو الصواب. اهـ.
قلت: رواية علي بن عاصم عند البيهقي (١/ ٢٢٤) لكنها موقوفة، والله أعلم.
وقال ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٢٥-٢٦ رقم٤٠): سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه علي بن عاصم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ في المجدور والمريض إذا خاف على نفسه تيمم. قال أبوزرعة: ورواه جرير أيضًا فقال عن =

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب﴾ يعني: اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾ أي: يختارون ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ يعني: طريق الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ قال الحسن: حرفوا كلام اللَّه؛ وهو الذي وضعوا من قِبَلِ أنفسهم من الكتاب، ثم ادَّعَوْا أنه من كتاب اللَّه ﴿ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع﴾ تفسير الحسن: غير مسمع منا ما تحبُّ.

قال محمد: قيل في قوله: ﴿غير مسمع﴾: كانوا يقولونه سرًّا في أنفسهم.

﴿وراعنا ليًّا بألسنتهم﴾ قد مضى تفسير ﴿راعنا﴾ في سورة البقرة(١).

قال محمدٌ: ﴿ليًّا﴾ أصله: لَوْيًا؛ ولكن الواو أُدْغِمَتْ في الياء(٢)؛ ومعناه: التحريف(٣)؛ أي: يحرفون [راعنا إلى ما](٤) في قلوبهم من السَّبِّ والطعن

= عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس رفعه في المجدور. قال أبي: هذا خطأ، أخطأ فيه علي بن عاصم، ورواه أبو عوانة وورقاء وغيرهما عن عطاء بن السائب، عن سعيد، عن ابن عباس، موقوف، وهو الصحيح.

(١) أي: في قوله عز وجل: ﴿لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾ البقرة: ١٠٤.

(٢) أي: أدغمت الواو في الياء، بعد قلب الواو ياءً.

(٣) ومنه: يلوون أعناق الكلام أي: يحرفونه على غير حقيقته وصوابه.
ينظر: اللسان، المختار، المعجم الوسيط (لوى).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

على النبي ﷺ ﴿وطعنًا في الدين﴾ في الإسلام.

﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسْمَعْ وانظرنا﴾ حتى نتفهَّم.

﴿لكان خيرًا لهم وأقوم﴾ لأمرهم ﴿ولكن لعنهم اللَّه بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا﴾ قال قتادة: قَلَّ من آمن من اليهود.

﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزَّلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردَّها على أدبارها﴾ قال قتادة: يعني: من قِبَلِ أقفائها[١] ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السَّبت﴾ مُسِخَ أصحاب السبت قِردةً ﴿وكان أمر اللَّه مفعولًا﴾ أي: إذا أراد اللَّه أمرًا فإنما يقول له: كن فيكون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به﴾ أي: يُعْدَل به غيره ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

يحيى: عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبداللَّه قال: «سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ عن الموجِبَتيْنِ؛ فقال: من مات (لا)[٢] يشرك باللَّه شيئًا

(١) واحدها (قفا)، ويجمع أيضًا على: قُفِيّ. ينظر اللسان، القاموس (قفو).

(٢) في «ر»: ولم.

دخل الجنَّة، ومن مات يشرك باللَّه شيئًا دخل النار»[١].

﴿ألم تر إلى الذين يزكُّون أنفسهم﴾ تفسير قتادة: هم اليهود زكَّوْا أنفسهم بأَمْرٍ لم يبلغوه؛ قالوا: نحن أبناء اللَّه وأحباؤه ﴿بل اللَّه يزكي من يشاء ولا يظلمون﴾ ينقصون ﴿فتيلًا﴾ الفتيل: ما كان في بطن النواة من لحائها[٢].

﴿انظر كيف يفترون على اللَّه الكذب﴾ أي: يختلقونه ﴿وكفى به إثمًا مبينًا﴾ بيِّنًا.

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ قال مجاهد[٣]: الجِبْتُ: الكاهن، والطاغوت: الشيطان.

﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا﴾ قال الكلبي: هم قومٌ من اليهود أتَوْا مكة فسألَتْهم قريشٌ وأناس من غطفانَ؛ فقالت قريش: نحن نعْمر هذا المسجد، ونحجُب هذ البيت، ونسقي الحاج؛ أفنحن أَمْثَلُ أم محمدٌ وأصحابه؟ فقالت اليهود: بل أنتم أمثل. فقال عيينة بن حصن وأصحابه الذين معه: أما قريش فقد عَدُّوا ما فيهم فَفُضِّلوا على محمد وأصحابه. فناشدوهم أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فقالوا: لا واللَّه، بل أنتم أهدى؛ فقال اللَّه: ﴿أولئك الذين لعنهم اللَّه...﴾ الآية.

قال محمد: يقول: أولئك الذين باعدهم اللَّه من رحمته، واللعنة أصلها:

---

(١) رواه أبو عوانة في صحيحه (١/ ٢٧-٢٨ رقم ٣٢) من طريق سفيان به.
ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ٩٣) من طريق قرة بن خالد وهشام الدستوائي عن أبي الزبير به.

(٢) ينظر: اللسان، المختار، القاموس (فتل).
واللِّحَاء: هو ما كسا النواة. والجمع: أَلْحِيَة، ولُحِيّ. ينظر: اللسان، القاموس (لحو).

(٣) في «ر»: محمد.

المباعدة[١].

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا﴾ النقير: النقرة تكون في ظهر النواة[٢].

قال محمدٌ[٣]: المعنى: أنهم لو أعطوا الملك، ما أعطوا الناس منه النقير؛ والنقير ها هنا تمثيل.

﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللَّه من فضله﴾ قال الكلبي: الناس في هذه الآية: النبي ﷺ؛ قالت اليهود: (ل٦٧) انظروا إلى هذا الذي [لا يشبع][٤] من الطعام، [ولا][٤] واللَّه ما له همٌّ إلا النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك؛ فقالوا: لو كان نبيًا ما رغب في كثرة النساء؛ فأكذبهم[٥] اللَّه، فقال: ﴿فقد آتينا آل

(١) والطرد: ينظر اللسان، القاموس (لعن).
(٢) ينظر: اللسان، القاموس (نقر). وجمع النقير: أَنْقِرة. وفي «ر»: النقير والنقيرة التي تكون في ظهر النواة.
(٣) زاد في الأصل: بل.
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٥) في «ر»: فكذَّبهم.

إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ يعني: النبوة ﴿وآتيناهم مُلْكًا عظيمًا﴾ فسليمان بن داود من آل إبراهيم، وقد كان عند سليمان ألفُ امرأة، وعند داود مائة امرأة، فكيف يحسدونك يا محمد على تسع نسوة؟!

﴿فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه﴾ قال مجاهد: يعني: اليهود منهم من آمن بما أنزل على محمد، ومنهم من صدَّ عنه؛ يعني: جحد به ﴿وكفى بجهنم سعيرًا﴾ لمن صدَّ عنه.

﴿كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرها﴾.

قال يحيى: بلغنا أنها تأكل كل شيء حتى تنتهي إلى الفؤاد؛ فيصيح الفؤاد فلا يريد اللَّه أن تأكل أفئدتهم؛ فإذا لم تجد شيئًا تتعلق به منهم، خبت -أي: سكنت- ثم يُعَادون خلقًا جديدًا؛ فتأكلهم كلما أعيد خَلْقهم.

وقوله: ﴿وندخلهم ظلًّا ظليلًا﴾ قال الحسن: يعني: دائمًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا (٥٨) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾

﴿إنَّ اللَّه يأمركم أن تؤدوا الأمَاناتِ إلى أهلها...﴾ الآية.

«لما فتح رسول اللَّه ﷺ مكة، دعا عثمان بن طلحة، فقال: أرنا المفتاح، فلما أتاه به قال عباسٌ(١): يا رسول اللَّه اجمعه لي مع السقاية. فكفَّ عثمان يده؛ مخافة أن يدفعه إلى العباس؛ فقال رسول اللَّه: يا عثمان، إن كنت تؤمن

(١) في «ر»: ابن عباس. وهو خطأ، واللَّه أعلم.

بالله واليوم الآخر فأرنا المفتاح، فقال: هاك في أمانة الله؛ فأخذه رسولُ الله، ففتح باب الكعبة، ثم دخل فأفسد ما كان في البيت من التماثيل، وأخرج مقام إبراهيم فوضعه، حيث وضعه، ثم طاف بالكعبة مرةً أو مرتين، ونزل عليه جبريل يأمره بردِّ المفتاح إلى أهله، فدعا عثمان، فقال: هاك المفتاح؛ إن الله يقول: وأدوا الأمانات إلى أهلها. وقرأ الآية كلها»[1].

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال الكلبي: هم أمراء السَّرَايا ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ قال قتادة: يعني: إلى كتاب الله وسُنَّةِ رسوله ﴿ذلك خيرٌ وأحسن تأويلًا﴾ يعني: عاقبةً في الآخرة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت...﴾ إلى قوله: ﴿يصدون عنك صدودًا﴾ قال الكلبي: إن رجلًا من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود خُصومةٌ؛

---

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١٦) والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٩٣) إلى ابن مردويه في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد نختصم إليه. وقال المنافق: بل إلى كعب ابن الأشْرف؛ وهو الطاغوت ها هنا.

قال الكلبي: فأبى المنافق أن يخاصمه إلى النبي، وأَبَىٰ اليهودي إلا أن يخاصمه إلى النبي؛ فاختصما إلى النبي، فقضى لليهوديِّ، فلما خرجا من عنده، قال المنافق: انطلق بنا إلى عمر بن الخطَّاب أخاصمك إليه، فأقبل معه اليهودي؛ فدخلا على عمر، فقال له اليهودي: يا عمر إني اختصمت أنا وهذا الرجل إلى محمد؛ فقضى لي عليه، فلم يرض هذا بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال: رويدكما؛ حتى أخرج إليكما؛ فدخل البيت فاشتمل[1] على السيف، ثم خرج إلى المنافق فضربه حتى بَرَد[2].

﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ﴾ قال الحسن: وهذا كلام منقطع عما قبله وعما بعده؛ يقول: إذا أصابتهم؛ يعني: أن يظهروا ما في قلوبهم؛ فيقتلهم رسول اللَّه.

وفيه إضمار، والإضمار الذي فيه يقول: إذا أصابتهم مصيبةٌ، لم ينجهم منها ولم يُغِثْهم، ثم رجع إلى الكلام الأول. إلى قوله: ﴿يصدون عنك صدودًا﴾.

﴿ثم جاءوك يحلفون باللَّه إن أردنا إلا إحْسَانًا وتوفيقًا﴾ أي: إن أردنا إلا الخير.

قال اللَّه: ﴿أولئك الذين يعلم اللَّه ما في قلوبهم﴾ من الشرك والنفاق

(١) اشتمل على السيف، واشتمل به؛ أي: تقلَّده . ينظر لسان العرب (شمل).
(٢) بَرَدَ يَبْرُد بَرْدًا وبُرودًا؛ أي: مات. لسان العرب (برد).

﴿فأعرض عنهم﴾ فلا تقتلهم (ل٦٨) ما جعلوا يظهرون الإيمان ﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولًا بليغًا﴾ يقول لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتُكم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللَّه﴾ قال مجاهد: واجب للرسل أن يطاعوا، ولا يطيعهم أحدٌ إلا بإذن اللَّه.

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم﴾ أي: اختلفوا فيه ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجًا مما قضيت﴾ قال مجاهد: يعني: شكًّا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ قال الكلبي: كان رجال من المؤمنين ورجال من اليهود [جلوسًا][1] فقالت اليهود: لقد استتابنا اللَّه من أمر فتبنا إليه منه، وما كان ليفعله أحدٌ غيرنا [قتلنا][1] أنفسنا في طاعة اللَّه حتى رضي عنا، فقال ثابت بن

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قيس بن شمّاس: إن اللَّه يعلم لو أمرنا محمدٌ أن نقتل أنفسنا لقتلت نفسي، فأنزل اللَّه: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾.

قال محمد: من قرأ ﴿إلا قليلٌ﴾[1] فالمعنى: ما فعله إلا قليل[2].

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم﴾ في العاقبة.

﴿وأشدّ تثبيتًا﴾ في العصمة والمنعة من الشيطان.

﴿وإذًا لآتيناهم من لدنًا﴾ من عندنا ﴿أجرًا عظيمًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ومن يطع اللَّه والرسول...﴾ الآية.

تفسير قتادة: ذُكر لنا أن رجالًا قالوا: هذا نبي اللَّه نراه في الدنيا، فأما في الآخرة فيرفع بفضله فلا نَراه؛ فأنزل اللَّه هذه الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿فانفروا ثبات أو انفروا جميعًا﴾ الثبات: السرايا، والجميع: الزحف.

---

(١) قرئ بالرفع وبالنصب، فالنصب قراءة ابن عامر، والرفع قراءة الباقين. ينظر السبعة (٢٣٥)، التيسير (٩٦)، النشر (٢/ ٢٥٠).

(٢) وفي قراءة الرفع تفصيل نحوي آخر. ينظر من إعراب القرآن (١/ ٤٣١) مجمع البيان (٢/ ٧٠)، البحر (٣/ ٢٨٥)، الدر المصون (٢/ ٣٨٦).

قال محمد: الثُّبَاتُ: الجماعات المفترقة، واحدها: ثُبَةٌ[(١)].

﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ عن الغزو والجهاد، في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: ﴿ليبطئن﴾ معناه: يتأخر؛ يقال: أبطأ الرجل؛ إذا تأخر[(٢)]، وبطُؤَ إذا ثقل[(٣)].

﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ أي: نكبة ﴿قال قد أنعم اللَّه علي إذ لم أكن معهم شهيدًا﴾ حاضرًا ﴿ولئن أصابكم فضل من اللَّه﴾ يعني: الغنيمة ﴿ليقولنَّ كأن لم يكن بينكم وبينه مودَّة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا﴾ أي: أصبت من الغنيمة؛ وهؤلاء المنافقون.

وقوله: ﴿كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾ فيما يظهر.

قال محمد: ﴿فأفوز﴾ منصوبٌ؛ على جواب التمني بالفاء[(٤)].

﴿فليقاتل في سبيل اللَّه الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أي: يبيعون.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ

---

(١) وجمع (ثبة) أيضًا (ثُبون) ينظر لسان العرب (ثبى).

(٢) يفهم من ذلك أن المصنف قرأ ﴿لَيُبْطِئَنَّ﴾، بتخفيف الطاء وهي من الفعل الرباعي (أبطأ)، وهي قراءة مجاهد. وقرأ الجمهور ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أي بتشديد الطاء من الفعل الرباعي بطَّأ.ينظر: الإعراب للنحاس (١/ ٤٣٣)، البحر (٣/ ٢٩١).

(٣) ويقال: أبطأ وبطَّأ وبطؤ؛ أي: تكاسل وتثبط وثقل.
ينظر الدر المصون (٢/ ٣٩٠)، لسان العرب (بطؤ).

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/ ٢٩٤)، الدر المصون (٢/ ٣٩٣).

فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل اللّه والمستضعفين﴾ قال الحسن: يعني: وعن المستضعفين من أهل مكة من المسلمين.

﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ وهم مشركو أهل مكة[1].

قال محمد: ﴿الظالم أهلها﴾ نعت للقرية[2].

﴿واجعل لنا من لدنك﴾ من عندك ﴿وليًّا﴾.

﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل اللّه﴾ أي: في طاعة اللّه ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ وهم المشركون ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾ أخبرهم أنهم يظهرون عليهم؛ في تفسير الحسن.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةًۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن

---

(١) في «ر»: هم من أهل مكة.

(٢) وفيه تفصيل نحوي ينظر من الدر المصون (٢/ ٣٩٥).

نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم...﴾ الآية. قال الكلبي: كانوا مع النبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة، وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيرًا؛ فقالوا: يا نبي الله ألا تأذن لنا في قتال (هؤلاء القوم)[1]؛ فإنهم قد آذونا؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «كفوا أيديكم عنهم؛ فإني لم أؤمر بقتالهم» فلما هاجر رسول الله ﵇ و[سار][2] إلى بدر عرفوا أنه القتال كرهوا، أو بعضهم.

(ل٦٩) قال الله: ﴿فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا﴾ هلَّا ﴿أخرتنا إلى أجلٍ قريب﴾ إلى الموت.

قال الله للنبي: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ أي: إنكم على كل حال ميتون، والقتل خيرٌ لكم. ثم أخبرهم -ليعزيهم ويصبرهم- فقال: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيَّدة﴾ قال قتادة: يعني: في قصور محصنة.

قال الحسن: ثم ذكر المنافقين خاصة فقال: ﴿وإن تصبهم حسنةٌ﴾ النصر والغنيمة ﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾ نَكْبة من العدو ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ أي: إنما أصابنا هذا عقوبة مذ خرجت فينا؛ يتشاءمون به.

﴿قل كلٌّ من عند الله﴾ النصر على الأعداء والنكبة.

﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا ما أصابك من حسنةٍ﴾

---

(١) في «ر»: هذه القرية.

(٢) لحق لم يظهر بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

[فظهرت بها على المشركين][1] ﴿فمن الله وما أصابك من سيئة﴾ من نكبة نُكِبُوا بها يوم أُحُدٍ ﴿فمن نفسك﴾ أي: بذنوبهم، وكانت عقوبة من الله؛ بمعصيتهم رسول الله؛ حيث اتبعوا المُدْبرين.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولَّى﴾ كفر ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالَهم؛ حتى تجزيهم بها.

﴿ويقولون طاعة﴾ يعني به: المنافقين؛ يقولون ذلك لرسول الله عليه السلام.

قال محمدٌ: وارتفعت ﴿طاعةٌ﴾ بمعنى: أَمْرُنا طاعَة[2].

﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيَّت طائفةٌ منهم﴾ قال قتادة: يعني غيَّرت طائفة منهم ﴿غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: يغيرون.

قال محمد: قيل: المعنى: قالوا وقدَّروا ليلًا غير [ما أتوك][3] نهارًا، والعرب تقول لكل ما فُكِّر فيه، أو خِيضَ بليلٍ: قد بيِّت[4]، ومن هذا قول الشاعر:

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وكَانُوا أَتَوْنِي لِأَمْرٍ نُكُرْ[5]

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/ ٣٠٢)، الدر المصون (٢/ ٤٠١).
(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (بيت).
(٥) البيت من المتقارب، وهو للأسود بن يعفر، ويروى:

=

قوله: ﴿فأعرض عنهم﴾ لا تقتلهم، ولا تحكم عليهم أحكام المشركين؛ ما كانوا إذا لقوك أعطوك الطاعة، ولم يظهروا الشرك.

﴿وتوكّل على اللَّه﴾ فإنه سيكفيكهم ﴿وكفى باللَّه وكيلًا﴾ لمن توكَّل عليه.

﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يقول: لو تدبروه، لم ينافقوا ولآمنوا. ﴿ولو كان﴾ هذا القرآن ﴿من عند غير اللَّه لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ تفسير قتادة: قول اللَّه لا يختلف هو حقٌّ ليس فيه باطل، وإن قول الناس يختلف.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾

قال قتادة: إذا جاءهم أمر من الأمن -أي: من أن إخوانهم آمنون ظاهرون- أو الخوف -يعني: القتل والهزيمة- أذاعوا به؛ أي: أفشوه.

﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾ أولي العلم منهم.

﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ الذين يفحصون عنه، ويهمهم ذلك، يقول: إذا كانوا أعلم بموضع الشكر في النصر والأمن، وأعلم بالمكيدة في الحرب.

= أتوني فلم أرض ما بيتوا   وكانوا أتوني بشيء نكُرُه

ينظر اللسان (نكر)، تاج العروس (نكر)

ونسب في الحيوان (للجاحظ) لعبيد بن همام بلفظ:

أتوني ولم أرض ما بيتوا   وقد طرقوني بأمر نكر

ينظر الحيوان (٤/ ٣٧٦).

﴿ولولا فضلُ اللَّه عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا﴾ فضل اللَّه الإسلام، ورحمته القرآن.

قال يحيى: قوله: ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا﴾ فيه تقديم وتأخير؛ يقول: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلًا ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان [إلا قليلًا](١).

قال محمدٌ: قيل: إن هذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين، وضعفة من المسلمين؛ كانوا إذا أعلم النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم، أو إذا تجمع قومٌ يُخَافُ من جمع مثلهم- أذاع ذلك المنافقون؛ ليحذر من يحبون أن يحذر من الكفار، وليقوى قلب من يحبون أن يقوى قلبه، وكان ضعفة المسلمين يشيعون ذلك معهم من غير علم منهم بالضرر في ذلك؛ فقال اللَّه: ﴿ولو ردوه إلى الرسول. . .﴾ الآية.

﴿فقاتل في سبيل اللَّه لا تكلف إلا نفسك وحرض﴾ (ل٧٠) أي: أخبرهم بحسن ثواب اللَّه في الآخرة للشهداء .

﴿عسى اللَّه أن يكف بأس الذين كفروا﴾ وعسى من اللَّه واجبة ﴿واللَّه أشد بأسًا﴾ عذابًا ﴿وأشد تنكيلًا﴾ عقوبة.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ أي: حظٌّ ﴿ومن يشفع

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾ أي: إثم.

قال الحسن: (والشفاعة الحسنة ما يجوز)[١] في الدين أن يشفع فيه، (والشفاعة السيئة ما يحرم في الدين أن يشفع فيه)[٢].

﴿وكان اللَّه على كل شيءٍ مقيتًا﴾ أي: مقتدرًا؛ في تفسير الكلبي.

قال محمد: وأنشد بعضهم:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتَا[٣]

قوله: ﴿وإذا حييتم بتحيَّة فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ التحية: السلام، ومعنى: ﴿أحسن منها﴾ إذا قال الرجل: السلام عليكم، رد عليه: السلام عليكم ورحمة اللَّه، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة اللَّه رد عليه: السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

ومعنى: ﴿أو ردوها﴾ أي: رُدوا[٤] عليه مثل ما يسلم؛ وهذا إذا سلَّمَ عليك المسلم.

﴿إن اللَّه كان على كل شيء حسيبًا﴾ قال محمد[٥]: يعني: محاسبًا؛ في قول بعضهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ

---

(١) في «ر»: والشفاعة ما يحبون.

(٢) سقط من «ر».

(٣) البيت من الوافر، وهو للزبير بن عبد المطلب، أو لأبي قيس بن رفاعة. ويروى:
وذي ضغن كففت الودَّ عنه ... وكنت على إساءته مقيتا
ينظر: البحر (٣/ ٣٠٣)، الدر المصون (٢/ ٤٠٥)، إصلاح المنطق (٢٧٦) اللسان (قوت)

(٤) في الأصل: رد.

(٥) في «ر»: قال مجاهد.

حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿اللَّه لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ لا شك فيه ﴿ومن أصدق من اللَّه حديثًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه.

﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ قال محمد: ﴿فئتين﴾ نصب على الحال[1] المعنى: أي شيء لكم في الاختلاف في أمرهم؟

﴿واللَّه أركسهم بما كسبوا﴾ هم قومٌ من المنافقين كانوا بالمدينة؛ فخرجوا منها إلى مكة، ثم خرجوا من مكة إلى اليمامة تجارًا فارتدوا عن الإسلام، وأظهروا ما في قلوبهم من الشرك، فلقيهم المسلمون، فكانوا فيهم (فئتين - أي:)[2] فرقتين- فقال بعضهم: قد حلَّت دماؤهم؛ هم مشركون مرتدون،

---

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر المحيط (٣/ ٣١٠-٣١١)، الدر المصون (٢/ ٤٠٧).

(٢) سقط من «ر».

وقال بعضهم: لم تحل دماؤهم؛ هم قوم عرضت لهم فتنةٌ. فقال اللَّه ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ وليس يعني: أنهم في تلك الحال التي أظهروا فيها الشرك منافقون، ولكنه نسبهم إلى (خُبْثهم)[١] الذي كانوا عليه مما في قلوبهم من النفاق، يقول: قال بعضكم كذا، وقال بعضكم كذا؛ [هلَّا][٢] كنتُم فيهم فئةً [واحدة][٣] ولم تختلفوا في قتلهم؟ ثم قال: ﴿واللَّه أركسهم بما كسبوا﴾ أي: ردهم إلى الشرك بما كان في قلوبهم من الشك[٤] والنفاق.

﴿أتريدون أن تهدوا من أضل اللَّه ومن يضلل اللَّه فلن تجد له سبيلًا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ أي: في الكفر شَرْعًا سواء ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ أي: لا توالوهم[٥].

﴿حتى يهاجروا في سبيل اللَّه﴾ فيرجعوا إلى الدار التي خرجوا منها؛ يعني: المدينة ﴿فإن تولوا﴾ وأبوا الهجرة ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ ثم استثنى قَوْمًا نهى عن قتالهم؛ فقال: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ قال محمد: يعني: إلا من اتَّصل بقوم بينكم وبينهم ميثاقٌ، ومعنى (اتصل): انتسب[٦].

قال يحيى: وهؤلاء بنو مُدْلج كان بينهم وبين قريش عَهْدٌ، وكان بين رسول اللَّه وقريش عهد؛ فحرم اللَّه من بني مدلج ما حرم من قريش؛ وهذا منسوخ

---

(١) في «ر»: أصلهم.
(٢) في الأصل: أَوَلَا . والمثبت من «ر».
(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٤) في «ر» : الشرك.
(٥) في «ر»: لا تتولوهم.
(٦) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (وصل).

نسخته الآية ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[(١)].

﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾ أي: كارهة صدورهم.

﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم...﴾ الآية. قال محمد: وتقرأ (حَصِرةً صدروهم)[(٢)] أي: ضاقت؛ الحصر في اللغة: الضيق[(٣)].

قوله: ﴿فما جعل اللّه لكم عليهم سبيلًا﴾ يعني: حجة؛ وهذا منسوخ أيضًا؛ نسخته آية القتال[(٤)].

﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ تفسير مجاهد: قال [هم][(٥)] أُناسٌ من أهل مكة؛ كانوا يأتون النبي يُسَلِّمون عليه رياءً، ثم يرجعون إلى قريش يرتكسون في الأوثان[(٦)] يبتغون (بركتها، أو يأمنوا)[(٧)] ها هنا وها هنا؛ فأُمروا (ل٧١) بقتالهم؛ إن لم يعتزلوا ويصلحوا.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم

---

(١) (التوبة: ٥)، وينظر الناسخ والمنسوخ (ص٣٨).

(٢) قرأ الجمهور (حصرت) فعلًا ماضيًا، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب (حصرة) ونقلها المهدوي عن عاصم في رواية حفص.
ينظر: إتحاف الفضلاء (١٩٣)، النشر (٢/ ٢٥١) البحر المحيط (٣/ ٣١٧-٣١٨)، الدر المصون (٢/ ٤١١).

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (حصر).

(٤) ينظر الناسخ والمنسوخ (ص ٣٩).

(٥) في الأصل: هذا. والمثبت من «ر».

(٦) أي يرتدون إلى عبادتها. ينظر: لسان العرب (ركس).

(٧) في «ر»: يبتغون بذلك أن يأمنوا.

مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾﴾

﴿وما كان لمؤمن﴾ يعني: لا ينبغي لمؤمن ﴿أن يقتل مؤمنًا إلا خطئًا﴾ أي إلا أن يكون لا يتعمَّد لقتله.

﴿ومن قتل مؤمنًا خطئًا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله﴾ يعني: أهل القتيل ﴿إلا أن يصدقوا﴾ يعني: إلا أن يصدِّق أهل القتيل؛ فيتجاوزوا عن الدية.

﴿فإن كان من قوم عدوٌ لكم وهو مؤمن﴾ قال الحسن: كان الرجل يسلم وقومه حَرْبٌ، فيقتله رجلٌ من المسلمين خطأً- ففيه تحرير رقبة مؤمنة [ولا دية][1] لقومه.

﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلَّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ ما كان من عهد بين المسلمين وبين المشركين، أو أهل الذمَّة؛ فقتل رجلٌ منهم- ففيه الديةُ لأوليائه، وعتق رقبة مؤمنة.

﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبةً من اللَّه﴾ تجاوزًا من اللَّه.

قال محمد: ﴿تَوْبَةً من اللَّه﴾ القراءة بالفتح[2]؛ المعنى: فعل اللَّه ذلك توبةً منه[3].

---

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».
(٢) وهي قراءة الجمهور. البحر (٣/ ٣٢١).
(٣) وفي توجيه القراءة معان نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/ ٣٢٤-٣٢٥) الدر المصون (٢/ ٤١٥).

﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا...﴾ الآية.

قال يحيى: بلغني أن عمر بن الخطاب قال: لما أنزل الله الموجبات التي أوجب عليها النار؛ لمن عمل بها: ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا (أو أشباه)[1] ذلك كنا نبتُّ عليه الشهادة[2] حتى نزلت هذه الآية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فكففنا عن الشهادة.

يحيى: عن عاصم بن حكيم، (عن خالد بن أبي كريمة، عن عبد الله بن ميسور، عن محمد بن الحنفية)[3]، عن علي قال: «لا تنزلوا العارفين المحدثين الجنة ولا النار، حتى يكون الله هو الذي يقضي فيهم يوم القيامة».

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله...﴾ الآية.

تفسير قتادة: هذا في شأن مِرْدَاسٍ رجلٍ من غطفان؛ ذكر لنا أن نبيَّ الله بعث جيشًا عليهم غالبٌ الليثي إلى أهل فَدَك، وفيها ناسٌ من غطفان، وكان مرداس منهم ففر أصحابُه، وقال لهم مرداس: إني مؤمن وإني غير متابعكم؛ فصبَّحته الخيل غدوةً، فلما لقوه سلَّم عليهم، فدعاه أصحاب نبي الله؛

---

(١) في «ر»: أو ما أشبه.

(٢) أي: نقطع له بالنار، انظر تفسير الطبري (٥/ ١٢٥ - ١٢٦) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٠ - ٩٧١) وغيرهما.

(٣) سقط من «ر».

فقتلوه، وأخذوا ما كان معه من متاع؛ فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيَّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَم[1] لست مؤمنًا﴾ لأن تحية المؤمنين السلام؛ بها يتعارفون، ويلقى بعضهم بعضًا.

﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾ يعطيكموها ﴿كذلك كنتم من قبل﴾ أي: ضُلَّالًا ﴿فمنَّ الله عليكم﴾ بالإسلام.

قال محمد: ومن قرأ: ﴿لمن ألقى إليكم السَّلَم﴾ فالمعنى: استسلم لكم[2].

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن البراء بن عازب قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ ولم يذكر الضرر ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾- جاء ابن أم مكتومٍ إلى رسول الله ﷺ؛

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة (السَّلَم) بفتح السين واللام من غير ألف. وقرأ باقي السبعة (السلام) بألف.
وروي عن عاصم ﴿السِّلْم﴾ بكسر السين وسكون اللام ينظر: إتحاف الفضلاء (١٩٣)، البحر (٣/ ٣٢٨)، الدر المصون (٢/ ٤١٦)، التيسير (٩٧).

(٢) ينظر: الدر المصون (٢/ ٤١٦).

فقال: أنا كما ترى وكان أعمى. فقال رسول اللَّه: ادْعوا لي زيدًا وليأت باللوحِ أو الْكَتِفِ[1]، فأنزل اللَّه: ﴿غير أولي الضرر﴾»[2].

قال محمد: القراءةُ ﴿غيرَ﴾ بالفتح[3]؛ على معنى: الاستثناء[4].

﴿فضَّل اللَّه المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلًا وعد اللَّه الحسنى﴾ يعني: الجنة. وهذه نزلت بعدما صار الجهاد تطوُّعًا.

قال: ﴿وفضَّل اللَّه المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا درجات منه ومغفرة ورحمة...﴾ الآية.

قال محمد: ﴿درجات﴾ نصبٌ على البدل، من قوله: ﴿أجرًا عظيمًا﴾[5].

يحيى: (عن عبد الرحمن بن يزيد، عن مكحول)[6] قال: قال رسول اللَّه عليه السلام: «إن في الجنة لمائة درجة، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، أعدَّها اللَّه للمجاهدين في سبيله، ولولا أن أَشُقَّ على أمتي، ولا أجد ما أحملهم عليه، (ل٧٢) ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي، ما قعدت خلاف سرية تغزوا،

---

(١) في «ر»: والكتاب.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥٣ رقم٢٨٣١) ومسلم (٣/ ١٥٠٨ رقم ١٨٩٨) من طريق أبي إسحاق به.

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم. وقرأ الباقون بالرفع، وعزاه أبوحيان إلى الأعمش وأبي حيوة قراءة الجر. ينظر: السبعة (٢٣٧)، التيسير (٩٧)، النشر (٢/ ٢٥١)، البحر (٣/ ٣٣٠-٣٣١).

(٤) وفي توجيه النصب أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/ ٤٤٧) البحر (٣/ ٣٣٠-٣٣١)، الدر المصون (٢/ ٤١٧).

(٥) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/ ٤٤٨)، البحر (٣/ ٣٣٣)، الدر (٢/ ٤١٨).

(٦) في «ر»: عن عبد الرحمن بن مكحول. وهو خطأ، وعبد الرحمن بن يزيد هو أبو عتبة عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الدمشقي، يروي عن مكحول، ترجمته في التهذيب (١٨/ ٥-١٠).

وَلَوَدِدْتُ أني أُقْتَلَ في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم﴾ قالت لهم الملائكة: فيم كنتم؟ ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ يعني: مقهورين في أرض مكّة ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ أي: إليها. تفسير قتادة: قال: هؤلاء قوم كانوا بمكة تكلّموا بالإسلام؛ فلما خرج أبو جهل وأصحابه، خرجوا معه؛ فقتلوا يوم بَدْرٍ، واعتذروا [بالأعذار][٢]، فأَبَى الله أن يقبل ذلك منهم، ثم عذر الله الذين بمكة واستثناهم، فقال: ﴿إلا

(١) روى البخاري (٦/ ١٤ رقم ٢٧٩٠) عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».
وروى البخاري (٦/ ٢٠ رقم ٢٧٩٧) ومسلم (٣/ ١٤٩٥-١٤٩٧ رقم ١٨٧٦) عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتل».
(٢) في الأصل: بلا عذر. والمثبت من «ر».

المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة﴾ أي: لا قوة لهم فيخرجون من مكة إلى المدينة ﴿ولا يهتدون سبيلًا﴾ لا يعرفون طريقًا إلى المدينة.

﴿فأولئك عسى اللَّه أن يعفو عنهم﴾ و﴿عسى﴾ من اللَّه واجبة.

﴿ومن يهاجر في سبيل اللَّه يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة﴾ أي: مُهَاجَرًا فيهاجر إليه.

قال محمدٌ: المراغم والمهاجر واحد؛ يقال: راغمتُ وهاجرتُ، وأصله: أن الرجل إذا أسلم خرج عن قومه مراغِمًا لهم؛ أي: مغاضبًا مقاطعًا[١].

﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى اللَّه ورسوله...﴾ الآية.

يحيى: عن قرة بن خالد، عن الضحاك بن مزاحم قال: «سمع رجلٌ من بني كنانة؛ أن بني كنانة قد ضربت الملائكةُ وجوهَهُمْ وأدبارَهُمْ يوم بدر وقد أدنف[٢] للموت، فقال: أخرجوني إلى النبي. فوُجِّهَ إلى النبي ﷺ فانتهى إلى عقبة سماها فتُوُفي بها؛ فأنزل اللَّه فيه هذه الآية».

﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناحٌ أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم﴾ أن يقتلكم ﴿الذين كفروا﴾هذا قَصْرُ صلاة الخوف.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ

---

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (رغم).

(٢) أي: اشتد مرضه وأشرف على الموت. يقال منه: دَنِف يَدْنِف دَنَفًا فهو دَنف. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس (دنف).

فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)﴾

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ قال مجاهد: «إن النبي عليه السلام وأصحابه كانوا بعُسْفَان، والمشركون بِضَجْنَان[١] فتواقفوا فصلى النبي عليه السلام بأصحابه الظُّهر أربعًا؛ ركوعهم وسجودهم وقيامهم معًا، فَهَمَّ بهم المشركون أن (يغيروا)[٢] على أمتعتهم وأثقالهم، فأنزل الله ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة...﴾ الآية».

قوله: ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم﴾ أي: يضعون أسلحتهم وهم (يحذرون)[٣].

قال محمد: ذكر يحيى سُنَّة صلاة الخوف، ونقل فيها اختلافًا؛ فاختصرت ذلك؛ إذ له موضعه من كتب الفقه.

﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله﴾ يعني: باللسان ﴿قيامًا وقعودًا وعلى

(١) جبل قرب مكة. وقيل: بناحية تهامة. ينظر: معجم البلدان (٣/ ٥١٤).
(٢) في «ر»: يعدوا.
(٣) في «ر»: حذرون.

جنوبكم﴾ تفسير قتادة: افترض الله ذِكْرَهُ عند القتال ﴿فإذا اطمأننتم﴾ يعني: في أمصاركم.

﴿فأقيموا الصلاة﴾ يقول: فأتموا الصلاة ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا﴾ أي: مفروضًا ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ أي: لا تضعفوا في طلبهم ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون﴾ يعني: وجع الجراح ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾ أي: من ثوابه ما لا يرجو المشركون، يرغِّبُهم بذلك في الجهاد.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ في الوحي ﴿ولا تكن للخائنين خصيمًا﴾ تفسير الحسن: «أن رجلًا من الأنصار سرق درعًا فاتُّهم عليها حتى فَشَت القَالَةُ[1]؛ أنه سرق الدرع؛ فانطلق فاستودعها رجلًا من اليهود، ثم أتى قومه، فقال: ألم تروا إلى هؤلاء الذين اتهموني على الدرع؛ فوالله مازلت أطلب وأبحث حتى وجدتها عند فلانٍ اليهودي؛ فأتوا اليهوديَّ فوجدوا عنده الدِّرْع، (ل٧٣) فقال: والله ما سرقْتُها، إنما استوْدَعَنِيها ثم قال الأنصاريُّ لقومه: انطلقوا إلى النبي عليه السلام فقولوا له، فليخرج فليعذرني؛ فتسقط عني القَالَةُ، فأتى قومُه رسولَ الله فقالوا: يا رسول الله، اخرجْ فاعذر فلانًا، حتى تسقط عنه القالة، فأراد رسول الله أن يفعل، فأنزل الله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا

---

(١) القالة: اسم للقول الفاشي في الناس؛ خيرًا كان أو شرًا. ينظر: لسان العرب (قول).

تكن للخائنين خصيمًا﴾ أي: أن الأنصاري هو سرقها؛ فلا تعذرنَّه[١]، واستغفر اللَّه مما كنت هَمَمْتَ به أن تعذره.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن اللَّه لا يحب﴾ أي: إن الأنصاري [سرقها أي][٢] خانها، والأنصاري: طُعْمَةُ بن أُبَيْرِقٍ وكان منافقًا.

﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من اللَّه﴾ (أي: يستحيون من الناس، ولا يستحيون من اللَّه)[٣].

---

(١) في «ر»: فلا تعذر له.
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) سقط من «ر».

﴿وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ يعني: ما قال الأنصاري: إن اليهودي سرقها.

ثم أقبل على قوم الأنصاري فقال: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل اللَّه عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلًا﴾ أي: حفيظًا لأعمالهم؛ في تفسير الحسن (قال الحسن)[١]: ثم استتابه اللَّه، فقال: ﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه...﴾ إلى قوله: ﴿عليمًا حكيمًا﴾.

﴿ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريئًا﴾ أي: [ما رمي به][٢] اليهودي وهو منها بريءٌ ﴿فقد احتمل بهتانًا﴾ كذبًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بيّنًا، قال الحسن: ثم قال لنبيه عليه السلام: ﴿ولولا فضل اللَّه عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾ فيما أرادوا من النبي ﷺ أن يعذر عن صاحبهم ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ أي: حين جاءوا[٣] إليك لتعذره ﴿وما يضرونك﴾ ينقصونك ﴿من شيء﴾.

قال محمد: قيل: إن المعنى في قوله: ﴿أن يضلوك﴾ أي: أن يخطئوك في حكمك، وما يضلون إلا أنفسهم، لأنهم يعملون عمل الضالين، واللَّه يعصم نبيه من متابعتهم.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ

---

(١) سقط من «ر».
(٢) في الأصل: يرمى بها. والمثبت من «ر».
(٣) في «ر»: مشوا.

جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾

﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ يعني: قوم الأنصاري ﴿إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ قال الحسن: فلما أنزل اللَّه في الأنصاري ما أنزل استحيا أن يقيم بين ظهراني المسلمين، فلحق بالمشركين؛ فأنزل اللَّه: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ أي: يفارق ﴿من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ يعني: غير دين المؤمنين ﴿نولِّه ما تولى﴾ قال الحسن: ثم استتابه اللَّه، فقال: ﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به. . .﴾ الآية.فلما نزلت هذه الآية رجع إلى المسلمين.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿إن يدعون من دونه إلا إناثًا﴾ قال الحسن: يعني: إلا أمواتًا.

قال يحيى: كقوله: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾[1] يعني: أصنامهم.

قال محمد: وقيل: المعنى: إلا ما سموه بأسماء الإناث؛ مثل اللات والعُزَّى ومناة.

---

(١) النحل: ٢١ .

﴿وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا﴾ قال الحسن: أي: إن تلك الأوثان لم تدعهم إلى عبادتها، إنما دعاهم إلى عبادتها الشيطان.

قال محمد: المريد: العاتي؛ يقال: مَرِيدٌ ومارِدٌ(١).

قوله تعالى: ﴿لعنه اللَّه وقال﴾ يعني: إبليس ﴿لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا﴾.

قال محمد: المعنى: أفترضه لنفسي.

﴿ولأضلنهم﴾ لأغوينَّهم ﴿ولأمنينَّهم﴾ أي: بأنهم لا عذاب عليهم ﴿ولآمرنَّهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ هي: البحيرة؛ كانوا يقطعون أطراف آذانها ويحرمونها.

﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق اللَّه﴾ قال ابن عباس: هو الخصاء(٢).

وقال الحسن: هو ما تَشِمُ(٣) النساء في أيديها ووجوهها؛ كان نساء أهل الجاهلية يفعلن ذلك.

﴿ولا يجدون عنها محيصًا﴾ ملجأ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

(١) ويقال أيضًا: مِرِّيد؛ أي: بكسر الميم، وتشديد الراء المكسورة.
ينظر: لسان العرب، القاموس (مرد).

(٢) الخِصَاء: نزع الخصيتين. وقيل: قطع الذكر. لسان العرب (خصو).

(٣) مأخوذ من الوَشْم؛ وهو ما تفعله النساء من غَرْز الإبرة في البدن ثم ذَر مادة النيلج عليه حتى يزرق أو يخضر. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (وشم).

﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾

﴿وعد اللَّه حقًّا ومن أصدق من اللَّه قيلًا﴾ أي: لا أحد.

﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ (ل٧٤) قال الحسن: قالت اليهود للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، [وكتابنا القاضي على ما قبله من الكتب][1] ونحن أهدى منكم قال المؤمنون: كذبتم، إنا صدقنا بكتابكم ونبيكم، وكذبتم بكتابنا ونبينا، وكتابنا القاضي على ما قبله من [الكتب][2].

قال محمد: المعنى: ليس ثواب اللَّه -عز وجل- بأمانيكم، ولا أماني أهل الكتاب.

﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾.

يحيى: عن المعلَّى بن هلال، عن إسماعيل بن أبي خالد[3]، عن أبي بكر ابن زهير «أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول اللَّه، كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال له النبي ﷺ: أية آية؟ قال: قول اللَّه: ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ فكل سوء عملناه نُجْزَى به يا رسول اللَّه؟ فقال النبي: غفر اللَّه لك يا أبا بكر، أليس تمرض؟ أليس تحزن؟ أليس تَنْصَبُ[4]؟ أليس تَصيبك

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) في الأصل: الكتاب . والمثبت من «ر».
(٣) في «ر»: إسماعيل بن خالد.
(٤) أي: تتعب؛ مأخوذ من النَّصَب؛ وهو التعب. لسان العرب (نصب).

الَّلأْواء[(١)]؛ يعني: الأوجاع والأمراض؟ قال: بلى. قال: فهو مما تجزون به»[(٢)].

﴿ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه للَّه﴾ أي: أخلص ﴿وهو محسن واتبع ملَّة إبراهيم حنيفًا﴾ أي: لا أحد أحسن دينًا منه.

قال الكلبي: لما قالت اليهود للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، وقال لهم المؤمنون ما قالوا؛ فأنزل اللَّه: ﴿ليس بأمانيكم...﴾ إلى قوله: ﴿واتخذ اللَّه إبراهيم خليلًا﴾ ففضل اللَّه المؤمنين على اليهود.

قال محمد: تفسير بعضهم: الخليل هو من باب الخلَّة والمحبَّة التي لا خلل فيها[(٣)].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

---

(١) وقيل: اللأواء: ضيق المعيشة. ينظر لسان العرب (لأى).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ١١) وأبو يعلى (١/ ٩٧-٩٨ رقم ٩٨-١٠١) والطبري في تفسيره (٥/ ٢٩٤، ٢٩٥)، وابن حبان (٧/ ١٧٠-١٧١ رقم ٢٩١٠) والمروزي في مسند أبي بكر (١٤٧-١٤٨ رقم ١١١، ١١٢) وابن السني في اليوم والليلة (١٨٩ رقم ٣٩٢) والحاكم (٣/ ٧٤-٧٥) والبيهقي في سننه (٣/ ٣٧٣) والضياء في المختارة (١/ ١٥٩-١٦٠ رقم ٦٩، ٧٠) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال الضياء: قال أبو زرعة: أبو بكر بن أبي زهير عن أبي بكر الصديق مرسل.
قلت: قد روي عن أبي بكر الصديق ﷺ من طرق، وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر تفسير ابن كثير (١/ ٥٥٧-٥٦٠) والدر المنثور (٢/ ٢٤٩- ٢٥٠)، وأصحها حديث أبي هريرة، رواه مسلم (٤/ ١٩٩٣ رقم ٢٥٧٤).

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (خلل).

﴿ويستفتونك في النساء﴾ قال الكلبي: «سئل رسول الله ﷺ [ما لهن][١] من الميراث، فأنزل الله الربع والثمن».

﴿قل الله يفتيكم فيهن...﴾ إلى قوله: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ أي: عن أن تنكحوهن[٢].

يحيى: عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، عن علي ابن أبي طالب «أنه قال في قوله: ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب...﴾ الآية، قال: تكون المرأة عند الرجل بنت عمه يتيمة في حجره، ولها مال فلا يتزوجها لذمامتها، ولكن يحبسها حتى يرثها، فنزلت هذه الآية، فنهوا عن ذلك».

وقوله: ﴿لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ يعني: ميراثهن.

وقوله: ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يقول: يفتيكم فيهن، وفي المستضعفين من الولدان؛ ألَّا تأكلوا [من][٣] أموالهم.

قال قتادة: وكانوا لا يورثون[٤] الصغير، وإنما كانوا يورثون[٤] من يحترف، وينفع ويدفع.

﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ وهو تبع للكلام الأول، قل الله يفتيكم فيهن، وفي يتامى النساء، وفي المستضعفين من الولدان، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط.

---

(١) طمس بالأصل ، والمثبت من «ر».
(٢) أي: على حذف حرف الجر (عن) وفيه تفصيل نحوي واسع ينظر من: إعراب القرآن (١/ ٤٥٧)، البحر (٣/ ٣٦٠-٣٦١)، الدر المصون (٢/ ٤٣٤).
(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٤) في «ر» : يرثون.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)﴾

﴿وإن امرأة خافت﴾ يعني: علمت ﴿من بعلها﴾ يعني: زوجها ﴿نشوزًا﴾ يعني: بغضًا ﴿أو إعراضًا فلا جناح﴾ لا حرج.

﴿عليهما أن يصالحا[1] بينهما صلحًا والصلح خير...﴾ الآية، قال بعضهم: هي المرأة تكون عند الرجل فتكبر فلا تلد، فيريد أن يتزوج عليها أشبَّ[2] منها، ويؤثرها على الكبيرة، فيقول لها: إن رضيت أن أوثرها عليكِ وإلا طلَّقتكِ، أو يعطيها من ماله على أن ترضى أن يؤثر عليها الشابة.

وقوله: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ أي: شحت بنصيبها من زوجها للأخرى؛ فلم ترض.

﴿وإن تحسنوا﴾ [الفعل][3] ﴿وتتقوا﴾ الميل والجور فيهن ﴿فإن اللَّه كان بما تعملون خبيرًا﴾.

﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ في الحب ﴿ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل﴾ قال الحسن: فتأتي واحدة، وتدع الأخرى ﴿فتذروها كالمعلقة﴾

---

(١) قرأ الكوفيون ﴿يُصْلِحا﴾ بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام، وقرأ الباقون ﴿يَصَّالحا﴾ بفتح الياء والصاد واللام، وتشديد الصاد، وألف بعدها. النشر (٢/ ٢٥٢).

(٢) صيغة تفضيل من (الشباب)، والمراد: امرأة شابة صغيرة. لسان العرب (شبب).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

قال الحسن: لا أيِّم، ولا ذات بعل.

﴿وإن تصلحوا﴾ الفعل في أمرهن ﴿وتتقوا﴾ الميل والجور فيهن ﴿فإن الله كان غفورًا رحيمًا﴾.

قوله: ﴿وكان الله واسعًا حكيمًا﴾ أي: واسعًا لهما في الرزق (ل٧٥) حكيمًا في أمره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)﴾

قوله: ﴿وكفى بالله وكيلًا﴾ لمن توكل عليه.

﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ [أي: يذهبكم][1] بعذاب الاستئصال.

﴿ويأتي بآخرين﴾ [بقوم][1] يطيعونه.

﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ يعني: ثواب الآخرة لمن أراد الآخرة.

هو كقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ...﴾ إلى قوله: ﴿كان سعيهم مشكورًا﴾[2].

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) الإسراء: ١٨ - ١٩.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط...﴾ إلى قوله: ﴿فاللَّه أولى بهما﴾ يقول: اشهدوا على أنفسكم وعلى أبنائكم [وعلى آبائكم](١) وأمهاتكم وقراباتكم؛ أغنياء كانوا أو فقراء ﴿إن يكن غنيًا أو فقيرًا فاللَّه أولى بهما﴾ أي: أولى بغناه وفقره منكم.

قال قتادة: يقول: لا يمنعنك غنى غنيٍّ، ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم.

﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ (فتدعوا)(٢) الشهادة.

﴿وأن تلووا﴾ ألسنتكم فتحرفوا الشهادة ﴿أو تعرضوا﴾ فلا تشهدوا بها ﴿فإن اللَّه كان بما تعملون خبيرًا﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا باللَّه ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله﴾.

قال الكلبي: خاطب بهذا من آمن من أهل الكتاب؛ وذلك أنهم قالوا عند إسلامهم: أنؤمن بكتاب محمد، ونكفر بما سواه؟!

فقال اللَّه: ﴿قل آمنوا باللَّه ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله...﴾ الآية.

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) في «ر»: فتعدلوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا...﴾ الآية، هم أهل الكتابين، في تفسير قتادة. قال: آمنت اليهود بالتوراة، ثم كفرت بها -يعني: ما حرفوا منها- وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت به - يعني: ما حرفوا منه.

﴿ثم ازدادوا﴾كلهم ﴿كفرًا﴾ بالقرآن ﴿لم يكن اللَّه ليغفر لهم﴾ قال الحسن: يعني: من مات منهم على كفره.

﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ أي: سبيل هدى؛ يعني: الأحياء، وأراد بهذا عامتهم، وقد تسلم الخاصة منهم.

﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًاالذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ كانوا يتولون اليهود، وقد أظهروا الإيمان.

﴿أيبتغون عند اللَّه العزة﴾ أي: أيريدون بهم العزة؟!

﴿وقد نزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللَّه يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ يعني: ما أنزل في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾[1] الآية.

---

(١) الأنعام: ٦٨.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

﴿الذين يتربصون بكم﴾ هم المنافقون؛ كانوا يتربصون برسول اللَّه وبالمؤمنين ﴿فإن كان لكم فتح من اللَّه﴾ نصر وغنيمة ﴿قالوا ألم نكن معكم﴾.

﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ نكبة على المؤمنين ﴿قالوا﴾ للكافرين.

﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ أي: ندين بدينكم ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ يعنون: من آمن بمحمد ﷺ أي: كنا لكم عيونًا نأتيكم بأخبارهم، ونعينكم عليهم؛ وكان ذلك في السر. قال اللَّه: ﴿فاللَّه يحكم بينكم يوم القيامة﴾ فيجعل المؤمنين في الجنة، ويجعل الكافرين في النار.

﴿ولن يجعل اللَّه للكافرين على المؤمنين سبيلًا﴾ أي: حجة في الآخرة.

﴿إن المنافقين يخادعون اللَّه﴾ بقولهم: ﴿إذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾(١) وهو خداعهم.

قال محمد(٢): يجازيهم جزاء الخداع.

﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ عنها ﴿يراءون الناس﴾ يظهرون ما

---

(١) البقرة: ١٤ .
(٢) في «ر»: قتادة.

ليس في قلوبهم.

﴿ولا يذكرون اللَّه إلا قليلًا﴾ قال الحسن: إنما قَلّ؛ لأنه كان لغير اللَّه.

﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ قال قتادة: (ل٧٦) ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا بمشركين مُصَرِّحِين ﴿ومن يضلل اللَّه﴾ عن الهدى ﴿فلن تجد له سبيلًا﴾ يعني: سبيل هدى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ يقول: لا تفعلوا كفعل المنافقين؛ اتخذوا المشركين أولياء من دون المؤمنين ﴿أتريدون أن تجعلوا للَّه عليكم سلطانًا مبينًا﴾ قال ابن عباس: حجة بيِّنة.

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ وهو الباب السابع الأسفل.

﴿ما يفعل اللَّه بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ أي: أن اللَّه غنيٌّ لا يعذب شاكرًا ولا مؤمنًا.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ

وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾

﴿لا يحب اللّه الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ قال قتادة: عذر اللّه المظلوم أن يدعو. وقال مجاهد: هو الضيف ينزل فيحول رحله[1]، فيقول: فعل اللّه[2] به، لم ينزلني! ﴿إن تبدوا خيرًا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء...﴾ الآية هو كقوله: ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[3].

﴿إن الذين يكفرون باللّه ورسله ويريدون أن يفرقوا بين اللّه ورسله﴾ قال قتادة: هم اليهود والنصارى؛ آمنت اليهود بالتوراة وبموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن ومحمد -على جميعهم السلام.

﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا﴾ قال السُّدي: يعني: دينًا. قال اللّه: ﴿أولئك هم الكافرون حقًّا...﴾ الآية.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

---

(١) كناية عن عدم استضافته، وتقديم القِرَى له.
(٢) أي: وسَّع عليه في الرزق.
(٣) آل عمران: ٢٩.

تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحدٍ منهم﴾ هو كقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ . . .﴾[1] الآية.

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء﴾ أي: خاصة عليهم ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ أي: عيانًا ﴿وآتينا موسى سلطانًا مبينًا﴾ حجَّة (بيِّنة)[2].

﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم. . .﴾ الآية، فقد مضى تفسيره في سورة البقرة[3].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾

﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي: فبنقضهم ميثاقهم، و(ما) صلة[4].

---

(١) البقرة: ١٣٦ .

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور. . .﴾ البقرة: ٦٣، ٩٣ .

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/ ٤٦٧-٤٧٠) البحر (٣/ ٣٨٨- ٣٩٤) الدر المصون (٢/ ٤٥٥).

﴿وقولهم قلوبنا غلفٌ﴾ قد مضى تفسيره[١].

قال اللَّه: ﴿بل طبع اللَّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلًا﴾ قال قتادة: قَلَّ من آمن من اليهود.

﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا﴾ هو ما قذفوا به مريم.

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم﴾ (مسح)[٢] بالبركة.

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن عيسى قال لأصحابه: أيكم يُقْذَفُ عليه شبهي؛ فإنه مقتول؟ قال رجل من أصحابه: أنا يا رسول اللَّه. فقتل ذلك الرجل، ومنع اللَّه نبيه (ورفعه إليه)[٣].

﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم﴾ كان بعضهم يقول: هم النصارى، اختلفوا فيه فصاروا ثلاث فرق.

قال اللَّه: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا﴾ (أي: ما قتلوا ظنهم يقينًا)[٤] ﴿بل رفعه اللَّه إليه وكان اللَّه عزيزًا حكيمًا﴾.

﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ قال قتادة: يعني: قبل موت عيسى إذا نزل.

وقال السدي: يقول لا يموت منهم أحدٌ حتى يؤمن بعيسى؛ أنه عبد اللَّه ورسوله، فلا ينفعه ذلك عند معاينة ملك الموت.

---

(١) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم اللَّه بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون﴾ (البقرة: ٨٨).

(٢) في «ر»: مسيح.

(٣) في «ر»: ورفعه اللَّه.

(٤) هكذا في الأصل و«ر»، ولعل الصواب: أي: ما قتلوه، ظنوه يقينًا.

﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا﴾ أي: يشهد عليهم؛ أنه قد بلغ رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

﴿فبظلم من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللَّه كثيرًا﴾ قال مجاهد: صدوا أنفسهم وغيرهم.

﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ قال قتادة: استثنى اللَّه منهم من كان يؤمن باللَّه وما أنزل عليهم، وما أنزل على نبي اللَّه.

قال محمد: اختلف (ل٧٧) القول في إعراب ﴿والمقيمين الصلاة﴾ فقال بعضهم: المعنى: يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة؛ أي: ويؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة.

وقال بعضهم: المعنى: واذكر المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة[1].

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

(١) وينظر في تفصيل إعراب الآية: إعراب القرآن (١/ ٤٧٠-٤٧٢)، الكتاب (١/ ٢٤٨-٢٤٩)، البحر (٣/ ٣٩٥-٣٩٦)، الدر المصون (٢/ ٤٦١-٤٦٣).

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم﴾ أي: وكما أوحينا إلى إبراهيم ﴿وإسماعيل...﴾ إلى قوله: ﴿والأسباط﴾ والأسباط: يوسف وإخوته.

﴿وآتينا داود زبورًا﴾ يعني: كتابًا؛ وكان داود بين موسى وعيسى، وليس في الزبور حلالٌ ولا حرام، وإنما هو تحميد وتمجيد وتعظيم للَّه.

﴿ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل﴾ قال محمد: المعنى: وأرسلنا رسلًا قد قصصناهم عليك ﴿ورسلًا لم نقصصهم عليك﴾.

قال يحيى: قال بعضهم: «قيل: يا رسول اللَّه، كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا جماء الغفير. قيل: أكان آدم نبيًا مكلمًا أو غير مكلم؟ قال: بل كان نبيًا مكلمًا»(١).

---

(١) رُوي عن أبي ذر وأبي أمامة وعوف بن مالك.
أما حديث أبي ذر فله عنه طرق:
منها: المسعودي عن أبي عمر -أو عمرو- الدمشقي عن عبيد بن خشخاش عنه. رواه الإمام أحمد (٥/ ١٧٨، ١٧٩) والطيالسي (٦٥ رقم ٤٧٨) وابن سعد في الطبقات (١/ ٣٢) والبزار في مسنده (٩/ ٤٢٦-٤٢٧ رقم ٤٠٣٤) والمزي في التهذيب (١٩/ ٢٠٤-٢٠٥) والبيهقي في الشعب (١/ ٣٧٧-٣٧٨ رقم ١٢٩).
قال البزار: وهذا الكلام لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن أبي ذر، وعبيد بن الخشخاش لا نعلم روى عن أبي ذر إلا هذا الحديث. =

قال محمد: يقال: جاء القوم جَمًّا غفيرًا، أو جماء الغفير -إضافة- أي:

= ومنها: يحيى بن سعيد -وقيل: ابن سعد- القرشي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر. رواه ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٢٩) وابن عدي في الكامل (٩/ ١٠٦-١٠٧) والحاكم (٢/ ٥٩٧) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٨) والبيهقي في السنن (٩/ ٤) وفي الشعب (١/ ٣٧٩-٣٨١ رقم ١٣١) وابن عساكر في تاريخه (٢٣/ ٢٧٦ - ٢٧٩).

وقال ابن حبان: وليس من حديث ابن جريج ولا عطاء ولا عبيد بن عمير، وأشبه ما فيه رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر. أخبرناه القطان، قال: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر بطوله اهـ.

وقال ابن عدي: وهذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر، وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد عن أبي ذر، والثالث حديث ابن جريج، وهذا أنكر الروايات، ويحيى بن سعد هذا يُعرف بهذا الحديث . اهـ.

وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: قلت: السعدي ليس بثقة.

ومنها: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر. رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦-٧٩ رقم ٣٦١) و في المجروحين(٣/ ١٣٠) وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٨) وابن مردويه في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير(١/ ٥٨٥) - وابن عساكر في تاريخه (٢٣/ ٢٧٣ - ٢٧٦).

قلت: إبراهيم كذبه أبو حاتم الرازي ، وقال الذهبي في الميزان (٤/ ٣٧٨): إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان؛ فلم يصب.

وقال ابن كثير : وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي؛ فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات» واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث، والله أعلم. اهـ.

وقال نحوه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٩١).

وقال ابن عساكر: رواه أبو الحسن بن جوصا عن أبي حارثة أحمد بن إبراهيم عن هشام عن أبيه.

وكذلك رواه عن أبي إدريس الخولاني القاسم بن محمد الثقفي ومولى ليزيد بن معاوية.

ومنها: عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن محمد بن أيوب، عن عبد الرحمن بن عائذ، عن أبي ذر رواه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ١٥٤-١٥٥ رقم ١٩٧٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/ ٤٤٤-٤٥٥، ٢٣/ ٢٧٦).

ومنها: الماضي بن محمد، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، =

كلهم بلفِّهم ولفيفهم(١).

= عن أبي ذر رواه الطبري في تاريخه (١/ ١٥٠-١٥١).

ومنها: جعفر بن الزبير، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن أبي ذر قال: «قلت: يا نبي الله، أنبيًا كان آدم؟ قال: نعم كان نبيًا، كلمه الله قبلا» رواه الطبري في تاريخه (١/ ١٥١).

ومنها: معان بن رفاعة: عن على بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن أبي ذر، نحو سابقه.

رواه ابن عساكر (٧/ ٤٤٥) والمشهور في هذا الإسناد عن أبي أمامة أن أبا ذر سأل النبي ﷺ وسيأتي.

ومنها: هشام بن سليمان، عن أبي رافع، عن يزيد بن رومان، عمن أخبره، عن أبي ذر رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/ ٤٩-٥٠ رقم ٣٤٥٧) وإتحاف الخيرة (١/ ٢٣١-٢٣٣ رقم ٣٣٧/ ٢).

ومنها: يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن معبد بن هلال، عن رجل، عن عوف بن مالك، عن أبي ذر، رواه الحارث بن أبي أسامة - كما في المطالب العالية (١/ ٢٦٨ رقم ٦٦٢/ ١).

وأما حديث أبي أمامة ، فله طريقان: الأول: معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة.

رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٥- ٢٦٦) وإسحاق بن راهويه في مسنده -كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٩٠)- وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١١٨ رقم ٦٢٨٣) والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧- ٢١٨ رقم ٧٨٧١).

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٨٦): معان بن رفاعة السلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضًا.

وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٩١): ومعان وعلي بن يزيد والقاسم؛ ثلاثتهم ضعفاء.

والثاني: معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن أبي أمامة.

رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١١٨-١١٩ رقم ٧٥٤٥) والأوسط (١/ ١٢٨ رقم ٤٠٣) ومسند الشاميين (٤/ ١٠٥ رقم ٢٨٦١) وابن حبان (١٤/ ٦٩ رقم ٦١٩) والحاكم (٢/ ٢٦٢) وابن عساكر (٧/ ٤٤٥-٤٤٦) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن أبي أمامة إلا بهذا الإسناد، تفرد به معاوية بن سلام.

وأما حديث عوف بن مالك ؛ فيرويه النضر بن شميل، عن حماد بن سلمة، عن معبد بن هلال، أخبرني فلان في مسجد دمشق، عن عوف بن مالك.

رواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١/ ٢٦٧ رقم ٦٦١) و إتحاف الخيرة (١/ ٢٣٣ رقم ٣٣٧/ ٣).

(١) ويقال منه أيضًا: جاء القوم جَمّ الغفير، والجَمّ الغفير؛ أي: جاءوا كلهم مجتمعين كثيرين. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جمم).

﴿وكلم اللَّه موسى تكليمًا﴾ أي: كلامًا من غير وحي.

﴿مبشرين ومنذرين﴾ يعني: مبشرين بالجنة، ومنذرين بالنار.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾

﴿لكن اللَّه يشهد بما أنزل إليك﴾ يعني: القرآن ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾ أنه أنزله إليك.

﴿وكفى باللَّه شهيدًا﴾ قال محمد: المعنى: وكفى اللَّه شهيدًا، والباء مؤكدة[1].

﴿إن الذين كفروا وظلموا﴾ أي: أنفسهم.

﴿لم يكن اللَّه ليغفر لهم﴾ يعني: إذا ماتوا على كفرهم ﴿ولا ليهديهم طريقًا﴾ أي: طريق هدًى؛ يعني: العامة من أحيائهم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ

---

(١) ينظر البيان (١/ ٢٧٨)، البحر (٣/ ٣٩٩)، الدر المصون (٢/ ٤٦٧).

لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) ﴾

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ الغُلُوُّ: تعدي الحق.

قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ أي: أنه كان من غير بشر.

﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة...﴾ الآية. أي: آلهتنا ثلاثة ﴿انتهوا خيرًا لكم﴾ ﴿إنما الله إله واحد﴾ قال محمد: اختلف القول في قوله: ﴿خيرًا لكم﴾ والاختيار أنه محمول على معناه؛ كأنه قال: انتهوا وائتوا خيرًا لكم(١). وكذلك قوله: ﴿فآمنوا خيرًا لكم﴾(٢) هو على مثل هذا المعنى.

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله﴾ أي: لن يحتشم ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ أن يكونوا عبادًا لله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ

---

(١) وفيه تفصيل نحوي واسع، ينظر في: إعراب القرآن (١/ ٤٧٤-٤٧٥)، مجمع البيان (٢/ ٢٤٣)، البحر (٣/ ٤٠٠) الدر المصون (٢/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٢) النساء: ١٧٠ .

وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ قال مجاهد: يعني: حجة ﴿وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا﴾ بينًا؛ يعني: القرآن.

﴿ويهديهم إليه﴾ (أي: في الدنيا)[1] ﴿صراطًا مستقيمًا﴾.

﴿يستفتونك قل اللَّه يفتيكم في الكلالة﴾ قال قتادة: الكلالة الذي لا ولد له ولا والد ولا جدٌّ.

قوله: ﴿يبين اللَّه لكم أن تضلوا﴾ لئلا تضلوا ﴿واللَّه بكل شيء عليم﴾.

قال محمد: ذكر يحيى في هذه السورة مسائل من الفرائض؛ فاختصرت كثيرًا منها؛ إذ للفرائض بأسرها مواضعها من كتب الفقه، ولا توفيق إلا باللَّه [وهو حسبي ونعم الوكيل][2].

* * *

---

(١) سقط من «ر».

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

فهرس الموضوعات